الردود المسكتة على الافتراءات المتهافتة

الرد المفحم على المشككين في الإسلام عبر الفضائيات والانترنت

جمع وتصنيف

أبو عبد الله القسام

إيهاب بن كمال بن أحمد









مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار... وبعد:

فإن انتشار الإسلام العظيم واكتساحه لكل ربوع العالم، ودخول الناس فيه وإقبالهم عليه من كل حدب وصوب، قد أثار فزع ورعب أعداء الدين من المنصرين والملحدين والعلمانيين، فارتعدت فرائصهم، وطاشت عقولهم وجن جنونهم، ولم يجدوا بدًا حيال ذلك إلا إثارة الافتراءات والشبهات حول الإسلام في محاولة يائسة للنيل من هذا الدين العظيم، وصد الناس عنه، وربما تصل أطماعهم إلى الرغبة في فتنة المسلمين عن دينهم، وصرفهم عن عبادة ربهم، من خلال حملات منظمة تدعمها دول ومؤسسات كبرى، وتسخر في خدمتها الأموال والإعلام والنفوذ.

ولذلك كان من الواجب على المسلمين أن يتصدوا لهذه الحملات المسعورة التي هدفها تشويه صورة الإسلام، وأن يخوضوا حربًا ضروسًا مع أولئك المفترين، يكون سلاحهم فيها العلم المبني على الأدلة الباهرة والبراهين الساطعة والبينات القاطعة، ومن خلال هذا العلم يمكن اجتثاث هذه الافتراءات من أصولها، وإجهاضها في مهدها، لتدور الدائرة على أعداء الدين.

وفي هذا الكتاب عرضت لمجموعة كبيرة من الافتراءات بالمناقشة والرد والتفنيد، وحاولت قدر وسعي وطاقتي أن تكون الردود مختصرة موجزة، وموثقة بالأدلة الشرعية

ونقولات أهل العلم، وفق منهج علمي منضبط في العرض والاستدلال والتوثيق.

ويكتسب هذا الكتاب مزيدًا من الأهمية في واقعنا المعاصر في مواجهة شرذمة مرتزقة ممن لا شرف لهم ولا خلاق، ولا مبادئ ولا أخلاق، دأبوا يحترفون طرائق الكذب والدجل والزخرف الباطل ويجعلونها مهنة منها يرتزقون، ويتخذون من سب وقذف أشرف خلق الله وظيفة منها يأكلون ويتربحون، بلا أي رادع من دين أو خلق أو ضمير، حادهم داء الطمع والعناد، وأمراض البغضاء والأحقاد.

وقد تفرغت هذه الشرذمة من الكذابين المعاندين في نسج خيوط من الأباطيل حول كل ما هو إسلامي، لا تتورع ألسنتهم عن الولوغ في أعراض الشرفاء، ولا تجد أقلامهم حريجة في اختلاق الأكاذيب وتزوير النصوص وقلب الحقائق، سالكين في ذلك أحقر الطرق وأخس الأساليب التي تعكس ما يتصفون به من انحطاط في الخلق، ودناءة في الطبع، وسفول في النشأة والتربية، وحقد وحسد لأهل التوحيد والإسلام، وكراهية عمياء للأطهار الشرفاء.

لكن كل هذه الأباطيل وجميع تلكم الافتراءات ما هي إلا غثاء لا تلبث أمواجه تتحطم على صخور الحجج الواضحات والأدلة البينات الصادرة من نصوص الوحي كتابًا وسنة، وهذا ما سيظهر لك جليًا عزيزي القارئ من خلال صفحات هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

وأود أن أنبه إلى أنني لم أقصد هنا استقصاء جميع الافتراءات والشبهات؛ بل اعتنيت بالرد على أبرز الافتراءات وأكثرها شهرة وتداولاً على قنوات القوم ومواقعهم، وجعلت همي تفنيد أهم ما تلهج به ألسنة رؤوسهم وكبرائهم من الكذب على الإسلام، يجعلونه مادة يدرّسونها لشبابهم وفتياتهم، ويعلمونها لرجالهم ونسائهم ليصدوهم بذلك عن الدخول في الإسلام من جهة، وليسعوا به بين المسلمين ابتغاء فتنهم وتشكيكهم في دينهم من جهة أخرى.

وقد آثرت وضع الكتاب في قالب حواري جدلي يقوم على عرض الافتراءات التي يطرحها أعداء الدين ومناقشتها ودحضها بالحجج والبراهين، فعرضت الكتاب بأسلوب سؤال وجواب وكأنه حوار متبادل بين المسلم والكافر المعاند؛ تقريبًا للمعاني وتسهيلاً على الدارسين، وكنوع من التدريب على أسلوب المحاورة والمجادلة والاستدلال، كما آثرت أن أربأ بنفسي عن الانزلاق في هوة مجاراة هؤلاء المرتزقة المعاندين في أساليبهم الرخيصة، وطرائقهم الفاحشة الدنيئة.

وبذلت جهدي ليخرج الكتاب جامعًا بين أصالة المصادر والمراجع وحداثة وعصرية العرض، بحيث يمتاز بسهولة الأسلوب ووضوح الرد مع العمق العلمي البعيد عن التعقيد

والإسهاب الذي قد يدخل في متاهات تبعد عن المقصود.

كما حاولت قدر الإمكان أن يغلب على الردود والأجوبة الاختصار والإيجاز غير المخل، بحيث تكون مركزة وموظفة كلها في هدم الافتراء، فإن اقتضى المقام شيئًا من الإسهاب والإطالة حرصت على تنظيمها في نقاط مرتبة، وإذا كان الافتراء ذا فروع وأجزاء عمدت إلى تقسيم السؤال إلى عدة أسئلة منفصلة، بحيث يكون جواب كل سؤال بعده مباشرة، كما حرصت على استقصاء الإيرادات والاعتراضات الممكنة على الأجوبة ومناقشتها بنفس الأسلوب.

وأخيرًا.. فإن هذا الكتاب هو خلاصة لتجربة عدة سنوات في جدال هؤلاء المرجفين ومناظرتهم ومحاورتهم بشكل مباشر، وفقني الله وإخواني فيها إلى الرد على كل افتراءاتهم ودحض كل شبهاتهم، وإظهار جهلهم وفضح كذبهم، حتى تفطرت قلوبهم حسرة على جهودهم الحابطة وأموالهم الضائعة، وتفتت أكبادهم كمدًا على فضائحهم المتتالية وفشلهم المردي وإفلاسهم المخزي.

ولا أدعي في ذلك سبقًا ولا فضلاً، بل الفضل في الأول والآخر لله سبحانه، ومن بعده لكل الذين انتفعت بجهودهم وعلمهم وردودهم من إخواني المسلمين أسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء.

كما أسأل الله تعالى أن يغفر لي ما وقعت فيه من الزلل، وأن يتجاوز عني فيما قصرت فيه، وأبرأ إلى الله من مخالفة شرعه، أو أن أقول في دينه بغير علم، أو أن أكذب عليه وعلى رسوله، وهذا جهد المقل على ضعف في الزاد وبضاعة مزجاة، وافتقار لعون الله ومعونته، فما أصبت فيه فهو من توفيق الله وفضله ومنته فله الحمد والشكر وعلى رسوله الصلاة والسلام.

وما أخطأت فيه من البيان، أوخالفت فيه السنة أوالقرآن، فهو من نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأسأل الله الصفح والغفران.

ربنا اجعل هذا العمل صالحًا، ولوجهك خالصًا، واجعله من العلم الذي ينتفع به إذا انقضى الأجل وانقطع العمل، إنك ربي على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وأنت حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين على نعمة الإسلام، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

كتبه الفقير إلى الله
أبو عبد الله الصارم
إيهاب بن كمال
في ١٩ من ذي القعدة ١٤٣٠هـ
Kamal.Ehab@yahoo.com

بين يدي الكتاب

يتلخص منهجي في هذا الكتاب فيما يلي:

١- لقد قسمت هذا الكتاب إلى فصول، يتناول كل فصل افتراءات متعلقة بموضوع معين، فجعلت الافتراءات الخاصة بموضوع النسخ مثلاً في فصل، والافتراءات الخاصة بموضوع الجهاد في فصل، والافتراءات الخاصة بموضوع المرأة في فصل...وهكذا.

٢- في كل فصل أتناول الافتراء من خلال سؤال وجواب، ويكون السؤال المشتمل على الافتراء بخط مثقل مميز، ثم تتبعه الإجابة بالخط المعتاد.

٣- أعرض الافتراء أحيانًا بأسلوب المفتري بما فيه من مغالطات وتجاوزات كنوع من التدريب على كيفية الرد على هؤلاء المفترين، ولمعرفة أساليبهم في طرح الافتراءات حتى يحترز منها.

٤- إذا تعلق بالسؤال الرئيس أسئلة أخرى فرعية، أو اعتراضات وإيرادات على الإجابة، فإنني أوردها بعد الإجابة على السؤال الرئيس بخط مثقل أيضًا، ثم أرد عليها بنفس الأسلوب حتى أنتهي من السؤال ومتعلقاته، فأنتقل لسؤال آخر.

٥- الأصل في الإجابة هو الاختصار والإيجاز الذي لا يخل بقوة الإجابة ووضوحها، لكن قد يقتضي المقام في بعض الافتراءات أن تطول الإجابة لاعتبارات معينة متعلقة بهذا الافتراء، فإذا اقتنع القارئ بجزء من الإجابة فلا بأس أن يكتفي به.

٦- الأصل في أسلوب الإجابة أن يكون سهلاً ومفهومًا، لكن في بعض الردود قد يشعر القارئ بصعوبة في فهم الرد لأن المقام يقتضي إلمامه بعلم معين، فحتى تُفهم ردود الافتراءات اللغوية مثلاً يجب أن يكون القارئ ملمًا بمبادئ علم النحو، فإذا وجد القارئ هذه الصعوبة فعليه بالاجتهاد في فهم وجه واحد فقط، ولا يلزمه معرفة الأوجه الأخرى ولا حفظ أدلتها.

٧- على القارئ الكريم الاهتمام بالنظر في الهامش؛ لأنني أستخدمه في شرح بعض المصطلحات الغامضة أو المسائل الصعبة، أو الإشارة لمصادر للتوسع، أو الإحالة إلى موضع آخر في الكتاب ناقش نفس النقطة بتفصيل، بالإضافة إلى العزو إلى المراجع والمصادر.

٨- إذا كان الحديث في صحيح البخاري أو صحيح مسلم أكتفي ببيان رقمه فقط، أما إن كان خارج الصحيحين فأذكر مصدره وأنقل حكم أحد العلماء عليه بلا تطويل.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تساؤلات وافتراءات حول تفاسير القرآن



هل كل ما يرد في كتب التفسير حجة؟

لا، ما يرد في كتب التفسير منه ما هو حجة، ومنه ما هو اجتهاد يقبل أو لا يقبل، ومنه ما ثبت ضعفه وخطؤه.

فما جاء مرفوعًا للنبي أو كان في حكم الرفع له وثبتت صحته فهو الحجة، وما دون ذلك فليس بحجة، ويختلف الموقف منه، بين القبول والرد والتوقف فيه.

ما هي الإسرائيليات؟

الإسرائيليات[(١)]: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل.

ويقصد بها ما يروى في كتب التفسير ويكون أصله ومصدره من معارف اليهود ومصادرهم مثل: التوراة وشروحها، والتلمود بشروحه، والأساطير والخرافات التي افتروها أو نقلوها عن غيرهم، ويتوسع بعض العلماء فيجعل الإسرائيليات تشمل معارف النصارى أيضًا، على قلة ما جاء منها في كتب التفسير.

كيف جاءت الإسرائيليات إلى كتب التفسير؟

- أسلم الكثير من اليهود والنصارى منذ عهد الصحابة فكانوا ينقلون معارفهم من أديانهم السابقة إلى العلوم الإسلامية وينقل عنهم المفسرون، ومن هؤلاء: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن جريج.
- اطلع بعض المفسرين على كتب اليهود والنصارى ومعارفهم وتعاملوا مع بعض أهل الكتاب وأخذوا منهم، ثم نقلوا ذلك في كتب التفسير بغير تمحيص أحيانًا.

قال ابن خلدون: «وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملئوا الكتب بمثل هذه المنقولات، وأصلها – كما قلنا – عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك..»[(٢)].

ما حكم رواية الإسرائيليات؟

الإسرائيليات أنواع هي:

١- ما علم كذبه وضلاله بمخالفته لعقائدنا وشرعنا، وهذا لا يجوز روايته إلا مع التنبيه على خطئه وكذبه.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون (١/ ١٤٧-١٧٥)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص١٢).
(٢) مقدمة ابن خلدون (ص٤٩١).

٢- ما علم أنه صحيح لموافقته شرعنا فلا بأس بروايته.

قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم»[(٢)].

٣- ما لا يعلم صدقه من كذبه، وهذا نتوقف فيه فلا نحكم بصحته ولا كذبه.

قال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: «أي: إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً، لئلا يكون في نفس الأمر صدقًا فتكذبوه، أو كذبًا فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفائه»[(٤)].

ما هي أمثلة ما جاء في كتب التفسير من إسرائيليات؟

من النماذج لهذه الإسرائيليات:

١- خرافات عملية:

عند قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، ذكر كثير من المفسرين كالطبري والسيوطي، أن نون هو حوت يسمى اليهموت وأنه خلق فبسطت عليه الأرض فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال، وهذا مما نقل عن ابن عباس بأسانيد مضطربة والظاهر أنه من الإسرائيليات التي ألصقت به.

ومن ذلك أيضًا كما قال ابن القيم: «حديث أن (قاف) جبل من زمردة خضراء، محيط بالدنيا كإحاطة الحائط بالبستان والسماء واضعة أكنافها عليه.

وحديث أن الأرض على صخرة، والصخرة على قرن ثور، فإذا حرك الثور قرنه، تحركت الصخرة...

قال: لا ريب أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا السخرية والاستهزاء بالرسل وأتباعهم»[(٥)].

---

(١) البخاري (٣٢٠٢).
(٢) فتح الباري (٦/ ٣٢٠).
(٣) البخاري (٤١٢٥).
(٤) فتح الباري (٨/ ١٢٠).
(٥) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص٧٨).

٢ - الافتراء على الأنبياء:

- عند قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ﴾ [ص: ٢١-٢٢]، ذكروا قصة افتراء على داود عليه السلام أنه شاهد امرأة تستحم وكان زوجها غازيًا (ويدعى أوريا)، فكتب داود إلى رأس الغزاة أن اجعله في حملة التابوت، فأرسلوه وحارب حتى قتل.

قال ابن كثير: «وقد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت عن المعصوم ﷺ حديث يجب اتباعه»[1].

وقال القاضي عياض: «لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه في قصة داود ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت»[2].

- وعند قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [آل عمران: ٩٣]، ذكر القرطبي وغيره أن يعقوب عليه السلام كان رجلاً قويًا فلقيه ملك فظن يعقوب أنه لص فتصارع معه، فغمز الملك فخذ يعقوب فأصابه عرق النسا، وهذه من الإسرائيليات التي لا دليل على صحتها.

- وعند قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، ذكر بعض المفسرين أن يوسف عليه السلام حل سراويله وجلس من المرأة مجلس الخائن، وهذا ينافي عصمته التي شهد بها القرآن.

فيوسف قال: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف: ٢٦].

و﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

والمرأة قالت: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢].

وقالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

وزوج المرأة: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٩).
(٢) الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى (٢/ ١٥٨).

وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٨-٢٩].

وكذلك شهادة الشهود: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [يوسف: ٢٦].

وقبل كل هذا شهادة الله سبحانه وتعالى له: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤][١].

ما المقصود بالموضوعات والروايات الضعيفة في التفسير؟

الروايات الضعيفة هي التي لم تتحقق فيها شروط الصحة لتقبل وتكون حجة، وأما الروايات الموضوعة فهي التي حكم بأنها لا تصح عن النبي ﷺ؛ لأن راويها كذاب أو لأن متنها يخالف للقواعد الشرعية الثابتة قطعيًا.

ما الأمثلة على هذه الروايات في كتب التفسير؟

من الأمثلة عليها:

١ – قصة الغرانيق[٢]:

عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]، روى بعض المفسرين أن النبي ﷺ قرأ بمكة سورة النجم فلما بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجدوا وسجد.

وهذه القصة هذه لا تثبت لا من جهة السند ولا المتن ولا العقل والنظر.

قال البيهقي: «هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل»[٣].

وقال القاضي عياض: «إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع بمثله المفسرون والمؤرخون والمولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم»[٤].

---

(١) انظر تفسير الرازي (٦/ ٣٠١)، وأضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٤٣).
(٢) الغرانيق: جمع غُرنوق وهو طائر مائي أبيض طويل الساق جيل المنظر، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٨٣).
(٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص٣١٥).
(٤) الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى (٢/ ١١٦).

وذكر البزار أن هذا الحديث لا نعرفه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل، إلا طريق واحد ضعّفه لأن فيه الكلبي، وهو ضعيف متهم بالكذب[١].

وذهب ابن خزيمة إلى أن القصة من وضع الزنادقة كما ذكر الرازي في تفسيره، وذهب أبو منصور الماتريدي أيضًا إلى أنها موضوعة، وكذلك القاضي ابن العربي انتقد الرواية ووضح ضعفها من عشرة أوجه[٢].

أما الشيخ ناصر الدين الألباني فله كتاب اسمه «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» جمع فيه طرق الرواية وبين ضعفها وعللها، ونقل قول المحققين من كبار العلماء، وقال إنها: «تؤيد ما ذهبنا إليه من نكارة القصة وبطلانها ووجوب رفضها وعدم قبولها»[٣].

٢- قصة مارية القبطية:

عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١].

ذكر بعض المفسرين في أسباب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ دخل بمارية في بيت حفصة رضي الله عنها، فقالت: في بيتي وعلى فراشي ما فعلت ذلك إلا لهواني عليك[٤].

وهذه الرواية ضعيفة لأن فيها عبد الله بن شبيب[٥] وقد ضعفه أهل العلم، أما الرواية الصحيحة، فهي التي في الصحيحين وهي رواية عسل المغافير[٦]، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن أيّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال: لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة[٧].

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص٣١٥).
(٢) أحكام القرآن (٣/ ٣٠٣)، وانظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص٣١٦).
(٣) نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، للألباني (ص٤).
(٤) أسباب النزول للواحدي (ص٣٧٣)، وقال الهيثمي في المجمع: فيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف، والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس، وذكر ابن حجر في الفتح أنه مرسل.
(٥) قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال وابن حجر في لسان الميزان أنه واه، وقال عنه الحاكم أنه ذاهب الحديث.
(٦) المغافير: جمع مِغفار وهو صمغ حلو يؤكل، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٨٩).
(٧) البخاري (٤٨٦٢) ومسلم (٢٦٩٤).

٣- قصة زينب بنت جحش:

عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[الأحزاب: ٣٧]، أورد بعض المفسرين روايات ضعيفة ذكر فيها أن النبي ﷺ رأى زينب ﵂ وأعجبته إلى غير ذلك من روايات ضعيفة ساقطة الأسانيد[١].

قال ابن كثير: «ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارًا عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحًا، لعدم صحتها فلا نوردها»[٢].

وقال ابن العربي: «وهذا الروايات كلها ساقطة الأسانيد»[٣].

وقال القرطبي: «أما ما روي أن النبي هوى زينب، وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته»[٤].

لماذا يورد كبار علماء المسلمين روايات ضعيفة في كتب التفسير؟

يعود ذلك إلى منهج المفسر في تصنيف كتابه:

- فبعض المفسرين لم يشترطوا الصحة في كل ما يوردون في كتبهم.

- وبعضهم يكتفي برواية بالإسناد، معتمدًا على قاعدة من «أسند فقد أحال»، فمن خلال الإسناد يمكن الحكم على مدى صحة الرواية أو ضعفها.

- وبعضهم يهتم بالجمع والاستيعاب لكل ما روى مع تقديم الصحيح.

- وبعضهم يحرص على إيراد الرواية أو القول لبيان ضعفه.

مثال ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، روى ابن كثير عن ابن عباس: «جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه» وهذا هو الراجح.

---

(١) تمت مناقشة هذا الافتراء في الجزء الخاص بالافتراءات حول زواج النبي في هذا الكتاب فليراجع.
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٧٨١).
(٣) أحكام القرآن (٣/ ٥٧٧).
(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١٩١).

ثم روى عن ابن عباس أيضًا قولاً آخر ليضعفه وينتقده وهو قوله: «الجد أب ولو علمت الجن أن في الإنس جدًا ما قالوا تعالى جد ربنا».

وعلق ابن كثير قائلاً: «لست أفهم ما معنى هذا الكلام ولعله قد سقط شيء»[(١)] فهو يرى أن الكلام غير مستقيم وربما يكون فيه سقط.

- عند قوله الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣-١٤]، أورد ابن كثير لهذه الآية رواية تفيد أنهم كانوا رسل المسيح إلى أنطاكية.

ثم ضعف ابن كثير الرواية بعد أن أوردها، وقال أن في ذلك نظرًا من وجوه:

١- أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ﷻ لا من جهة المسيح عليه السلام.

٢- أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح، وأهل هذه القرية كذبوا رسله وأهلكهم الله بصيحة واحدة أخمدتهم.

٣-قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح كانت بعد نزول التوراة وقد ذكر كثير من السلف أنه لم تهلك أمة عن آخرها بعد نزول التوراة بعذاب عام[(٢)].

فابن كثير أتي بالرواية لتضعيفها لا لاعتمادها، وهذا يوضح لنا أهمية معرفة منهج كل مفسر في تفسيره حتى يمكننا التعامل مع ما ورد في التفسير من روايات.

ومدى اعتبار أقوال المفسرين؟ وهل هي حجة؟

أقوال المفسرين في الجملة مجرد أقوال بشرية غير معصومة، وهي ليست حجة، ولكن يبقى لأقوال المفسرين - لا سيما الراسخون في العلم - احترامها وتقديرها؛ لأنها صدرت عن أناس أكابر من أهل الاختصاص، لكن هذا التقدير وذاك الاحترام لا يمنعنا من رفض كل قول ثبت خطؤه مهما كان قائله، بعد إخضاعه للمعايير العلمية لقبول الأقوال وردها.

ولا شك أن قول المفسر إن كان في غير التفسير الاختصاص - كأقوال بعضهم في بعض المسائل العلمية التي لا يكون مرجعها الكتاب والسنة - فأهميته واعتباره يقل ويبقى قولاً لا تتعدى نسبته صاحبه، لا سيما ما جاء معبرًا عن معارف زمان معين، أو مرتبط بأحوال بعينها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٧١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٩٠٦).

وعلى كل حال فأقوال المفسرين إن جاءت باجتهادهم فهي لا تنسب للوحي أو للإسلام عمومًا؛ بل تنسب لأصحابها فقط، فإذا ثبت خطأ هذه الأقوال فالمفسر هو المخطئ، ولا يمكن نسبة الخطأ للقرآن مثلاً، لأن القرآن كلام الله لا كلام المفسر.

ومن هنا يتبين تهافت منهج أعداء الدين في اصطياد أخطاء بعض المفسرين ومحاولة إلصاقها بالإسلام العظيم، وكأن هذه الأخطاء - إن ثبتت - وقعت في القرآن لا في كلام المفسر.

ما أمثلة هذه الأخطاء في كتب التفسير؟

من الأمثلة على ذلك:

١ - زواج الأب من ابنته من الزنى:

عند قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، أورد القرطبي أقوالاً لعلماء - من بينهم الشافعي - بجواز زواج الرجل من ابنته من الزنى، وإن كانت لا تصح نسبة هذا القول للشافعي لكن بافتراض صحته فهو قوله لا قول القرآن.

فإن ثبت خطأ هذا القول فالخطأ ينسب لقائل هذا القول لا للقرآن ولا السنة، والمجتهد إن أخطأ فخطؤه مردود عليه وله أجر على اجتهاده.

وقد دلت السنة على أن الولد من الزنى يسمى ابنًا، وأبوه يسمى أبًا له، ومما يشهد لذلك ما ورد في قصة جريج العابد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج يصلي فجاءته أمه فدعته فأبى أن يجيبها فقال: أجيبها أو أصلي، ثم أتته فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته فقالت امرأة لأفتنن جريجًا فتعرضت له فكلمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا، فقالت: هو من جريج، فأتوه وكسروا صومعته، فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام: فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي..»**[1].

«ووجه الدلالة أن جريجًا نسب ابن الزنى للزاني وصدق الله نسبته بما خرق له من العادة في نطق المولود بشهادته له بذلك، وقوله: **أبي فلان الراعي**، فكانت تلك النسبة صحيحة فيلزم أن يجري بينهما أحكام الأبوة والبنوة، خرج التوارث والولاء بدليل فبقي ما عدا ذلك على حكمه»[2].

---

(١) البخاري (٢٢٠٣) ومسلم (٣٦٢٥).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٣٩).

٢- أكثر مدة للحمل:

عند قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨]، ذكر القرطبي اختلاف العلماء في أكثر الحمل فقال:

«واختلف العلماء في أكثر الحمل، فروى ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة قالت: يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحول ظل المغزل، ذكره الدارقطني. وقالت جميلة بنت سعد - أخت عبيد بن سعد، وعن الليث بن سعد -: إن أكثره ثلاث سنين.

وعن الشافعي أربع سنين، وروي عن مالك في إحدى روايتيه، والمشهور عنه خمس سنين، وروي عنه لا حد له، ولو زاد على العشرة الأعوام، وهي الرواية الثالثة عنه، وعن الزهري ست وسبع.

قال أبو عمر: ومن الصحابة من يجعله إلى سبع، والشافعي: مدة الغاية منها أربع سنين، والكوفيون يقولون: سنتان لا غير.

ومحمد بن عبد الحكم يقول: سنة لا أكثر.

وداود يقول: تسعة أشهر، لا يكون عنده حمل أكثر منها.

قال أبو عمر: **وهذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد، والرد إلى ما عرف من أمر النساء، وبالله التوفيق**»(١).

ويحاول هنا بعض المرجفين أن يزعموا أن الإسلام يخالف العلم لأنه جعل أكبر مدة للحمل تصل لأربع سنوات وأكثر، وهذا قد ثبت علميًا خطؤه، وهذا يشكك في صحة القرآن وكونه من عند الله.

وإلى هؤلاء نقول: هل هذا كان كلام الله؟ هل هذا ورد في القرآن؟ أم أنها أقوال العلماء قالوها باجتهاد منهم؟

إن كل هذه الأقوال كانت باجتهاد من العلماء ذكروها اعتمادًا على استقراء أحوال النساء وما عرف من أمرهم.

ولذلك أورد القرطبي كلام ابن عبد البر تعليقًا على هذه الأقوال:

قال أبو عمر -وهو ابن عبد البر-: «**وهذه المسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد، والرد إلى ما عرف من أمر النساء**».

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢٨٧).

فلماذا اخترتم أقوالاً معينة؟ ثم لماذا لم ينسبوا هذه الأقوال لأصحابها؟ ولماذا حاولوا نسبة هذه الأقوال كذبًا للقرآن؟؟ هذا هو الضلال بعينه.

وقد يتساءل البعض: كيف قال العلماء أن مدة الحمل قد تصل لأربع سنوات اعتمادًا على الواقع؟ فهل يمكن حدوث هذا في الواقع؟

والإجابة باختصار أن هذا قد يحدث بسبب خطأ في التقدير؛ لأن الناس كانوا يعتمدون على المشاهدة المجردة دون أجهزة وتحاليل طبية، فقد يحدث للمرأة حمل كاذب مثلاً فتبدأ في حساب فترة الحمل وبعدها بسنة أو اثنتين أو أكثر تحمل فعلاً، فتظن أن كل ذلك فترة للحمل، وتحدث الناس بذلك.

٣- شد وثاق الزوجة:

عند قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، رجح الطبري أن يكون معنى **(اهجروهن في المضاجع)** أي: شدوهن وثاقًا في بيوتهن(١).

وهنا يحاول البعض التشنيع على الدين والاستدلال بقول الطبري على أن الإسلام يهين المرأة وينتهك كرامتها ونحو ذلك.

والحقيقة إن هذا مجرد قول عالم من علماء المسلمين وخالفه فيه كثير من العلماء بل واعتبروه خطأً وهفوة.

فقال القرطبي: «وفي كلامه في هذا الموضع نظر»(٢).

وقال ابن العربي: «يا لها من هفوة من عالم بالقرآن والسنة»(٣).

فلماذا يقال على قول عالم واحد إنه قول الإسلام؟ ولماذا تنسب هفوة عالم للقرآن أو للإسلام؟ ولماذا كان هذا القول بعينه هو اختيار هؤلاء الضالين رغم مخالفة كثير من العلماء له؟ إن هذا المنهج الانتقائي لأعداء الإسلام يعكس مدى عجزهم وضعفهم عن الإتيان بشيء واحد يثبت خطأ القرآن في أي شيء.

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٩٤).
(٢) تفسير القرطبي (٥/ ١٧٢).
(٣) أحكام القرآن (١/ ٥٣٣).

الفصل الثاني

تساؤلات وافتراءات حول النسخ في القرآن



ما معنى النسخ؟

في اللغة[1]:

١ - الرفع والإزالة. (وهو الوارد في الشرع).

ومنه يقال: نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح الأثر.

٢ - وقد يطلق لإرادة ما يشبه النقل مثل قولك: نسخت الكتاب، أي: النقل من الأصل مع بقاء الأول.

- في الاصطلاح الشرعي:

«رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم، بخطاب متراخ عنه»[2].

ما شروط النسخ؟

١ - أن يكون الحكم الأول ثابت بخطاب شرعي، أي بآية قرآنية أو حديث شريف.

٢ - أن يكون الحكم الثاني ثابت بخطاب شرعي أيضًا ولكنه متأخر عن الأول أي جاء بعده.

٣ - ألا يكون للحكم المنسوخ مدة معلومة، بل كان مطلقًا قطع دوامه الحكم الثابت بالخطاب الثاني.

٤ - ألا يكون الحكم الأول معلقًا بسبب أو علة معينة زال بزوالها، ووجد بوجودها، فإذا أمر المسلمون بالعفو في أول الأمر ثم أمروا بالقتال فلا يقال: إن الأمر بالعفو منسوخ بالأمر بالقتال.

قال السيوطي: «ما أمر به لسبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال، وهذا في الحقيقة ليس نسخًا بل هو من قسم المنسأ، كما قال تعالى: «أو ننسأها»، فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك بل هي من المنسأ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة تقتضي ذلك الحكم بل ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ، إنما النسخ: الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله»[3].

في أي شيء يقع النسخ؟

النسخ لا يقع إلا في الأوامر والنواهي، سواء أكانت صريحة في الطلب أو كانت بلفظ الخبر المراد منه الأمر أو النهي، على أن يكون ذلك غير متعلق بالاعتقادات التي ترجع لذات الله

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص١٠٨٠)، ولسان العرب (٣/ ٦١).

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن (ص٢٢٣).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٧).

وصفاته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، والآداب الخلقية، وأصول العبادات التي لا تخلو الشرائع السماوية كلها عنها.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

فلا يقع النسخ في:

- الأخبار.
- الوعد والوعيد.
- أصول الدين.
- الأخلاق...

ما الدليل على وقوع النسخ في القرآن؟

- قول الله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وفي قراءة ابن كثير وأبي عمرو «أو ننسأها» أي: نؤخرها.

- وقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

«قال الجمهور: إذا نسخنا آية بآية أشد منها على الكفار»[(١)].

وأجمع علماء السلف على وقوع النسخ في الشريعة[(٢)] وقد نقل هذا الإجماع القرطبي وابن قدامة وكثير من الأصوليين، ومن نقل عنه خلاف في ذلك فحقيقته خلاف لفظي كما يتبين عند البحث والدراسة.

ما سبب نزول قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٦]؟

السبب كما نقل أهل العلم أن الكفار قالوا: أترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، فما كان هذا القرآن إلا من جهته، ولهذا يناقض بعضه بعضًا، فنزلت هذه الآية، وآية ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾[(٣)].

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن (ص٢٢٣).

(٢) ولم يخالف إلا أبو مسلم الأصبهاني الأندلسي ومن تابعه كالحضرمي وغيره، وهم محجوجون بالنقل والعقل وخلافهم في ذلك غير معتبر.

وما تفسير هذه الآية؟

- «ما ننسخ»: ما نرفع من حكم آية ونبقي تلاوتها.

- «أو ننسها»: النسيان في اللغة له معنيان:

الأول: المحو من الذاكرة، ويكون معنى (أو ننسها): أو ينسيها الله نبيه والمسلمين لأنها نسخت حكمًا وتلاوة فلا حاجة لبقائها في الذاكرة.

الثاني: الترك، ويكون معنى (أو ننسها): أو نتركها فلا نبدلها، وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

وهناك قراءة صحيحة أيضًا (ننسأها): أي نؤخرها، فيكون المعنى: نؤخرها فلا ننسخها.

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾: نأت بحكم هو أفضل لكم إما عاجلاً بالتخفيف عليكم (مثل تخفيف فرض قيام الليل على المسلمين)، وإما آجلاً بزيادة الثواب والأجر (مثل فرض صيام شهر كامل هو شهر رمضان بدلاً من أيام معدودات).

«أو مثلها»: في نفس المستوى من المشقة والأجر (مثل تحويل القبلة).

وعلى ذلك يكون التفسير الإجمالي للآية هو: ما نبدل من حكم آية فنغيره، أو نترك تبديله فنقره بحاله، نأت بخير منها لكم إما في العاجل لخفته عليكم أو في الآجل بزيادة الثواب، أو نأت بمثل هذا الحكم في المشقة والأجر[2].

وقد يحاول البعض إثارة إشكال فيقول: كيف يأتي في الآية (خير منها)؟ هل تتفاضل آيات الله؟

الجـــــواب:

اختلف العلماء في ذلك، لكن الراجح الذي عليه جمهور أهل السنة هو:

أن الكلام عمومًا له نسبتان: نسبة إلى المتكلم به، ونسبة إلى المتكلم فيه، والكلام يتفاضل باعتبار النسبتين.

والقرآن كله كلام الله، فهو المتكلم به، وبذلك لا تتفاضل آيات القرآن حين النظر من هذه الجهة؛ لأنها مشتركة كلها في أنها كلام الله ومتساوية من جهة هذه النسبة (وهي المتكلِّم)، لكن قد يقع تفاضل من جهة النسبة الثانية (وهي المتكلم فيه)، مثال ذلك:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٦٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٦٩).

في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] المتكلم بهذا الكلام هو الله ﷻ، والمتكلم عنه هو الله تعالى أيضًا.

وفي قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] المتكلم بهذا الكلام هو الله ﷻ، والمتكلم عنه هو أبو لهب.

فالآيتان من الجهة الأولى متساويتان لأن كلاً منهما كلام الله، لكن من جهة النسبة الثانية فإن الآية الأولى كلام الله عن نفسه وصفته، والثانية كلامه تعالى عن بعض خلقه، والآيتان في هذه الجهة الثانية متفاضلتان، بحسب تفاضل المعنى المقصود بالكلامين [(١)].

وبذلك يفهم ما جاءت به النصوص من تفاضل السور والآيات، كما جاء النص بأن سورة الفاتحة هي أعظم سور القرآن [(٢)]، وأن آية الكرسي هي أعظم آياته [(٣)].

مع ضرورة التنبيه على أن تفاضل الآيات لا يلزم منه نقص في المفضول أبدًا، بل كل كلام الله تام حسن ليس فيه نقص، لأن المفاضلة لا يلزم منها نقص المفضول، فلو قلنا مثلاً أن أفضل الأنبياء هم أولو العزم، فهذا لا يستلزم انتقاصًا للأنبياء الآخرين.

وعلى ذلك نقول في قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾:

إن التفاضل هنا لا يعود إلى الكلام في نفسه، وإنما إلى ما يتعلق به من مصالح العباد، فالآية الناسخة تحمل خيرًا عاجلاً بالتخفيف أو آجلاً بزيادة الأجر كما وضحت آنفًا.

كما يمكن أن نقول أن الآية الثانية ناسخة محكمة والأولى منسوخة وهذا نوع تفاضل، وهو مفهوم قول الإمام مالك.

وقد لا يقصد بـ «خير» في الآية التفضيل، بل يقصد بها مطلق الخيرية، مثل قولك: أتيت بخير عظيم من المدينة، (فهنا يقصد بها مطلق الخير دون تفضيل).

أما قولك: أنا خير من فلان (فخير هنا تفيد التفضيل).

فلو كانت «خير» في الآية بالمعنى الأول فالمقصود بها مطلق النفع والأجر، لا الخير الذي بمعنى الأفضل.

---

(١) انظر: ابن تيمية في جواب أهل العلم والإيمان (ص١٩).

(٢) انظر: صحيح البخاري حديث رقم (٤٢٨٠).

(٣) انظر: صحيح مسلم حديث رقم (١٣٤٣).

وفي النهاية نعود لنؤكد أن وجود تفاضل بين بعض الأحكام والآيات لا يدل على نقص في المفضول مطلقًا، بل ما جاء من عند الله كامل كله، تام كله، حسن كله.

جاء في تفسير قوله تعالى (أو ننسها) أي ينسيها الله لنبيه والمسلمين، فهل ينسى رسول الله ﷺ؟ وهل يقدح ذلك في حفظ الدين؟

الجـــــواب:

النسيان جائز على رسول الله ﷺ إلا فيما يخل بالتبليغ.

فقد ورد أن رسول ﷺ سمع رجلاً يقرأ في المسجد فقال: «**يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا من سورة كذا كنت أنسيتهن**» أو «**أسقطتهن**» في رواية (١).

والمراد بالإسقاط هنا النسيان كما جاء في الرواية الأولى، ولقوله (أذكرني).

وهذه الآيات التي نسيها الرسول كان قد حفظها من قبل، واستكتبها كتاب الوحي، وحفظها جمهرة من الصحابة في صدورهم، يبلغ عددهم مبلغ التواتر، فنسيان الرسول المؤقت لها لا يؤثر في تبليغه، حيث إن التبليغ قد تم وكتبها الكتاب وحفظها الحفاظ.

فإن أضفنا إلى ذلك مدارسة جبريل للنبي وعرض النبي ﷺ للقرآن عليه في كل سنة مرة، وفي آخر سنة مرتين، تبين بجلاء أن هذا النسيان المؤقت غير مؤثر إطلاقًا.

فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله قال: «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي**»(٢).

هذا بالنسبة للنسيان المؤقت أو مجرد غيبة الذهن.

لكن ماذا عن النسيان المذكور في الآية؟

قلنا إن للآية قراءتين صحيحتين:

١- ننسأها: أي نؤخرها، أي: نؤخر نسخها ونرجئه.

٢- ننسها: ولها معنيان في اللغة:

- نتركها، أي: نترك نسخها وهو تفسير ابن عباس والسدي وهو ما رجحه الطبري والقرطبي وغيرهم، وهو المتوافق مع سياق الآية.

---

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري (٢٤١٦)، ومسلم حديث رقم (١٣١٢).
(٢) البخاري حديث رقم (٣٣٥٣)، ومسلم حديث رقم (٤٤٨٨).

- نمحها من الذاكرة (فالنسيان هنا من عدم الذكر).

ويكون معنى الآية: ما نبدل من حكم آية مع ثبوت خطها، أو نرفعها (أي: ننسخها حكمًا وتلاوة) نأت بأفضل منها لكم في العاجل أو الآجل.

فالآية التي تنسى هي الآية التي نسخت حكمًا وتلاوة، فلا حاجة لتذكرها، وهذا وجه في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦-٧].

ومن المعلوم أن النسخ أنواع منها: نسخ الحكم والتلاوة، وهذا النوع إن وقع في آية من الآيات فلا إشكال أن تنسى حيث لم يعد هناك حاجة لوجودها، فلم تضع هذه الآيات لإهمال أو لنسيان مع الحاجة إليها، وإنما نسخت وانتهى العمل بها وأراد الله لها أن تنسى.

وعلى مثل ذلك تحمل الروايات الدالة على عدم وجود بعض الآيات كرواية أن الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة - إن صحت هذه الرواية -، فهذا وجه من وجوه النسخ كما ذكره المحققون كابن المسيب والقرطبي والسيوطي وغيرهم.

الافتراء: كيف تقولون بوجود النسخ في القرآن، رغم أنه يلزم منه إثبات البداء على الله ﷻ، والبداء هو ظهور المصلحة بعد خفائها، أي أن الله ظهر له مصلحة لم تكن ظاهرة من قبل، وهذا انتقاص لله تعالى؟

والجـــــواب:

لا يلزم منه البداء أساسًا؛ لأننا نقول إن الله يعلم ابتداء ومنذ الأزل أن الحكم الأول سيكون كذا وكذا، ثم سينسخ هذا الحكم بعد ذلك بالحكم الثاني.

فالمسلمون لا يقولون أن سبب النسخ هو أن الله ظهر له مصلحة لم تكن ظاهرة من قبل، فهذا كفر والعياذ بالله، وانتقاص لحق الله لا يقبله الإسلام.

لكننا نقول: إن الله يعلم أنه سينسخ هذا الحكم قبل أن يشرعه، ولكن لحكمة معينة أراد الله تشريع حكم معين في زمان معين لتحقيق مصلحة معينة، ثم نسخ هذا الحكم مراعاة للأصلح والأنفع للعباد بعد ذلك.

الافتراء: كيف يشرع الله حكمًا وهو يعلم أنه سينسخه؟ وإذا كان يعلم أنه سينسخه فلماذا شرعه من الأساس؟ ألا يلزم من ذلك أن الحكم الأول شرع عبثًا؟

الجـــــواب:

الله شرع الحكم الأول لأنه علم أنه سيكون الأنفع والأصلح في البداية، وحتى يحقق مصالح معينة عندما تتحقق يكون الحكم الثاني هو الأنسب.

فالحكم الأول كان هو الأنسب كبداية حتى تتحقق المصلحة المرجوة منه، والحكم الثاني كان هو الأنسب في وقته وأوانه بعد تحقق مصلحة الحكم الأول.

والعقل لا يرفض تطوّر المأمورات والمنهيات نظرًا إلى مراعاة الأصلح والأنفع.

فقد أباح الله ﷻ لأبناء آدم الزواج من أخواتهم لأن المصلحة كانت تقتضي ذلك حتى يستمر الجنس البشري، وفي وقت لاحق تم تحريم زواج الأخ بأخته؛ لأن هذا صار هو الأنفع للبشرية.

ونعطي على ذلك مثالاً من الواقع:

لو أن طبيبًا يعالج مريضًا فوضع له برنامج علاجي كتبه من البداية بحيث يعطي المريض في فترة العلاج الأولى دواء معينًا، ثم يغير هذا الدواء في مرحلة علاجية تالية، ثم يغيره في مرحلة أخرى،... وهكذا.

فهل يوصف هذا البرنامج بأنه عبثي لأن الدواء فيه يتغير في كل مرحلة؟ بالطبع لا؛ لأن الطبيب يعطي المريض في كل فترة علاجية الدواء المناسب الذي يحقق أهداف هذه الفترة العلاجية.

وقل مثل ذلك أيضًا في المدرب الذي يضع البرنامج التدريبي للاعبين، فيغير في الجرعات التدريبية وأنواع التدريبات بما يتناسب مع الأهداف المراد تحقيقها في كل مرحلة تدريبية، ففي المرحلة المراد فيها رفع اللياقة البدنية يتم التركيز على التدريبات البدنية، وفي المرحلة المراد فيها رفع مستوى المهارة الفنية يتم التركيز على التدريبات المهارية... وهكذا.

والعقل والعلم لا يرفضان التغير الذي يقع في الدواء وجرعات التدريب ولا يتهمون الأطباء أو المدربين بالجهل أو العبثية رغم علمهم المحدود، فكيف يقال ذلك على الله جل شأنه الذي وسع كل شيء حكمة وعلمًا.

افتراء: يزعم بعض الجهال أن النسخ يدل على التناقض، لأنه يلزم منه أن يكون الشيء حلالاً وحرامًا، وهذا تناقض.

الجـــــواب:

هذا غير صحيح، لأن الأمر بالشيء والنهي عنه لا يجتمعان في وقت واحد، والتناقض يكون باجتماع الأمرين في الشيء الواحد في نفس الوقت، أما السماح به في وقت وتحريمه في وقت آخر فلا تناقض فيه.

فلو قلت مثلاً: ممنوع اللعب في وقت المذاكرة، ومسموح به في وقت الراحة.

فليس في هذا تناقض رغم كون اللعب يوصف بأنه ممنوع ومسموح، ولكن منعه له وقت، والسماح به له وقت آخر.

ما هي أنواع النسخ في القرآن؟

أنواع النسخ في القرآن:

١ - ما نسخ حكمه وتلاوته:

ومثاله قول عائشة: «كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ في القرآن»[1].

والمقصود بقولها: «توفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ في القرآن»، كما ذكر العلماء كالنووي والسيوطي[2]: أي أن بعض الصحابة لم يبلغهم النسخ لقرب عهده بوفاة النبي ﷺ، فلم يعلموا هذا النسخ إلا بعد وفاة النبي ﷺ فكانوا يقرأونها بعد وفاته.

٢ - ما نسخ حكمه دون تلاوته:

قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، نسخه قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[البقرة: ٢٣٤].

فنسخ اعتداد المرأة بالحول، وجعلت العدة أربعة أشهر وعشرًا، فالآية الأولى نسخت حكمًا فقط لا تلاوة.

اعتراض: ما الحكمة في بقاء تلاوة الآية المنسوخة رغم نسخ حكمها؟

الجـــــواب:

الحكم والفوائد كثيرة لعل منها:

١ - الثواب على التلاوة، فالقرآن كله يثاب على تلاوته.

٢ - النسخ غالبًا للتخفيف فأبقيت التلاوة تذكيرًا لهذه النعمة.

٣ - لدراسة مراتب التشريع وتدرجه والاستفادة من ذلك في فهم روح الشريعة، والوقوف على بعض أسرار التشريع.

٣ - ما نسخ تلاوته دون حكمه:

---

(١) مسلم حديث رقم (٢٦٣٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٣/ ٢٥٥).

مثاله: ما جاء في أن آية الرجم: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عليم حكيم»(١)، نسخت تلاوتها وبقي حكمها.

اعتراض: ما الحكمة في بقاء نسخ تلاوة آية رغم بقاء حكمها؟

الجـــــواب:

لذلك حِكَم متعددة منها: إظهار مقدار طاعة هذه الأمة فيسرعون لتنفيذ الأمر بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام، والمنام أدنى طرق الوحي.

وقال السيوطي في حكمة نسخ تلاوة آية الرجم: «التخفيف على الأمة بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها في المصاحف، وإن كان حكمها باقيًا؛ لأنه أثقل الأحكام وأشدها وأغلظ الحدود، وفيه إشارة إلى ندب الستر»(٢).

ما مقدار النسخ في القرآن؟

وقع خلاف بين أهل العلم في ذلك بين موسع ومضيق، فمن أولئك من توسع في النسخ بشكل كبير، ومنهم من ضيق الأمر جدًا.

والخلاف في الغالب مرجعه إلى أمور منها:

١- الخلاف في تحديد معنى النسخ كاصطلاح، فمن الأصوليين من جعل التخصيص والتقييد من النسخ.

فمنهم من جعل قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥]، ناسخًا لقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١]، والصحيح أنه من التخصيص.

ومنهم من جعل ما كان عليه الأمر في الجاهلية أو شرع من قبلنا كإباحة الزواج من نساء الآباء وعدم انحصار الطلاق في الثلاث جعله منسوخًا بنصوص القرآن.

وهذا التوسع جعلهم يدخلون الكثير من الآيات في الناسخ والمنسوخ وهي ليست منه.

٢- الاختلاف في شروط ووسائل إثبات النسخ، وما يعتبر في إثبات النسخ وما لا يعتبر، والشروط في كل من الناسخ والمنسوخ، مثل اختلافهم في نسخ القرآن بالسنة، ونسخ السنة بالقرآن، وطرق الجمع والترجيح.

(١) ابن ماجه (٢٥٤٣) وأصله في الصحيحين.
(٢) الإتقان (٢/ ٣٣٤).

لكن المحققين من أهل العلم ذكروا أن عدد الآيات التي وقع فيها النسخ لا يتجاوز العشرين آية كما ذكر السيوطي في الإتقان في مبحث جيد[1].

ما أمثلة وقوع النسخ في القرآن؟

الجـــــواب:

من أمثلة الناسخ والمنسوخ في القرآن:

الناسخ	المنسوخ
- آية المواريث. - حديث: «لا وصية لوارث». - وقيل: الإجماع، حكاه ابن العربي.	١- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١٨٠].
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. لما نزلت اشتد ذلك على الصحابة فقالوا: كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت هذه الآية ولا نطيقها. فقال ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم؟ أراه قال سمعنا وعصينا». قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم وجرت بها ألسنتهم، أنزل الله في إثرها: آمن الرسول... ونسخها الله فأنزل لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها. أخرجه مسلم (١٧٩).	٢- ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].
﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].	٣- ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾[النساء: ٣٣].

---

(١) راجع: الإتقان (٢/ ٣٢٩).

المنسوخ	الناسخ
٤- ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤٢].	﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]. قاله النحاس في الناسخ والمنسوخ. وقيل: التخيير في أهل الموادعة، والإلزام في أهل الذمة، ذكره القرطبي.
٥- ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].	﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]. وقيل: هي غير منسوخة والمعنى أن المؤمن لا يتزوج بزانية وهم عالم بزناها، فإن علم أنها زانية يؤمر بطلاقها، فإن طلقها وإلا يأثم، ولا يجوز التزوج بالزانية إلا لو ظهرت توبتها فحينئذ يجوز النكاح، ذكره القرطبي.
٦- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤].	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

كيف يعرف النسخ؟ وما الوسائل الصحيحة في إثبات النسخ؟

لا يجوز النسخ بالاحتمال، وإنما يجب أن يستند النسخ لأدلة واضحة مثل:

١- قول الشارع الصريح أو ما في معناه:

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٦٥].

﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦][(١)].

(١) فائدة: قيل هذا تخفيف لا نسخ، وقيل إن الحكم إذا نسخ بعضه أو بعض أوصافه أو غير عدده فجائز أن يقال هذا نسخ لأنه ليس بالحكم الأول بل هو غيره.

٢ – ذكر الصحابي ما يفيد تقدم أحد الحكمين:

مثل قول ابنِ عبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا» قَالَ: فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[1].

٣ – تصريح الصحابي بآخر الأمرين:

مثل قول جابر رضي الله عنه: «كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار»[2].

٤ – الإجماع الصحيح:

ويمثلون له بالإجماع على ترك قتل شارب الخمر في المرة الرابعة، إن صحّ انعقاد الإجماع على ذلك، وبالإجماع على ترك الوصية للوارث إن صح أنه الناسخ.

وينبغي التنبيه على أن الإجماع ليس هو الناسخ ولكنه وسيلة إثبات النسخ.

٥ – معرفة تأخر الناسخ بالتاريخ:

في مثل حديث الرجل الذي سأل النبي قائلاً: يا رسول الله! ما ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بالطيب؟

فقال ﷺ: «أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها»[3].

فقد كان ذلك في الجعرانة في ذي القعدة سنة ٨ هـ.

وحديث عائشة: «كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت»[4].

اعتراض: نعلم أن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ منذ الأزل، فما الذي كتب في اللوح المحفوظ هل الناسخ أم المنسوخ؟

الجـــــواب:

كلاهما مكتوب في اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه كل المقادير وما هو كائن إلى ما شاء الله،

---

(١) مسلم (١٨٠).
(٢) النسائي (١٨٥) وأصله في البخاري.
(٣) أخرجه مسلم (٢٠١٩).
(٤) البخاري (٢٥٩) ومسلم (٢٠٤٠).

فقد كتب أن آية كذا ستنزل ثم تنسخ بآية كذا كما حدث تمامًا في الواقع، فلا إشكال في ذلك.

فالإشكال عند صاحب هذا السؤال لأنه يظن أن النسخ لم يكن مرادًا من البداية وهذا خطأ، والصحيح كما فصلنا من قبل أن الله أراد أن ينزل هذه الآية ثم ينسخها بعد ذلك، أراد ذلك وعلمه وكتبه في اللوح المحفوظ من قبل أن ينزل القرآن، ومن قبل أن يخلق الخلق، فنحن لا نقول بالبداء ولا يلزم من قولنا بالنسخ تجدد علم الله بالشيء حتى يكون هناك إشكال في هذه النقطة.

افتراء: كيف يكون في القرآن ناسخ ومنسوخ، أليس هذا اختلاف؟ وكيف يقع الاختلاف والله ﷻ يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

الجـــــواب:

ما المقصود بالاختلاف في الآية؟

ليس المقصود مطلق الاختلاف وإنما اختلاف التناقض والتضاد.

فالخلاف نوعان: خلاف تنوع، وخلاف تضاد.

والخلاف المقصود في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، كما قال ابن عباس، وقتادة وابن زيد هو: التناقض والتفاوت (١).

فهل النسخ يعد تناقضًا؟

سبقت الإجابة على هذا السؤال، حيث وضحت أنه يكون تناقضًا حين يؤمر بالشيء وضده في نفس الوقت وهذا لا يحدث أبدًا، فالنسخ إلغاء للمنسوخ وإثبات للناسخ فلا تعارض ولا تناقض ولا اختلاف.

الافتراء: كيف يقع النسخ والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] [الكهف: ٢٧]، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].
أليس النسخ تبديلًا لكلام الله؟

الجـــــواب:

المقصود بكلمات الله هنا هو: وعد الله ووعيده، وأخباره وهذه لا تتبدل ولا تتغير.

قال الطبري: «كلماته تعالى ما أنزل الله إلى نبيه محمد ﷺ من وعده إياه النصر على من خالفه

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٩٠).

وضاده والظفر على من تولى عنه وأدبر»[(١)].

فلا تبديل لكلمات الله، أي لا خلف لمواعيده، وذلك لأن مواعيده بكلماته.

وقال القرطبي: «أي ما وعد الله به فلا يقدر أحد أن يدفعه لا ناقض لحكمه ولا خلف لوعده»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي لا مغير لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه[(٣)].

مثل قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح: ١٥].

فقد أراد المنافقون تغيير كلام الله الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ ﴾ [التوبة: ٨٣]. فقالوا: «ذرونا نتبعكم».

وإن قلنا كلمات الله هي القرآن كما قال قتادة: الكلمات هي القرآن لا مبدل له لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون[(٤)].

فالمعنى أن الله حفظ القرآن أن يبدله أو يغير فيه أحد من الخلق، لكن الله ﷻ له أن يبدل في آياته كيفما شاء، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١٠١].

وبعد هذا الشرح دعونا نتساءل:

هل وجود النسخ في القرآن يشكل أي منقصة يشنع بها على الإسلام؟

بالطبع لا، بل هو من محامد الإسلام ومناقبه، ففيه ما يدل على تكامل الشريعة وتدرجها في تشريع ما يناسب من أحكام.

فكما وضحنا لا يدل النسخ على البداء، ولا يدل على وجود تناقض في القرآن، كما لا يدل على ضياع شيء من القرآن.

ولا يتعارض النسخ مع حفظ القرآن، لأن ما نسخ حكمه وتلاوته لم يعد من القرآن الذي وعد الله بحفظه.

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٤١).
(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٤١٧).
(٣) تفسير الطبري (١٠/ ١٣)، .
(٤) تفسير القرطبي (٧/ ٧١).

بل من علامات حفظ القرآن أننا نعلم ما نسخ حكمًا وتلاوة، وما نسخ حكمًا دون تلاوة، وما نسخ تلاوة دون حكم، وما لم ينسخ لا حكمًا ولا تلاوة، وهذه الدقة والتفصيل من دلائل حفظ القرآن والاعتناء العظيم به.

ثم إن الذي نسخ ذلك هو الله ﷻ، وهو الذي أخبرنا بهذا النسخ ولم يحدث ذلكم على يد أحد من البشر.

فأين المطعن في النسخ الذي يحاول الكافر العنيد أن يثبته؟

واسمحوا لي في نهاية هذا أن أسأل سؤالاً وأتولى الإجابة الموثقة عليه:

هل النسخ وقع في الإسلام فقط؟ وهل وقع النسخ في الكتاب الذي يقدسه النصارى؟

للإجابة على هذا السؤال تعالوا نستعرض النصوص التالية:

١- إنجيل متى الإصحاح (٥/ ٣٨):

«سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضًا».

٢- فيما يتعلق بحكم الطلاق:

المنسوخ: التثنية إصحاح (٢٤/ ١):

«إذا تزوج رجل بامرأة، ولم تغد تجد حظوة عنده لعيب أنكره عليها، فعليه أن يكتب لها كتاب طلاق ويسلمه إلى يدها ويصرفها من بيته».

الناسخ: متى إصحاح (٥/ ٣١-٣٢):

«وقيل أيضًا: من طلق امرأته؛ فليعطها كتاب طلاق، أما أنا فأقول لكم: من طلق امرأته إلا في حالة الزنى يجعلها تزني، ومن تزوج مطلقة زنى».

٣- فيما يتعلق بحكم العمل يوم السبت:

المنسوخ: اللاويين إصحاح (٢٣/ ٣):

«في ستة أيام تعمل عملاً، وفي اليوم السابع سبت عطلة مقدس تحتفلون به ولا تعملوا عملاً في جميع دياركم، فهو سبت للرب».

الناسخ: رسائل بولس/ رسالة كولوسي الإصحاح (٢/ ١٦):

«لا يحكم عليكم أحد في المآكل والمشروب أو في الأعياد والأهلة والسبوت»

وكذلك الختان وأكل لحم الخنزير والذبائح وغيرها وراجع تفسير الأب انطونيوس فكري لهذا النص حين قال بالحرف: «كل هذه الأمور لم يعد لها معنى بعد المسيح، بعد أن حررنا من نير الخطية».

وأختم بالنص التالي: رسالة إلى العبرانيين الإصحاح (٧/ ١٨).

«فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم فائدتها».

(وبحسب الترجمة اليسوعية):

«وهكذا نسخت الوصية السابقة لضعفها وعدم فائدتها».

وانظر أخي الكريم في سبب نسخ الوصية عند أولئك القوم، فالسبب هو: ضعفها وعدم فائدتها!!

فهل يقول أحد من المسلمين في نص منسوخ أنه ضعيف أو عديم الفائدة؟؟ حاشا لله أن يصدر مثل ذلك من شخص مسلم في قلبه مثقال ذرة من تعظيم الله ﷻ.



الفصل الثالث

الافتراءات
حول الأخطاء اللغوية المزعومة
في القرآن الكريم



هل يمكن أن يكون في القرآن أخطاء لغوية نحوية؟[1]

للإجابة على هذا السؤال لا بد أن نعرف أولاً متى نشأ علم قواعد النحو؟ وكيف نشأ؟ وهل نشأ بمعزل عن القرآن؟ أم أن القرآن هو المصدر الأساسي لهذا العلم وتلك القواعد كلها؟

إن الإجابة بسهولة ويسر أن علم قواعد النحو لم يكن له وجود قبل نزول القرآن، ولكن العرب كانوا يتحدثون اللغة العربية بالسليقة والطبيعة كما نتحدث نحن العامية، فكانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول دون أن يتعلموا قواعد اللغة العربية.

فلو أنك سألت فطاحل شعراء العرب مثل عنترة أو امرئ القيس أو طرفة بن العبد وغيرهم من شعراء الجاهلية عن الموقع الإعرابي لكلمة ما فإنه لن يفهم ماذا تقصد من سؤالك؟ فلم يكن لتلك القواعد النحوية وجود بشكل نظري، ولكنهم كانوا يتحدثون اللغة بشكل صحيح من الناحية العملية.

بل إن قول أحد هؤلاء الشعراء الجاهليين يعتبر في حد ذاته حجة في النحو، ولو طالعت أيًا من كتب النحو لوجدت مصنف الكتاب يحتج على القاعدة بآية من القرآن أو حديث شريف من السنة النبوية، أو بيت من الشعر الجاهلي.

وأكثر من ذلك إن علم قواعد النحو نشأ أساسًا لخدمة القرآن، فبعد دخول كثير من غير العرب إلى الإسلام كان من الصعب عليهم أن يقرءوا القرآن بشكل صحيح لعدم درايتهم باللغة العربية.

ولم يكن في ذلك الوقت مدارس لتعليم اللغة العربية، بل كان العرب يتعلمون اللغة من خلال الممارسة العملية، وكان أهل الحضر يدفعون أبناءهم إلى البدو ليدركوا الفصاحة والبلاغة، فكيف يمكن لهؤلاء الأعاجم إدراك هذه اللغة وتعلمها؟

هنا نشأت الحاجة لوضع قواعد وضوابط يمكن من خلال تعلمها ضبط اللسان عن الخطأ في اللغة، فما هي المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لوضع تلك القواعد؟

لابد من مصادر عربية صافية صحيحة لم تتأثر بمخالطة الأعاجم؛ لذلك اختار واضعو

---

(١) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع، انظر: كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، وتأويل مشكل القرآن لابن قتية، وطبقات الشعراء لابن سلام، والبيان والتبين للجاحظ (١/ ١٦٣)، والإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي (ص٩٥).

علم النحو المصادر التي اتفق العرب قاطبة على صحتها وفصاحتها، وكان في مقدمة هذه المصادر القرآن الكريم الذي اتفق العرب مسلمهم وكافرهم على أنه بلغ الذروة في البلاغة والفصاحة، وأنه سلم من كل لحن أو خروج عن اللسان العربي الفصيح.

فالقرآن إذًا المصدر الرئيس الذي استند عليه واضعو علم النحو لتقرير قواعدهم، وكلهم متفقون على أن كل ما جاء في القرآن فهو حجة في اللغة.

فكيف يمكن أن يكون هناك تناقض من حيث المبدأ بين القواعد ومصدرها، ثم إن افترضنا جدلاً وقوع هذا التناقض، فأين سيكون الخطأ: هل في المصدر أم في القاعدة؟

من البدهيات أن الخطأ لا يمكن أن يكون في المصدر؛ بل فيما تفرع عنه.

وعلى كل حال فإنه لا يوجد خطأ لا في المصدر ولا في القاعدة إنما الخطأ عند الكافر العنيد المفتري صاحب الجهل المركب، الذي يزعم وقوع الأخطاء في القرآن.

ثم دعني أتساءل هل غابت هذه الأخطاء التي اكتشفها ذاك الكافر المجهول عن صناديد قريش العرب الأقحاح أهل اللغة والفصاحة والشعر؟

ألم يكونوا مترقبين لأي خطأ مهما كان صغيرًا حتى يتمهد لهم طريق للطعن في القرآن وفي الرسول الكريم ﷺ؟

قد يقول المكابر: ربما لم يكتشف كفار قريش هذه الأخطاء، وربما اكتشفوها وتواطؤوا على كتمانها، أو لم يكن عندهم ما يدفعهم لفضح هذه الأخطاء المزعومة، فما الرد على ذلك؟

إنَّ زعْم هذا المكابر أنه اكتشف أخطاء لم يكتشفها كفار قريش معناه أنه أعلم باللغة من أهلها وهذا زعم ظاهر البطلان.

ومن المستبعد جدًا كذلك أن يكتشف كفار قريش هذه الأخطاء المزعومة ثم يتواطؤون على كتمانها، أو لا يجدون ما يدفعهم لفضح تلكم الأخطاء؛ لأنهم كانوا في حاجة ماسة للطعن في هذا القرآن العظيم الذي نزلت آياته تتحداهم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، وهم عاجزون عن ذلك، وصار موقفهم في أشد درجات الحرج أمام العرب قاطبة، فهل نظن أن مثل هؤلاء المكابرين مع اشتداد خصومتهم مع المسلمين كانوا سيسكتون عن خطأ واحد في القرآن؟؟ أبدًا لا يمكن هذا.

ومما يزيد موقف ذاك العنيد حرجًا أن هؤلاء الكفار من أهل قريش رغم شدة عداوتهم

للإسلام قد صرحوا وأقروا ببلاغة القرآن وأسلوبه المعجز حتى وصفه أحد كبرائهم وهو الوليد بن المغيرة وقد كان من أعلمهم بالشعر والنثر وسجع الكهان فقال: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته»[1]، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وأحب أن أتوقف هنا لأشير إلى أن الوليد بن المغيرة عابد الأوثان والأصنام والذي مات على كفره كان أكثر أمانة وعدلاً في خصومته من ذاك العتيد الجاهل المتعالم الذي يتشدق بالأمانة العلمية والتجرد والفكر المنطقي.

والله لقد كان أهل الجاهلية من عباد الأوثان أشرف في خصومتهم وأرقى في سلوكهم وأخلاقهم من ذاك المتردي في هوة الأكاذيب المتلطخ بأدران الأباطيل، الذي اتخذ من الغش والتدليس حرفة، ومن الدجل والتلفيق صنعة بها يرتزق حفنة من الدولارات، وتفتح له بها أبواب الإعلام ليكون بوقًا يبث الكذب والغش والخداع.

وربما يقول مكابر: «إن كفار قريش لم يطلعوا على هذه الآيات التي اشتملت على الأخطاء التي اكتشفها ذاك الكافر العتيد، ولذلك لم يعلنوها».

ورغم ما في هذا الإيراد من سفاهة وكبر إلا أننا سنسلم لقائله تنزلاً معه ونقول له: فما قولك في الذين أسلموا من كبار الشعراء من أمثال حسان بن ثابت والخنساء وكعب بن زهير، وبجير بن زهير، وكعب بن مالك وغيرهم، هل لم يطلعوا أيضًا على هذه الأخطاء؟ أم تراهم يجهلون أصول اللغة وقواعدها؟

ثم هل كان سيد الخلق محمد ﷺ أعجميًا مثلاً؟ هل كان يعيش في بلاد الأعاجم؟

لقد كان أفصح العرب حيث نشأ في مواطن الفصاحة والبلاغة فهو عربي قرشي أبًا عن جدّ، قد أوتي جوامع الكلم، فلو كان رسولنا الكريم ﷺ هو الذي صنع القرآن كما يحاول أن يثبت هذا الكافر الدجال، فكيف يقع في أخطاء لغوية وهو العربي الأصيل؟

يزعم بعض الكاذبين أن القرآن كتبه بشر آخر غير رسولنا الكريم، ثم نقله الرسول لنا، ومن هنا قد يكون الخطأ قد وقع.

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٦١).

وهنا نسأل هل هذا البشر عربي أم أعجمي؟

فلو كان عربيًا أصيلاً فكيف يقع في الأخطاء اللغوية؟

ولو كان أعجميًا فبالطبع لم ينقل القرآن للناس مباشرة بل مرّ على الرسول العربي الفصيح الذي لن يفوته أن يصحح هذه الأخطاء بقريحته العربية الأصيلة.

إن مناقشة كل هذه الاحتمالات - رغم سذاجتها - يكشف لنا بجلاء استحالة تسرب أخطاء لغوية إلى القرآن في بيئة عربية مفعمة بالبلاغة والفصاحة مع عدم اكتشاف هذه الأخطاء أو إمرارها بلا تثريب أو تعليق.

فليت شعري من أين أتت هذه الأخطاء اللغوية إلى القرآن؟

هذا تساؤل أضيفه إلى التساؤلات السابقة لعل أحد أفراد تلك الشرذمة المرتزقة يقدح زناد فكره المتعفن ومنطقه السقيم ليجيبنا على هذه التساؤلات.

وله أن يسرح بخياله ليؤلف لنا أي قصة هزلية جديدة يكشف من خلالها كيفية وقوع هذه الأخطاء المزعومة في القرآن، فأمثال هؤلاء الكذابين قد درجوا على تأليف القصص الوهمية التي تشبه في سذاجتها وتخريفها الأفلام الخيالية الكرتونية التافهة، بل ربما فاقتها في ذلك.

وربما يقول ذاك المكابر الدجال: إن تلك الأخطاء لم تقع في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد صحابته الكرام، وإنما تسربت هذه الأخطاء إلى القرآن في زمان متأخر، ووقعت بشكل فردي من كتبة القرآن ونساخه.

وفي الرد على ذلك نقول: إن القرآن الكريم كان محفوظًا في الصدور وفي السطور «مكتوبًا» منذ زمن النبي ﷺ - وإن لم يكن مجموعًا كله في كتاب واحد - ثم جمعه أبو بكر بين دفتين في كتاب واحد على سبعة أحرف، ثم حدث الجمع الثالث في عهد عثمان على حرف واحد، وهكذا استمر تداول القرآن محفوظًا بطريقين هما:

الأول: حفظ الصدور، فلم يخل زمان من جموع غفيرة من حفظة القرآن في كل بلد ومصر، من الأطفال والرجال والشيوخ والنساء، من العرب والعجم، ممن يعرف القراءة ومن لا يعرفها، وهذا هو الطريق الرئيس في نقل القرآن بشكل متواتر جيلاً عن جيل.

الثاني: حفظ السطور، أي: حفظه مكتوبًا، وقد بلغت الدقة والعناية بكتابة المصحف الذروة في جميع العصور.

فلو افترضنا وقوع خطأ في أي زمن، فالسؤال الذي سيطرح نفسه هو:

كيف أطبقت كل النسخ على هذا الخطأ؟ وكيف اتفق كل حفاظ القرآن على هذا الخطأ رغم تفرقهم في كل بلاد العالم؟

إنه من المستحيل أن تتفق كل النسخ ويتفق جميع الحفاظ على شيء إلا إن كان موجودًا في الأصل، أما إن حدث خطأ في نسخة من النسخ فكيف سينتقل هذا الخطأ لجميع النسخ في كل البلاد، بل الأبعد من ذلك أن يفرض هذا الخطأ نفسه على ذاكرة الحافظ لينتزع منها القراءة الصحيحة ويضع مكانها الخطأ، فهل هذا ممكن؟ بالطبع هذا مستحيل، ولا يمكن أن يحدث.

إن وقوع خطأ بشكل فردي أمر قد يحدث، لكن سرعان ما سيكشف هذا الخطأ من خلال جموع الحفاظ ومن خلال مقارنته بالنسخ الصحيحة.

ولا أذيع سرًا حين أقول إن بعض أعداء الإسلام قد حاولوا نشر مصاحف من طباعتهم تشتمل على أخطاء، لكن سرعان ما اكتشفت هذه النسخ وتم سحبها من الأسواق، ولذلك فإننا نجزم بأن تحريك الجبال الشمخ من مكانها أيسر كثيرًا من تغيير حرف واحد من كتاب الله ﷻ القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

هذا كان الرد الإجمالي على شبهة الأخطاء اللغوية في القرآن، ونشرع بعون الله في الصفحات التالية في الرد التفصيلي على الافتراءات التي أوردها أولئك المرجفون لنرى حجم معرفتهم باللغة العربية ونعرف حقيقة مستوى ذاك الذي نصّب نفسه ناقدًا للقرآن العظيم:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣].

يقول المفتري: يجب أن تكون الآية، (إن هذين لساحران)، لأن هذين اسم أن ويجب أن ينصب بالياء، وطالما أنه بالألف في الآية فهو مرفوع، فكيف يرفع اسم أن؟

الجـــــواب:

من أكبر مشكلات أولئك المفترين وقوفهم موقف الناقد للقرآن وكأنهم من جهابذة اللغة رغم توقف معارفهم النحوية ـ إن علت ـ على حدود المرحلة الابتدائية المدرسية، لا يحسنون غير ذلك ولا تتجاوز معلوماتهم هذا أبدًا، فلم يعرفوا أن هناك وجوهًا إعرابية متعددة لهذه الآية نذكرها منها:

١ - «إن» مخففة ومهملة فلا عمل لها، أي أنها لا تنصب المبتدأ، و«هذان» اسم إشارة مرفوع

بالابتداء وعلامة رفعه الألف.

وهذا قول جملة من النحويين منهم علي بن عيسى [١].

قال ابن عقيل في شرحه للألفية: «إذا خففت «إن» فالأكثر في لسان العرب إهمالها؛ فتقول: إن زيدٌ لقائم» [٢].

وقال ابن مالك في ألفيته:

وخففت إنّ فَقَلَّ العَمَلُ   وتلزم اللامُ إذا ما تُهْمَلُ

فإن قيل: إنها جاءت في قراءات صحيحة مثقلة فالرد كما قال الألوسي: «إن ملغاة وإن كانت مشددة حملاً لها على المخففة كما أعملت المخففة حملاً لها عليها في قوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [هود: ١١١]، فهي مخففة في قراءة نافع وابن كثير وشعبة» [٣].

٢- إن هنا ليست الناسخة، بل هي إن بمعنى «نعم» ويكون المعنى: نعم هذان ساحران، وهو قول جماعة من النحويين منهم المبرد والأخفش الصغير وذكره أبو إسحاق الزجاج في تفسيره، وذكر أنه عرض هذا القول على المبرد وإسماعيل القاضي فقبلاه.

فهل تأتي «إن» بمعنى نعم في اللغة العربية؟

الإجابة: نعم، وذليل ذلك قول الشاعر وهو عبد الله بن قيس الرقيات:

بَكَرَ العَوَاذِلُ في الصَّبُو   ح يلمنني وألُومُهُنَّهْ

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قد عَلا   كَ وَقَدْ كبرتَ فقلتُ: إنَّهْ

أي فقلت: نعم.

ومما يستدل به على ذلك أيضًا: أن رجلاً قال لابن الزبير: لعن الله ناقة حملتني إليك. فأجابه ابن الزبير: إن وراكبها، (أي نعم، وراكبها أيضًا).

وعلى هذا الوجه يكون: هذان ساحران مبتدأ وخبر مرفوعان كالوجه السابق [٤].

---

(١) انظر: تفسير الألوسي (٩/ ٣٢٥).

(٢) شرح ابن عقيل (١/ ٣٤٦).

(٣) تفسير الألوسي (٩/ ٣٢٥).

(٤) التحرير والتنوير (٨/ ٢٥٢)، والكشاف، للزمخشري (ص٦٦٠)، واللمع، لابن جني، مع توجيه اللمع (ص١٥٥).

٣- إن هنا نافية، واللام الداخلة على ساحران بمعنى: إلا، فيكون المعنى: ما هذان إلا ساحران، وهذا قول الكوفيين من النحاة، وعلى هذا القول تكون هذان مبتدأ مرفوع.

٤- «إن» ناسخة وناصبة، وهذان اسمها، ومجيء اسم الإشارة بالألف مع أنه منصوب جار على لغة بعض العرب من إجراء المثنى وما يلحق به بالألف دائمًا، وهو قول أبي حيان وابن مالك والأخفش و أبي علي الفارسي[١].

فهل يمكن ذلك في اللغة العربية؟ هل يمكن أن يكون المثنى منصوبًا ورغم ذلك يكون بالألف؟ الإجابة: نعم، وهذه لغة بعض العرب مثل بلحارث، ومما يستدلون به على ذلك قول الشاعر أبي النجم العجلي:

واهًا لريا ثم واهًا واها　　　يا ليت عيناها لنا وفاها

وموضع الخلخال من رجلاها　　　بثمن نرضي به أباها

فكلمة (عيناها) في البيت الأول اسم ليت منصوب وهو مثنى، ورغم ذلك كتب بالألف (عيناها) وليس بالياء (عينيها).

وكذلك كلمة (رجلاها) في البيت الثاني مجرورة بمن وهي مثنى ورغم ذلك كتبت بالألف (رجلاها) ولم تكتب بالياء (رجليها).

ومنه قول الشاعر:

تزود منا بين أذناه طعنة　　　دعته إلى هابي التراب عقيم

فأذناه في موضع جر بالإضافة إلى الظرف بين، ورغم ذلك فهي بالألف (أذناه) وليس بالياء (أذنيه)، والأمثلة على ذلك في لسان العرب كثيرة.

وهذه لغة كنانة وبني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني هجيم وبطون من ربيعة وخثعم وهمدان وعذرة.

قال ابن عقيل في شرح الألفية: «ومن العرب من يجعل المثنى والملحق به بالألف مطلقًا: رفعًا ونصبًا وجرًّا، فيقول: جاء الزيدان كلاهما، ورأيت الزيدان كلاهما، ومررت بالزيدان كلاهما»[٢].

---

(١) تفسير الألوسي (٩/ ٣٢٥).

(٢) شرح ابن عقيل (١/ ٦٠)، وانظر: التحرير والتنوير (٨/ ٢٥٣).

وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «قالوا إن هذان لساحران» وهذه لغة لبعض العرب، جاءت هذه القراءة على إعرابها [(١)].

٥- «إن» ناسخة ناصبة، واسمها ضمير الشأن محذوف، و(هذان ساحران) مبتدأ وخبر، والجملة في محل رفع خبر إن.

والمعنى إنه (أي: إن الحال والشأن) هذان لساحران.

وإلى ذلك ذهب قدماء النحاة [(٢)].

هذه بعض الوجوه النحوية وجّهها كبار النحويين وفطاحلهم وهناك وجوه أخر، فهل يظن أولئك العجاوات أنفسهم أعلم في النحو من هؤلاء العمالقة؟

وحين يصاب هؤلاء السفهاء بالصدمة من كم تلك التخريجات النحوية للعلماء التي تنسف افتراءهم من أساسه، فإنهم يحاولون إنقاذ ماء وجههم بفرية أخرى فيزعمون في جهل أن تعدد وجوه الإعراب في هذه الآية يدل على ضعف أو اضطراب.

ونقول: بل ذلك من أسرار قوة القرآن ودلائل إعجازه، فالإعراب فرع المعنى، وفي تعدد الوجوه الإعرابية تعدد للمعاني دون اضطراب، فهي معانٍ على تعددها متفقة متسقة تتحد في مقصودها، وبهذا دلت العبارة ذات الحروف القليلة على معانٍ كثيرة.

قال الطاهر بن عاشور: «ونزول القرآن بهذه الوجوه الفصيحة في الاستعمال ضرب من ضروب إعجازه لتجري تراكيبه على أفانين مختلفة المعاني متحدة المقصود» [(٣)].

فجملة: «إن هذان لساحران»، يختلف معناها في كل وجه إعرابي سابق، لكنها في النهاية تؤدي إلى مقصود واحد، وهذا من ضروب الإعجاز.

وقبل أن أنتقل إلى إعراب آية أخرى أحب أن أرد على افتراءين يوردهما عصبة الغشاشين ليدلسوا بهما على عوام المسلمين.

الأول: أنهم يقتطعون من قول النسفي في تفسيره العبارة التالية: «قرأ أبو عمرو [(٤)]: «إن

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥١).
(٢) روح المعاني (٩/ ٣٢٥).
(٣) التحرير والتنوير (٨/ ٢٥٤).
(٤) هم غالبًا يكتبونها (أبو عمر) خطأ لجهلهم، فهم ينقلون الكلام عن بعضهم بأخطائه دون تدقيق،

هذين لساحران» وهو ظاهر، ولكنه مخالف للإمام...».

وهم يحاولون من وراء ذلك الإيحاء بأن معنى كلام النسفي أن هذه القراءة غير صحيحة، وغير معتبرة.

وهذا بالطبع غير صحيح، لأن من القراءات المتواترة الصحيحة قراءة: «إن هذين لساحران»، وهي قراءة أبو عمرو بن العلاء البصري.

فقد تعددت وجوه القراءات الصحيحة المتواترة لهذه الآية على النحو التالي:

(إنْ هذانِّ) وقرأ بها ابن كثير.

(إنَّ هذينِ) وقرأ بها أبو عمر بن العلاء.

(إنْ هذان) وقرأ بها حفص.

(إنّ هذانِ) وقرأ بها الجمهور كنافع، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر.

جاء في الشاطبية:

وهذين في هذان حجّ وثِقلُهُ دنا فاجمعوا صِلْ وافتح الميم حُوّلا[1]

قال الإمام السبكي: «القراءات التي اقتصر عليها الشاطبي والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه نزل على رسول الله ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل»[2].

فقراءة أبو عمرو «إن هذين لساحران»، قراءة صحيحة متواترة موافقة للإعراب مخالفة لرسم المصحف كما ذكر القرطبي[3]، ولكن كما قال الطاهر ابن عاشور: «ذلك لا يطعن فيها لأنها رواية صحيحة، ووافقت وجهًا مقبولاً في العربية»[4].

فما الذي يحمل ذاك المفتري ومن تابعه على نقل كلام النسفي في هذا الموضع؟ ولماذا يقتطعون هذه العبارة بالذات ولا ينقلون السياق كاملاً؟

فالمقصود هو أبو عمرو بن العلاء البصري.

(١) انظر الشاطبية وشرحها الوافي ص٢٦٢.

(٢) فتوى السبكي الشافعي، لابن الجزري.

(٣) تفسير القرطبي (١١/ ٢١٦).

(٤) التحرير والتنوير (٨/ ٢٥٤).

وربما يجيب الدجال بأنه اكتفى بهذه العبارة لأنها دلت على مقصوده، وأنه لا حاجة للإطالة بنقل كلام النسفي كاملاً؛ لأنه لن يفيدنا في الموضوع محل البحث.

ولو كان الأمر كذلك لوسعني احترام كلام الكذاب العنيد في هذا الموضع ولأظهرت اتفاقي معه، ولكن الحقيقة أن هذا العنيد مدلس ينقل بشكل انتقائي مبتور، لأن ما تبقى من كلام النسفي في نفس الموضع فيه رد ينسف هذه الفرية، ولو كان ذاك العنيد فيه مسحة من الأمانة أو العدل لنقل كلام النسفي بتمامه حتى تظهر الحقيقة.

وهنا سأقوم بنقل كلام النسفي حتى تتضح الحقيقة.

قال النسفي: «قرأ أبو عمرو «إن هذين لساحران» وهو ظاهر، ولكنه مخالف للإمام: «إلى هنا انتهى ما نقله الدجال»، وإليك بقية كلام النسفي: وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة.

«إن هذان لساحران»: بتخفيف «إن» مثل قولك إن زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة والثقيلة، وقيل هي بمعنى لا واللام بمعنى إلا أي: ما هذان إلا ساحران، دليله قراءة أُبيّ: «إن هذان إلا ساحران»...

وقيل: هي لغة بلحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية في لغتهم بالألف أبدًا، فلم يقلبوها ياء في النصب والجر...

وقال الزجاج: إن بمعنى نعم... وهذان مبتدأ، وساحران خبر لمبتدأ محذوف، واللام داخلة على المبتدأ المحذوف، تقديره هذان لهما ساحران...»(١).

فهذه أربعة تخريجات نحوية ذكرها النسفي لهذه الآية، ومن العجيب حقًا أن ينقل الكافر العنيد من تفسير النسفي ولا يطلع على هذه التخريجات... فهل لم يقرأ العنيد سوى سطر واحد ولم يكلف نفسه قراءة ما بعده مباشرة؟ لا شك أنه قد قرأ كلام النسفي طالما أنه نقل من هذا التفسير، ولكنه تعمد ألا ينقل إلا تلك العبارة مقتطعة من سياقها، وهذا دأب من احترف التدليس والدجل، لكن الله مظهر كيد الكافرين.

إن هذا السلوك من هذه الشرذمة يعكس لنا أمورًا منها:

---

(١) تفسير النسفي (٦/ ٥٥).

١- افتقادهم للأمانة العلمية والأدبية.

٢- شعورهم بضعف موقفهم ووهنه؛ لأن الذي يلجأ للتدليس شخص فاقد الحجة.

٣- أن تساؤلات تلك الشرذمة ليست تساؤلات بريئة كما يزعمون، وأن قولهم: «ويسعدنا أن نصغي لمن يرد على هذه التساؤلات» هو كذب محض؛ لأنهم قد اطلعوا بالفعل على إجابات تساؤلاتهم لكنهم يظهرون خلاف ذلك.

٤- إن الغرض من إثارتهم لتلك التساؤلات هو غرض تجاري دنيوي، وتبًّا لمن باع نفسه وخلقه وخالف ضميره من أجل شهرة زائفة وأموال زائلة.

الافتراء الثاني: الاستدلال بما يروى كذبًا من كلام عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن هذه الآية فقالت: «يا ابن أختي، هذا من عمل الكتاب، أخطأوا في الكتابة»

والرد على هذه الشبهة يتخلص فيما يلي:

أولاً: هذه الرواية أخرجها الطبري في تفسيره[1]، وكذلك أو عبيد بن سلام في فضائل القرآن عن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت حين سألها عن قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وعن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وعن قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣]، قالت: ابن أختي، هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب».

وهذه رواية ضعيفة لا تصح؛ لأنها من طريق أبي معاوية محمد بن حازم الضرير وهو مدلس[2]، ولم يصرح بالسماع.

كما أن أبا معاوية ضعيف مضطرب في غير حديث الأعمش كما ذكر المحققون من علماء الحديث[3]، هذا من جهة السند.

ثانيًا: هذه الرواية لا تصح من جهة المعنى؛ لأن القرآن لم يتناقل مكتوبًا فقط، بل الطريق الرئيس في نقل القرآن هو المشافهة، فكيف وقع هذا الخطأ على ألسنة حفاظ القرآن؟

قال ابن عاشور: «فلا التفات إلى ما روي من ادعاء أن كتابة «إن هذان» خطأ من كاتب

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٣٤٤).

(٢) طبقات المدلسين (ص٣٦).

(٣) انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ١٢٩)، والتقريب (٢/ ٥١٢).

المصحف، وروايتهم ذلك عن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه، وعن عروة بن الزبير عن عائشة، وليس في ذلك سند صحيح.

حسبوا أن المسلمين أخذوا قراءة القرآن من المصاحف وهذا تغفل، فإن المصحف ما كتب إلا بعد أن قرأ المسلمون القرآن نيفًا وعشرين سنة في أقطار الإسلام، وما كتبت المصاحف إلا من حفظ الحفاظ، وما أخذ المسلمون القرآن إلا من أفواه حفاظه قبل أن تكتب المصاحف، وبعد ذلك إلى اليوم، فلو كان في بعضها خطأ في الخط ما تبعه القراء، ولكان بمنزلة ما ترك من الألفاظ في كلمات كثيرة، وبمنزلة ألف الصلاة والزكاة والحياة والربا، بالواو في موضع الألف وما قرأوها إلا بألفاتها»(١).

وقال الألوسي تعليقًا على هذه الرواية: «وهذا مشكل جدًا، إذ كيف يظن بالصحابة أولاً أنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن وهم الفصحاء اللد، ثم كيف يظن بهم ثانيًا الغلط في القرآن الذي تلقوه من النبي ﷺ كما أنزل ولم يألوا جهدًا في حفظه وضبطه وإتقانه، ثم كيف يظن بهم ثالثًا اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته، ثم كيف يظن بهم رابعًا عدم تنبههم ورجوعهم عنه، ثم كيف يظن بهم خامسًا الاستمرار على الخطأ وهو مروي بالتواتر خلفًا عن سلف؟!»(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩].

يقول المفتري: كيف جاءت كلمة (الصابئون) مرفوعة بالواو، في حين أنه يجب أن تكون منصوبة بالياء لأنها معطوفة على منصوب وهو اسم إن؟

الجـــــواب:

ذكر أهل العلم في إعراب كلمة الصابئون وجوهًا تكشف عن عظمة القرآن وبلاغته اللامحدودة، ومن هذه الوجوه:

١ - أن (الصابئون) هنا مبتدأ وخبره محذوف تقديره كذلك، والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها.

---

(١) التحرير والتنوير (٨/ ٢٥٤).
(٢) روح المعاني (٩/ ٣٢٣).

فيكون معنى الكلام على هذا الوجه: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك.

ولهذا الوجه شاهد ذكره سيبويه هو قول الشاعر.

وإلا فـــاعلموا أنـــا وأنـــتم بغـــاة مـــا بقينـــا في شـــقاق

أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك.

فإن قيل: فما فائدة هذا التقديم والتأخير؟

فالإجابة كما قال الزمخشري: «فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم، وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غيًّا، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبؤوا عن الأديان كلها، أي: خرجوا»[1].

فالواو هنا استئنافية، والعطف عطف جمل لا عطف مفردات، فالجملة الاسمية المكونة من الصابئون والخبر المحذوف (وتقديره: كذلك) معطوفة على جملة: إن الذين آمنوا.

وهذا رأي سيبويه[2]، ولعل هذا الكافر العنيد يظن أنه أعلم بالنحو من سيبويه.

٢ - الوجه الثاني وهو: قريب من الإعراب السابق أن نقول أن خبر «إن» محذوف وحذف خبر إن يرد في الكلام الفصيح كثيرًا كما ذكر سيبويه في الكتاب، وقد دل على الخبر، ما ذكر بعده من قوله ﷻ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ويكون قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، عطف جملة على جملة، فيكون «الذين» مبتدأ، والصابئون معطوف على المبتدأ فيكون حقه الرفع ولذلك جاء بالواو، وهذا الوجه رجحه الطاهر بن عاشور في تفسيره[3].

٣- الوجه الثالث أن تكون الواو هنا لعطف المفردات، والصابئون معطوف، ولكنه ليس معطوفًا على اسم إن، ولكنه معطوف على موضع إن واسمها وهو موضع رفع للابتداء[4]، وهذا رأي الكسائي والفراء من علماء النحو[5].

---

(١) تفسير الكشاف، للزمخشري (ص٣٠٢).

(٢) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٢/ ٢٦٩).

(٣) التحرير والتنوير (٤/ ٢٦٩).

(٤) وهو ما يسمى في النحو بالعطف على المحل، ولتقريب المعنى نعطي مثالاً: (إن محمدًا قادم وأحمد) نعتبر إن واسمها (إن محمدًا) وكأنها كلمة واحدة، فلو جاءت في أول الجملة فستكون في محل رفع مبتدأ، وما يعطف عليها (مثل كلمة أحمد) يكون مرفوعًا أيضًا لأنه معطوف على محل إن واسمها.

(٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه (٢/ ٢٧٠)، روح المعاني (٤/ ٢٩٥).

٤- الوجه الرابع: أن تكون كلمة: «الصابئون» معطوفة على الضمير المرفوع في «هادوا»، وبذلك تكون مرفوعة، وهذا القول منقول عن الكسائي أيضًا [(١)].

٥- الوجه الخامس: أن «الصابئون» منصوب ولكنه جاء على لغة بلحارث بن كعب الذين يجعلون جمع المذكر السالم بالواو والمثنى بالألف رفعًا ونصبًا وجرًّا [(٢)].

٦- الوجه السادس «إن» هنا ليست الناسخة ولكنها بمعنى نعم الجوابية ولا يكون لها عمل حينئذ، فيكون ما بعدها مرفوع على أنه مبتدأ، وتكون «الصابئون» معطوف على المبتدأ فيكون حقها الرفع [(٣)].

فكأن في السياق سؤالا مقدرًا عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٨]، فيسأل السائل عن حال من انقرضوا من أهل الكتاب قبل مجيء الإسلام: هل هم على شيء؟ وهل نفعهم اتباع دينهم أيامئذ؟

فوقع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَلَو...﴾، جوابًا لهذا السؤال المقدر [(٤)]، فكانت إن بمعنى نعم.

٧- الوجه السابع ذكره العكبري وهو أن يجعل النون حرف الإعراب وقال: «أجازه بعض النحويين والقياس لا يدفعه» [(٥)].

وهنا قد يورد عليك المرجفون سؤالاً حول آية سورة البقرة التي جاءت فيها كلمة (الصابئين) بالياء رغم تشابه الآيتين وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

ويتبجح ذلك العنيد فيقول: أي الآيتين الصحيح؟

وللإجابة على ذلك نقول: إن الإعراب فرع المعنى، وتغير المعنى قد يؤدي إلى تغير الإعراب، فمثلا إن قلنا إن السياق في آية المائدة يقتضي سؤالاً مقدرًا كما ذكرنا في الوجه

---

(١) روح المعاني (٤/ ٢٩٥).
(٢) مشكل إعراب القرآن (ص ٢١١)، التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٢٢).
(٣) روح المعاني (٤/ ٢٩٥).
(٤) التحرير والتنوير (٤/ ٢٦٨).
(٥) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٢٢).

السادس من الوجوه الإعرابية، مما يمكننا من أن نقول: «إن» هنا بمعنى نعم الجوابية، أما في آية البقرة فإن السياق لا يقتضي ذلك ومن هنا اختلف الإعراب رغم التشابه الظاهري بين الآيتين، ومن المناسب هنا أن أنقل كلاما نفيسًا للكرماني حول تكرر هذه الآية في ثلاثة مواضع في القرآن حيث قال:

«قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ في البقرة، وقال في الحج ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾، وقال في المائدة ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾، لأن النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب، فقدمهم في البقرة، والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان لأنهم كانوا قبلهم فقدمهم في الحج، وداعى في المائدة بين المعنيين فقدمهم في اللفظ وأخّرهم في التقدير، لأن تقديره: والصابئون كذلك»[1].

٣- قول الله ﷻ: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

يزعم المفتري أن كلمة «الظالمين» في الآية فاعل، والمفترض أن يرفع، ولأنه جمع مذكر سالم كان يجب أن يكون بالواو «الظالمون»، وليس بالياء «الظالمين».

الجـــــواب:

باختصار شديد كلمة الظالمين مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء، وليست فاعلاً بل الفاعل هو كلمة عهدي.

لكن المشكلة الكبيرة لدى ذلك العنيد أنه يجعل من علمه الضئيل السطحي حكمًا على نصوص القرآن وعلى كلام العلماء من أهل التخصص، وكأنه يظن نفسه أعلم بالنحو من سيبويه والكسائي والمبرد والأخفش، وغيرهم من فطاحل النحويين، كما يظن نفسه أعلم بالمعاني من المفسرين من أهل اللغة، فأي موضوعية تلك التي يزعمها أولئك الكاذبون؟؟

فقد أنكر أولئك الجهال بلا مستند أن تكون عهدي فاعلاً؟ فجاءوا بتفسير خاص يحدد معنى نال: أي حصل الإنسان على الشيء، أي: يجب أن يكون فاعل نال إنسانًا[2]، ولست أدري من أين أتوا بهذا التفسير اللغوي؟

قال ابن منظور في لسان العرب: «يقال: نالني من فلان معروف ينالني أي: وصل إليّ منه

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان (ص٧٥).
(٢) تجد ذلك في كثير من مواقع النصارى، وفي كتب لرؤوس الفتنة لديهم.

معروف»[1]. وقال أيضًا: «قد نال الرحيل: أي: حان ودنا»[2].

فليس صحيحًا أن فاعل «نال» لا بد أن يكون إنسانًا فقولنا مثلاً: «نالني من فلان معروف»، أي: وصل إليّ معروف منه، فالفاعل هنا هو معروف، والمفعول به هو ياء المتكلم المتصلة بالفعل، وكذلك قولنا: «نال الرحيل أي: حان ودنا»، الفاعل هو الرحيل، وليس الرحيل إنسانًا.

ومن هنا يتضح خطأ عبارة الدجال وأتباعه المغفلين في قولهم «أن الإنسان هو الذي ينال الشيء، وليس الشيء هو الذي ينال الإنسان».

نعود الآن إلى آية سورة البقرة: «لا ينال عهدي الظالمين»، ونسأل ما هو معنى الآية في ضوء ما ذكرنا؟ إن المعنى أن عهد الله لا يصيب الظالمين، أو عهد الله لا يصل إلى الظالمين.

قال ابن عاشور: «ينال» مضارع نال نيلاً بالياء إذا أصاب شيئًا والتحق به أي لا يصيب عهدي الظالمين أي لا يشملهم، فالعهد هنا بمعنى الوعد المؤكد»[3].

وإن قلنا إن الظالمين هم الذين ينالون عهد الله فإن هذا القول يكون قريبًا؛ لأن كل ما نلته فقد نالك، وقد جاءت قراءة غير متواترة برفع الظالمين، أي: «لا ينال عهدي الظالمون»، على أن تكون «الظالمون»، فاعل مرفوع بالواو، وعهدي مفعول به مقدم على الفاعل اهتمامًا به، ورغم أن هذه القراءة غير متواترة إلا أن معناها قريب من معنى القراءة المتواترة؛ ولذلك قال أبو البقاء العكبري: ««لا ينال عهدي الظالمين»، هذا هو المشهور على جعل العهد هو الفاعل؛ ويقرأ الظالمون على العكس، والمعنيان متقاربان؛ لأن كل ما نلته فقد نالك»[4].

فالفعل (نال) يجوز أن يكون فاعله مفعولاً، ويجوز أن يكون مفعوله فاعلاً على التبادل بينهما، ومن هنا يمكن أن نقول: أصبتُ خيرًا، أو أصابني خير، وكلا التعبيرين صحيح والمعنى متقارب.

فائدة:

قبل أن أشرع في الرد على الافتراءات التالية أحب أن أوضح أمورًا هي:

---

(١) لسان العرب (١١/ ٦٨٥).
(٢) لسان العرب (١١/ ٦٨٥).
(٣) التحرير والتنوير (١/ ٦٠٧).
(٤) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٦١).

١- أن حرف الواو ليس حرف عطف فحسب في لغة العرب، بل الواو المفردة تأتي على وجوه تزيد عن العشرة أوجه منها واو الاستئناف، وواو الحال، وواو المفعول معه والزائدة وغير ذلك(١).

٢- يجب تحديد المعطوف عليه حتى نتمكن من إعراب المعطوف فلو قلنا مثلاً:

- أكرم المسئولون الطلاب والمعلمين.

- أكرم المسئولون الطلاب والمعلمون.

فأي الجملتين صحيح؟ هل نقول المعلمين أم المعلمون؟

الحق أن الجملتين كلاهما صحيح، ففي الجملة الأولى كلمة المعلمين معطوفة على الطلاب، التي تعرب مفعولاً به منصوب، فالمعلمين معطوف على منصوب علامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم.

وفي الجملة الثانية «المعلمون» معطوفة على «المسئولون» التي تعرب فاعلاً مرفوعًا، فتكون مرفوعة تبعًا وعلامة الرفع الواو لأنه جمع مذكر سالم.

٣- المعطوف قد يأتي بعد المعطوف عليه مباشرة، وقد يتأخر عنه، وقد يطول الفاصل بينهما وقد يقصر لأغراض بلاغية.

والآن نعود للرد على الافتراءات تفصيلاً.

٤- قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [النساء: ١٦٢].

الاعتراض: كيف جاءت «المقيمين» بالياء وهو معطوف على مرفوع وهو «المؤمنون» وما بعدها مرفوع وهو «المؤتون»؟

الـــــرد:

قبل الشروع في الإجابة أود أن أسأل صاحب هذا الافتراء عدة أسئلة هي:

لماذا جزمت أن الواو هنا واو العطف؟

ولماذا جزمت أن المعطوف عليه هو المؤمنون؟

ولماذا قطعت بعدم وجود أي وجوه إعرابية أخرى؟

---

(١) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ١٠٤٨).

وأترك الإجابة لمن يمتلك شجاعة الرد، وهيهات أن يجد ردًا.

والآن تعالوا نوضح الوجوه الإعرابية لكلمة (المقيمين).

الوجه الأول: المقيمين، اسم منصوب على المدح بفعل مضمر تقديره أعني أو أخص، والواو هنا معترضة وليس عاطفة.

وعلى هذا الوجه فإن إعراب المقيمين يكون مفعولاً به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم.

وقد يتساءل البعض لماذا نصبت هي بالذات على المدح ولم ينصب ما قبلها، أو ما بعدها؟

والإجابة أن هذا الأسلوب له فوائد بلاغية منها: بيان فضل الصلاة وإظهار مزيد العناية بمن يقيمونها، كما أن تغير إعراب كلمة بين أمثالها ينبه القارئ والسامع إلى وجوب التأمل فيها، ويهدي التفكير لاستخراج مزيتها وهو من أركان البلاغة [(١)].

وقد يثور سؤال آخر: هل هذا الأسلوب معروف عند أهل العربية؟

والإجابة: نعم، وهذا ذكره أهل اللغة في القديم والحديث.

ومن هؤلاء سيبويه إمام النحو، حيث جاء في كتابه «الكتاب»: «باب ما ينتصب على التعظيم والمدح، وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأول وإن شئت قطعته فابتدأته»[(٢)].

واستشهد سيبويه بقول الشاعر:

وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم ... إلا نميرًا أطاعت أمر غاويها

الطاعنين ولما يظعنوا أحدًا ... القائلون لمن دار نخليها

فانظر إلى تغير إعراب كلمة القائلون عن كلمة الطاعنين في البيت الثاني.

ومنه قول الخرنق بنت هفان، (أخت طرفة بن العبد):

لا يبعدنْ قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

وقال الزمخشري: ««المقيمين»، نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع،

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (٢/ ٢٠٣)، وانظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٠٣).

(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ١٦٢).

وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنًا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب في النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم، وخرقًا يرفوه من يلحق بهم»(١).

وقال الطاهر بن عاشور: «وعطف المقيمين بالنصب ثبت في المصحف الإمام، وقرأه المسلمون في الأقطار دون نكير، فعلمنا أنه طريقة عربية في عطف الأسماء الدالة على صفات محامد على أمثالها، فيجوز في بعض المعطوفات النصب على التخصيص بالمدح، والرفع على الاستئناف للاهتمام، كما فعلوا ذلك في النعوت المتتابعة سواء كانت بدون عطف أم بعطف»(٢).

الوجه الثاني: أن الواو للعطف، والمقيمين معطوف على الاسم الموصول ما في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، والمعنى: يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة، ويكون المقصود بالمقيمين الصلاة هنا الملائكة أو الأنبياء والإيمان بهم واجب.

وعلى هذا الوجه يكون إعراب المقيمين: معطوف مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم(٣).

وهذا الوجه اختاره ابن جرير الطبري فقال: «وأولى الأقوال عندي بالصواب، أن يكون المقيمين في موضع خفض نسقًا على (ما) التي في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، وأن يوجه معنى المقيمين الصلاة إلى الملائكة، فيكون تأويل الكلام: والمؤمنون منهم يؤمنون بما أنزل إليك يا محمد من الكتاب وبما أنزل من قبلك من كتبي وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة، ثم يرجع إلى صفة الراسخين في العلم، فيقول: لكن الراسخون في العلم منهم، والمؤمنون بالكتب، والمؤتون الزكاة، والمؤمنون بالله واليوم الآخر»(٤).

قال الألوسي: «وقال الكسائي: هو مجرور بالعطف على «ما أنزل إليك» على أن المراد بهم

---

(١) الكشاف (ص٢٧١).
(٢) التحرير والتنوير (٤/ ٢٩).
(٣) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٠٣).
(٤) تفسير الطبري، جامع البيان (٨/ ٣٦).

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل: ليس المراد بإقامة الصلاة على هذا أداؤها بل إظهارها بين الناس وتشريعها ليكون وصفًا خاصًا، وقيل: المراد بالمقيمين الملائكة لقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]»[١].

وقيل: إن التقدير: وبدين المقيمين الصلاة، فيكون المراد بالمقيمين الصلاة المسلمين[٢].

الوجه الثالث: الواو للعطف، والمقيمين معطوف، والمعطوف عليه هو: «قبلك»، وتقديره: «يؤمنون بما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين الصلاة»، فحذفت «قبل» وأقيم المضاف إليه (المقيمين) مكانه، وبذلك يكون معطوفًا على مجرور وعلامة جره الياء[٣].

الوجه الرابع: الواو للعطف، والمقيمين معطوف، والمعطوف عليه هو أحد الضمائر التالية[٤]:

- الكاف: في «قبلك».
- الكاف في «إليك».
- الهاء والميم في «منهم».

وكل هذه الضمائر في محل جر للإضافة أو لاتصالها بحرف الجر، فيكون «المقيمين» مجرورًا وعلامة الجر الياء.

وهنالك وجوه أخرى لا أطيل بذكرها، لكن المراد إثباته هنا كما قال الألوسي أنه «لا يلتفت إلى من زعم أن هذا من لحن القرآن وأن الصواب والمقيمون بالواو كما في مصحف عبد الله، وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي، إذ لا كلام في نقل النظم تواترًا فلا يجوز اللحن فيه أصلًا»[٥].

أما ما ينقله المرجفون من روايات من كتاب المصاحف للسجستاني، فقد أجبت على بعض ذلك من قبل موضحًا ضعف هذه الروايات، وعلى العموم فإن كتاب «المصاحف» كتاب روايات لا يشترط فيها الصحة، بل الغالب ضعفها لأن صاحب كتاب المصاحف هو

---

(١) روح المعاني (٨/ ٢٢).
(٢) البيان في إعراب القرآن (١/ ٢٠٣)، روح المعاني (٨/ ٢٢).
(٣) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٠٢).
(٤) انظر: روح المعاني (٨/ ٢٢-٢٣)، التبيان (١/ ٢٠٢)، وجدير بالذكر أن البصريين لا يجيزون العطف على الضمير من غير إعادة الجار.
(٥) روح المعاني (٨/ ٢٣).

ابن أبي داود، وأبو داود ذلك المحدث العظيم قد شهد على ولده (صاحب كتاب المصاحف) بأنه كذاب كما جاء في كتاب تذكرة الحفاظ للذهبي:

«قال السلمي: سألت الدار قطني عن ابن أبي داود، فقال: كثير الخطأ في الكلام في الحديث... وقال أبو داود: ابني كذاب»[(١)].

وقال ابن عدي: «سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول: سمعت أبا داود السجستاني يقول: ابني عبد الله كذاب»[(٢)].

وكان ابن صاعد يقول: كفانا ما قاله أبوه فيه.

فمن أعلم بالابن من الأب؟ وهو ليس كأي أب، بل هو أبو داود إمام الجرح والتعديل، وهو الثقة الثبت الإمام الحجة في الحديث ورجاله، ومن إمامته أنه لم يتردد عن وصف ولده بما يستحق.

وقال البغوي في عبد الله بن أبي داود: «أنت عندي والله منسلخ عن العلم»[(٣)].

فإن كان هذا هو حال صاحب الكتاب فهذا ينزع الثقة بما انفرد به من روايات، فما بالكم إن خالفت هذه الروايات المتواتر الثابت قطعيًا، وإجماع الأمة، والمعلوم من الدين بالضرورة.

٥- قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الاعتراض: لماذا جاءت كلمة «والصابرين» منصوبة رغم أنها معطوفة على «الموفون» وهي مرفوعة؟

الجـــــواب:

الصابرين: قُطِع عن العطف، ونصب بفعل محذوف تقديره أمدح أو أخص، وإعرابه على ذلك يكون: مفعولاً به منصوبًا وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم[(٤)].

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٣٠٢)، وانظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٣٣).
(٢) الكامل في الضعفاء (٤/ ٢٢٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٨٣).
(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (ص١٠٩)، إعراب القرآن وبيانه (١/ ٢٢٦)، التبيان (١/ ٧٨)، روح المعاني (٢/ ٧٢)، التحرير والتنوير (٢/ ١٣٣).

وله وجه آخر وهو: أن يكون معطوفًا على «ذوي القربى» الذي يعرب مفعولاً به، فتكون كلمة «الصابرين» معطوفًا منصوبًا وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم[1].

وقد أنكر بعض الحمقى من أعداء الدين أن يعلل نصب الصابرين بأنه نصب على المدح كما ذكرنا في الوجه الأول، فقالوا: لماذا لم تسر هذه القاعدة على كلمة «الموفون»، أليس فيها مدح مثل الصابرين؟ وقالوا: يجب أن تعرب الكلمتان إعرابًا واحدًا، لأنهما معطوف ومعطوف عليه، فإما أن ترفعا معًا أو تنصبا معًا على المدح والاختصاص.

وللإجابة على ذلك نقول: إننا حين نختلف حول مسألة في الطب مثلاً فإننا يجب أن نحتكم لكلام الأطباء، وإن كانت في الهندسة فالحكم للمهندسين، وهكذا يجب الرجوع إلى أهل الاختصاص للوصول إلى القول الفصل في كل مسألة.

والمسألة التي بين أيدينا الآن هي مسألة نحوية، فلنرجع إذًا إلى أهل الاختصاص، ونطلع على أقوال كوكبة من كبارهم، ولن نجد بداية أفضل من سيبويه إمام العربية والنحو، لننقل من كتابه «الكتاب» الذي يعد عمدة الدارسين والمصنفين في علم النحو.

يقول سيبويه: «باب ما ينتصب على التعظيم والمدح، وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأول، وإن شئت قطعته فابتدأته...».

ثم ذكر قوله جل ثناؤه: «ولكن البر من آمن» إلى قوله «الصابرين». فقال: «ولو رفع الصابرين على أول الكلام كان جيدًا، ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيدًا، ونظير هذا النصب قول الخرنق:

لا يبعـــدن قـــومي الـــذين هـــموا ... ســـــم العـــــداة وآفـــــة الجـــــزر

النـــــازلين بكـــــل معـــــترك ... والطيبـــــون معاقـــــد الأزر[2]

فتأمل كيف نصبت «النازلين» ورفعت «الطيبون»، فهل كانت الخرنق جاهلة بالعربية؟ وهل كان سيبويه أيضًا جاهلاً بالنحو؟

ومن هذا أيضًا قول الهذلي:

---

(١) التبيان (١/ ٧٨)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٢٤٧).
(٢) الكتاب (١/ ١٦٢).

ويـــأوي إلى نـــسوة عطـــل وشـــعثًا مراضـــيع مثـــل الـــسعالي

فنصبت كلمة (شعثًا) ولو كانت معطوفة على (عطل) لكانت مجرورة.

وقال أبو علي الفارسي: «إذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالأحسن أن تخالف بإعرابها ولا تجعلها كلها جارية على موصوفها؛ لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب في الوصف والإبلاغ في القول، فإذا خولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمل؛ لأن الكلام عند الاختلاف يصير كأنه أنواع من الكلام، وضروب من البيان، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهًا واحدًا، وجملة واحدة»[(١)].

وقال الزجاج: «والصابرين في نصبها وجهان أجودهما المدح كما وصفنا في إذا طال المعنى أعني الصابرين»[(٢)].

وقال الزمخشري في الكشاف: «الصابرين منصوبًا على الاختصاص والمدح إظهارًا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال»[(٣)].

وقال العكبري: «ينتصب «الصابرين» على إضمار أعني، وهو في المعنى معطوف على «من»، ولكن جاز النصب لما تكررت الصفات»[(٤)].

وقال أبو حيان: «انتصب «والصابرين» على المدح، والقطع إلى الرفع أو النصب في صفات المدح والذم والترحم وعطف الصفات بعضها على بعض مذكور في علم النحو»[(٥)].

وقال الألوسي: «والصابرين في البأساء والضراء»، نصب على المدح بتقدير -أخص أو أمدح- وغير سبكه عما قبله تنبيهًا على فضيلة الصبر ومزيته على سائر الأعمال حتى كأنه ليس من جنس الأول، ومجيء القطع في العطف مما أثبته الأعلام ووقع في «الكتاب»أيضًا،

---

(١) أبو علي الفارسي من أئمة النحو كان أوحد زمانه في العربية، وكان بعض النحويين يجعله فوق المبرد، والنقل عن البحر المحيط (٢/ ١٠)، والتحرير والتنوير (٢/ ١٣٢).
(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٢٤٧)، وقد ذكرنا الوجه الثاني عند الحديث عن الإعراب.
(٣) الكشاف (ص١٠٩)، ومعلوم أن الزمخشري من علماء اللغة حتى أنه أصبح يضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة، وكتابه الكشاف شهد له العلماء بالتميز في التعرض لدقائق اللغة في التفسير وبيان وجوه النحو والبلاغة.
(٤) التبيان (١/ ٧٨).
(٥) البحر المحيط (٢/ ١٠).

واستحسنه الأجلة، وجعلوه أبلغ من الإتباع»[1].

وقال ابن عاشور: «ونصبُ الصابرين وهو معطوف على مرفوعات نصبٌ على الاختصاص على ما هو المتعارف في كلام العرب في عطف النعوت من تخيير المتكلم بين الإتباع في الإعراب للمعطوف عليه وبين القطع، قاله الرضي، والقطع يكون بنصب ما حقه أن يكون مرفوعًا أو مجرورًا وبرفع ما هو بعكسه ليظهر قصد المتكلم القطع حين يختلف الإعراب، إذ لا يعرف أن المتكلم قصد القطع إلا بمخالفة الإعراب»[2].

فهذه أقوال طائفة من أكابر علماء النحو واللغة العربية، اتفقوا على الإعراب الذي أنكره أولئك الجهال، فهل يدلنا أحدهم على نحوي واحد أنكر هذا الأعراب؟ وهل يستطيع أن يذكر دليلاً واحدًا على ما يقول؟ أو يؤيد ما يهذي به بقول عالم واحد؟

وقبل أن أغلق هذه الصفحة أحب أن أنبه على الفوائد البلاغية في تغيير الإعراب، أو قطع التابع عن المتبوع:

١- أن هذا من مواضع الإطناب فإذا خولف إعراب الأوصاف كان المقصود أكمل لأن الكلام عند اختلاف الإعراب يصير كأنه أنواع من الكلام وضروب من البيان، وهذا قول أبي علي الفارسي.

٢- اجتلاب الاهتمام والانتباه، وشحذ الأذهان للتأمل في سبب اختلاف هذا الإعراب؛ لأن تغيير المألوف المعتاد يساعد على جذب الانتباه.

٣- التنبيه على خصيصة الصفة ومزيتها، فمثلاً في الآية السابقة جاء نصب الصابرين للتنبيه على مزية الصبر - كأصل أخلاقي - على الصفات الأخرى، وليس المقصود مجرد مدح الصابرين كما توهم ذاك الجاهل العنيد حين قال: لماذا لم تسر هذه القاعدة على كلمة الموفون؟

وهذا هو السؤال الذي يثير الضحك بالفعل؛ لأننا إنْ طبقنا هذه القاعدة على الموفون وغيرها، لم يعد هناك تمايز باختلاف الإعراب فستكون كل الكلمات منصوبة، وبذلك تضيع الفوائد البلاغية المذكورة، لكن هذا العنيد الأحمق توهم أن المقصود هو مجرد المدح فقط وهذه حدود قدراته العقلية والعلمية، والحماقة أعيت من يداويها.

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

(١) روح المعاني (٢/ ٧٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ١٣٢).

الاعتراض: لماذا وصفت الرحمة وهي مؤنث بـ«قريب» وهو مذكر؟

الجـــــواب:

الرد على ذلك من وجوه منها[1]:

١- أن الرحمة في تقدير الزيادة فالإخبار عن الله، أي أن الله هو القريب، والعرب قد تزيد المضاف.

مثاله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، أي: سبح ربك، فنحن حين نسبح نقول سبحان الله، ولا نقول: سبحان اسم الله.

٢- بتقدير حذف المضاف، أي كأن في الجملة كلمة مضافة لكلمة رحمة (مثل كلمة مكان) ولكنها حذفت، ويكون تقدير الكلام دون حذف: إن مكان رحمة الله قريب.

وهذا الأسلوب يستخدم كثيرًا في لغة العرب، مثل: إن الذهب حرام (أي: لبس الذهب أو استعماله).

٣- على تقدير حذف الموصوف، أي: رحمة الله شيء قريب.

أي كأن في الجملة كلمة موصوفة بكلمة قريب (مثل كلمة شيء) ولكنها حذفت.

٤- أنه يجوز في لغة العرب إعطاء المضاف حكم المضاف إليه في التذكير والتأنيث إذا صح الاستغناء عنه، والمضاف هنا هو (رحمة) والمضاف إليه هو لفظ الجلالة (الله).

٥- أن العرب قد تخبر عن المضاف إليه وتترك المضاف.

ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾.

فكلمة خاضعين مخبر بها عن المضاف إليه وهو الضمير (هم) في كلمة (أعناقهم) وليس عن المضاف وهو (أعناق) وإلا كان الخبر خاضعة وليس خاضعين.

٦- أن كلمتي قريب وبعيد إذا أطلقتا على قرب النسب أو بعده وجب التأنيث بزيادة التاء المربوطة مع المؤنث.

وإذا أطلقتا على قرب المسافة أو بعدها جاز فيه وجهان:

الأول: مطابقة الموصوف.

الثاني: التذكير على التأويل بالمكان وهو الأكثر وهذا قول الفراء وأبي عبيدة واختاره ابن عاشور.

ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) انظر: روح المعاني (٥/ ٢٠٩-٢١٥)، والتحرير والتنوير (٥/ ١٧٧).

– قول الله تعالى: ﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ فقال بعيد ولم يقل بعيدة.

– وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ فقال قريبًا ولم يقل قريبة.

٧– قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

الاعتراض: لماذا جاء تمييز اثنتي عشرة جمعا مذكرا (أسباطًا)، والمفترض أن يكون مفردا مؤنثا؟

الجـــــواب:

كلمة «أسباطًا» ليست هنا التمييز وإنما هي حال أو بدل، أما التمييز فهو محذوف (ويمكن تقديره بكلمة أمّة أو فرقة أو نحو ذلك) وحُذف تمييز العدد لدلالة قوله تعالى: «أممًا» عليه، وجاء تأنيث العدد (اثنتي عشرة) لأن المعدود مؤنث وهو كلمة (الأمة) المحذوفة.

وعلى ذلك يكون إعراب الآية كما يلي:

– وقطعناهم: الواو عاطفة، قطع فعل ماض، (نا) فاعل، (هم) مفعول به.

– اثنتي عشرة: حال منصوب، أو مفعول به ثانٍ.

– أسباطًا: حال منصوب أو بدل من اثنتي عشرة.

– أممًا: بدل من أسباط أو من اثنتى عشرة.

ومن البلاغة في هذا الأسلوب: الإيجاز والتنبيه على قصد المنة بجعلهم أممًا من آباء إخوة، وأن كل سبط من أولئك صار أمة، مع ما يذكّر به لفظ أسباط من تفضيلهم لأن الأسباط أسباط إسحاق عليه السلام[1].

٨- قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩]. جاءت كلمة (اختصموا) بصيغة الجمع، وهما خصمان اثنان. فلماذا لم يقل: (اختصما) بدلاً من (اختصموا)؟

الجـــــواب:

الخصمان ليسا شخصين بل هما فريقان: فريق المؤمنين، وفريق الكافرين.

ولما كان الخصمان فريقين يجمع كل فريق طوائف تحته جاء الفعل في صورة الجمع لا صورة المثنى.

مثال ذلك في كلامنا أن نقول: فريق كذا وفريق كذا قدموا مباراة جيدة، لأن كل فريق يضم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ١٤٣).

مجموعة من اللاعبين.

ومثاله في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

- ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩].

الافتراء: الذين خاضوا هم جمع، فلماذا جاءت (كالذي خاضوا) والمفترض أن تكون (كالذين خاضوا)؟

الجـــــواب:

كلمة (الذي) صفة لمصدر محذوف هو الخوض، وتقدير الكلام:

وخضتم كالخوض الذي خاضوا.

فالاسم الموصول (الذي) متعلق هنا بالخوض نفسه، وليس بالذين خاضوا.

وهناك وجه آخر ذكره بعض العلماء وهو:

أن (الذي) هنا هي (الذين) لكن حذفت نونها تخفيفًا كما في قول الشاعر:

إن الـــذي حانـــت بفلـــج دمـــاؤهم   هـــم القـــوم كـــل القـــوم يـــا أم خالـــد

١٠-قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

الافتراء: لماذا جزمت (أكن) والمفترض أن تكون منصوبة لأنها معطوفة على (فأصدق)، ولذلك كان يجب أن تأتي (أكون)؟

الجـــــواب:

- أكن معطوف على موضع «فأصدق» وهو موضع جزم لأنه جواب شرط مقدّر، كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن، على تقدير شرط[1].

وهو قول: الخليل وسيبويه والزجاج وأبي علي الفارسي.

وذكر ابن عاشور توجيهًا رائعًا يوضح ما في هذا التركيب من بلاغة وإعجاز بياني، فقال: «فأما الجمهور فقرأوه مجزومًا بسكون آخره على اعتباره جوابًا للطلب مباشرة لعدم وجود فاء السببية فيه،

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (٨/ ٥٣٢)، روح المعاني (١٥/ ١٧٣)، والتحرير والتنوير (١٣/ ٢٥٤).

واعتبار الواو عاطفة جملة على جملة وليست عاطفة مفردًا على مفرد، وذلك لقصد تضمين الكلام معنى الشرط زيادة على معنى التسبب فيغني الجزم عن فعل شرط، فتقديره: إن تؤخرني إلى أجل قريب أكن من الصالحين، جمعًا بين التسبب المفاد بالفاء، والتعليق الشرطي المفاد بجزم الفعل.

وإذا قد كان الفعل الأول هو المؤثر في الفعلين الواقع أحدهما بعد فاء السببية والآخر بعد الواو العاطفة عليه، فقد أفاد الكلام التسبب والتعليق في كلا الفعلين وذلك يرجع إلى مُحَسِّن الاحتباك[1]. فكأنه قيل:

لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدقَ وأكون من الصالحين.

إن تؤخرني إلى أجل قريب أصدقْ وأكن من الصالحين.

ومن لطائف هذا الاستعمال أن هذا السائل بعد أن حثَّ سؤاله أعقبه بأن الأمر ممكن فقال: إن تؤخرني إلى أجل قريب أصدق وأكن من الصالحين، وهو من بدائع الاستعمال القرآني لقصد الإيجاز وتوفير المعاني»[2].

١١ - قوله تعالى: - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٧].

الافتراء: لماذا جاء الضمير للجمع في (بنورهم، تركهم) رغم أنه يعود على مفرد وهو الذي استوقد نارا، والمفترض أن يكون الضمير للمفرد (بنوره، تركه)؟

الجـــواب:

جمع الضمير جاء مراعاة للحال المشبهة وهي حال المنافقين الذين يعود عليهم الضمير في كلمة (مثلهم)، ولا يعود الضمير للحال المشبه بها (حال المستوقد نارًا).

فالضمير في (بنورهم، تركهم) يعود على المنافقين وهم جمع، ولا يعود على المفرد الذي استوقد نارًا.

وهذا وجه بليغ في العودة والرجوع إلى الغرض الأصلي من التمثيل وهو بيان انطماس نور

---

(١) الاحتباك من المحسنات البديعية ويقصد به أن يُحذف من أوائل الكلام ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر، ويُحذف من أواخر الكلام ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل، ويتحقق الاحتباك بدلالة ما في الأوائل على المحذوف من الأواخر، ودلالة ما في الأواخر على المحذوف من الأوائل.

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٢٥٤).

الإيمان من المنافقين، وسر جماله الجمع بين ذكر المشبه وذكر المشبه به، لأن الوصف لهما فيكونان كالنوع الواحد، وما يتحقق في أحدهما يتحقق في الآخر، ولذلك كان المتكلم بالخيار في مراعاة أي منهما في ذكر الضمائر.

١٢ – قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].

الافتراء: كيف تكون كلمة (ضراءَ) منصوبة بالفتحة، رغم أنها مضاف إليه وكان يجب أن تكون مجرورة بالكسرة[(١)]؟

الجـــــواب:

الرد بسهولة أن كلمة ضراء ليست منصوبة كما يزعم هؤلاء الجهال؛ بل هي مجرورة ولكنها ممنوعة من الصرف ولذلك فهي مجرورة بالفتحة.

فإعراب كلمة (ضراءَ): مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف، ومنعت (ضراء) من الصرف لانتهائها بألف التأنيث الممدودة.

وهذا من الافتراءات المضحكة التي تدل على أن هذه الشرذمة من الجهال لم يحصّلوا مبادئ علم النحو، ورغم ذلك وقفوا ينتقدون القرآن العظيم الذي لم يعرف البشر كتابًا في بلاغته وفصاحته في التاريخ.

١٣ – قوله تعالى: – ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

الافتراء: لماذا وصفت (أيام) بالمفرد الذي يدل على الكثرة، وكان يجب أن يصفها بالجمع الذي يدل على القلة، حيث إنهم أرادوا القلة لا الكثرة، ولذلك يجب أن يقال: أياماً معدودات لا معدودة؟

الجـــــواب:

يجوز وصف الأيام بأنها معدودة (بالإفراد) وأنها معدودات (بالجمع) ولكن يكثر في صفة الجمع إذا أنثوها أن يأتوا بها بصيغة الإفراد.

فإن جاء بصيغة الجمع بالألف والتاء فقد يراد به القلة لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء مثل قولك: دريهمات.

---

(١) هذا الافتراء رغم سذاجته فإن كثيرًا من المواقع التنصيرية لا زالت تنشره وتروج له؛ لأنهم ينقلون عن بعضهم بلا تدقيق أو دراسة أو مراجعة، قبحهم الله وفضحهم في الدنيا والآخرة.

وقد يراد بصيغة الجمع بالألف والتاء الكثرة أيضًا إذا أرادوا تأويل الجمع بالجماعات.

ولكن وصف الأيام بالمعدودة أو المعدودات يدل على قلتها في كلا الحالتين، لأن معدودة من العدّ، والناس لا يعمدون إلى عد الأشياء الكثيرة، ألا ترى إنك إن أردت أن تصف شيئًا بالكثرة تقول: إنه لا يعدّ، أو تقول لا عدد له.

فلو قلت: إن نجوم السماء لا تعد أو لا عدد لها، فعلى أي شيء يدل ذلك؟ لا شك إنه يدل على كثرتها، أما وصف الشيء بأنه معدود فهذا يدل على قلته.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

وقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، [1].

١٤- قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢].

الافتراء: لماذا قال سينين بالجمع عن سيناء؟ فمن الخطأ لغويًا تغيير اسم العلم حبًا في السجع المتكلف.

الجـــــواب:

(سينين) ليست جمع سيناء؛ بل سينين كما قال قتادة تعني: المبارك والحسن ذو شجر (بالسريانية أو بلغة الحبشة)، وجعلت علمًا على هذه البقعة[2].

وقيل: كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء.

وقال الأخفش: سينين جمع بمعنى شجر واحدته سينة فكأنه قيل: طور الأشجار[3].

١٥- قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]. **الافتراء: لماذا قال إلياسين بالجمع عن إلياس المفرد؟ فمن الخطأ لغويًا تغيير اسم العلم حبًا في السجع المتكلّف.**

الجـــــواب:

إل ياسين ليست جمع إلياس.

فقد قرأها نافع وابن عامر ويعقوب: «آل ياسين».

---

(١) لسان العرب (٣/ ٣٨٣)، والبحر المحيط (٢/ ١٩١)، والتحرير والتنوير (١/ ٥١٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٠٥).

(٣) لسان العرب (١٣/ ٢٣٠)، الألوسي (١٦/ ٣١١).

وقرأها الباقون: «إل ياسين».

وكلاهما صحيح في لغة العرب ويفيدان نفس المعنى.

فقد قيل إن إلياس هو إلياس بن ياسين[١]، والسلام على آل ياسين يلزم منه السلام على إلياس بلا شك، لأنه من آله.

وقيل إن إلياس هو إلياسين، كما تقول في إبراهيم: إبراهام وإبرام أيضًا، ومن المعلوم أن الأعلام قد تتعدد أسماؤها.

فائدة:

إن إلياس أو إلياسين، وسيناء وسينين أعلام أعجمية، ومهما كان اللفظ الذي جاءت به فلا يقال أنه مخالف للغة العرب لأنها ليس أسماء عربية من الأساس، وبعض الأعلام تتغير أشكالها من لغة لأخرى، وهذا أمر معلوم[٢].

١٦- قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الافتراء: المفترض أن يقال: ولكن البر أن تؤمنوا بالله، وليس البر من آمن؛ لأن البر هو الإيمان لا المؤمن.

الجـــــواب:

تخريج المعنى في الآية يحمل أكثر من وجه منها:

- تقدير مضاف محذوف هو كلمة (بر)، وعند ذلك يكون المعنى: «ولكن البر برّ من آمن..»، وحذف المضاف إن دل عليه السياق يقع كثيرًا في لغة العرب كما وضحنا من قبل.

- ويمكن جعل البر هو نفس من آمن على سبيل المبالغة، فيقع كثيرًا وصف الإنسان بالمصدر على سبيل المبالغة، كما تقول مثلاً: فلان هو الصبر، أو هو الكرم، أو فلان هو الذكاء بعينه.

١٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

الافتراء: المقام يقتضي صيغة الماضي لا المضارع، فينبغي أن يأتي: قال له كن فكان، وليس كن فيكون.

الجـــــواب:

عبر بالمضارع لاستحضار صورة تكوّنه وكأنها تعرض أمام عينيك، وهذا من الأساليب

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٩٥).

(٢) مثل: يحيى ويوحنا وحنا ويني، ويوسف وجوزيف، ويعقوب وجاكوب.

البلاغية اللطيفة في استخدام الفعل المضارع.

قال ابن عاشور: «وإنما قال: (فيكون) ولم يقل: (فكان)؛ لاستحضاره صورة تكونه، ولا يحمل المضارع في مثل هذا إلا على هذا المعنى مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر: ٩]»(١).

١٨- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

الافتراء: المعنى غير كامل لأن جواب لما غير موجود، فأين جواب لما؟

الجـــــواب:

جواب لما محذوف دلّ عليه السياق وهو: «أن يجعلوه في غيابة الجب»، ويمكن تقديره بـ: «فعلوا ما فعلوه من الأذى»(٢)، أو «جعلوه في الجب»(٣) وهو من الإيجاز بالحذف عند ظهور المعنى ودلالة السياق عليه، وهو درب من دروب بلاغة القرآن، لأنه تقليل في اللفظ مع وضوح المعنى وظهوره، فالمعنى واضح تام وليس ناقصًا كما يزعم المفتري.

١٩- قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥].

الافتراء: كيف جاءت (قواريرا) بالتنوين مع أنها لا تنون لامتناعها عن الصرف؟

٢٠- وكيف جاءت سلاسل منونة في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤] **وهي ممنوعة من الصرف أيضًا؟**

الجـــــواب:

قوارير قرئت بالتنوين وبإبداله ألفًا وقفًا، والتنوين هنا تنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة كما قال الزمخشري(٤).

أو هو على لغة من يصرف في نثر الكلام جميع ما لا ينصرف إلا (أفعل) كما قال الأخفش وقد كثر صرف الجموع في شعر العرب حتى قال الناظم:

---

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٦٤).
(٢) إعراب القرآن وبيانه (٣/ ٥١٣).
(٣) التحرير والتنوير (٦/ ٢٣٣).
(٤) الكشاف ص(١١٦٦).

والـــصرف في الجمـــع أتـــى كثـــيرا   حتـــى ادعـــى قـــوم بـــه التخيـــيرا(١)

ومن المعلوم أن القراءات مشتملة على لغات العرب المختلفة.

ومثل ذلك يقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، عند من قرأ سلاسل بالتنوين وهي قراءة ثابتة صحيحة.

٢١- قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣].

الافتراء: لماذا جاء الفعل بصيغة الجمع واتصلت به واو الجماعة رغم وجود الفاعل وهو (الذين)؟

الجــــواب:

الاسم الموصول هنا ليس هو الفاعل، بل الفاعل هو واو الجماعة الضمير المتصل في الفعل (أسروا)، وأما إعراب الاسم الموصول فله وجوه منها:

- أنه بدل من واو الجماعة، فيكون في محل رفع.
- أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني أو أخص، فيكون في محل نصب.
- أنه نعت للناس في الآية الأولى ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾، فتكون في محل جر(٢).

جواب آخر:

وهو ما حكاه النحويون البصريون من أن لغة بعض العرب كطيء وأزدشنوءة تجعل الفعل يطابق الفاعل في الإفراد والتثنية والجمع.

ومما يدل على ذلك قول الشاعر عمرو بن ملقط وهو شاعر جاهلي:

ألفيتـــا عينـــاك عنـــد القفـــا   أولى فـــأولى لـــك ذا واقيـــة

فالفعل ألفيت اتصلت به ألف الاثنين، رغم وجود نائب الفاعل (عيناك).

٢٢- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢].

الاعتراض: لماذا جاء الضمير في (بهم) للغائب، رغم أن الأسلوب قبله كان للمخاطب؟

الجــــواب:

هذا الأسلوب يسمى في البلاغة بأسلوب الالتفات وهو تغير الأسلوب من من الخطاب

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (٨/ ١٦٢).
(٢) إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٨).

إلى الغيبة أو العكس وهو من أجمل الأساليب البلاغية.

وفي هذه الآية لما كان المقام مقام الامتنان والكلام بصدد ذكر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع المخاطبين من المؤمنين والكفار وحسن أسلوب الخطاب لهم جميعًا ليستديم الصالح الشكر، ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيتهيأ قلبه لتذكر وشكر المنعم بها ﷻ.

ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا نجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة لئلا يخاطب المؤمنين بها لا يليق صدوره منهم، وهو البغي بغير الحق.

ومن جهة أخرى ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها، كالمخبر لهم بالأمر ليستدعي منهم الإنكار عليهم، والتقبيح لما اقترفوه[1].

٢٣- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

الاعتراض: لماذا لم يثن الضمير العائد على الاثنين لفظ الجلالة ورسوله فيقول: أن يرضوهما؟

الجـــــواب:

توحيد الضمير في (يرضوه) لأن إرضاء الرسول ﷺ لا ينفك عن إرضاء الله، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.

ولهذا التلازم جعل إرضاءهما كالشيء الواحد فعاد إليهما الضمير مفردًا.

جواب آخر:

- (أحق أن ترضوه) هي خبر للفظ الجلالة الله، وأما خبر ورسوله فمحذوف لدلالة السياق عليه، وتقديره «كذلك».

جواب آخر:

أن لفظ الجلالة (الله) مبتدأ حذف خبره، والواو للاستئناف، و(رسوله) مبتدأ لجملة ثانية وخبره (أحق أن يرضوه)، فهما جملتان حذف خبر الأولى كما في قول الشاعر:

نحـــن بـــما عنـــدنا وأنـــت بـــما عنـــدك راض والـــرأي مختلـــف.

فالجملة الأولى (نحن بما عندنا) خبرها محذوف تقديره «راضون» دل عليه السياق.

---

(١) إعراب القرآن الكريم (٤/ ٢٢٦).

٢٤- قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم: ٤].

الافتراء: الخطاب في هذه الآية كما قال بعض المفسرين موجه لحفصة وعائشة ب، فلماذا لم تأت «قلباكما» وجاءت «قلوبكما» فهل للاثنتين أكثر من قلبين؟

الجـــــواب:

جمعت كلمة قلب ولم تأت في صورة المثنى، لأن العرب يكرهون اجتماع تثنيتين في كلمة واحدة مع ظهور المراد، فإذا كانت الكلمة مثنى واتصل بها ضمير للمثنى فالأصح في لغة العرب أن نأتي بالكلمة في صورة الجمع مع تثنية الضمير، وهذا مشهور عند أهل اللغة ومثيله في التوكيد المعنوي كلمة نفس وكلمة عين، فتقول: قابلت الرجلين أنفسهما [١].

جاء في ألفية ابن مالك:

بـــالنفس وبـــالعين الاســـم أُكِّـــدا ... مـــع ضـــمير طـــابق المؤكـــدا

واجمعهـــــما بأفعـــــل إن تبعـــــا ... مـــا لـــيس واحـــد تكـــن متبعـــا

قال ابن عقيل: «إن كان المؤكد بهما مثنى أو مجموعًا جمعتهما على مثال أفعل، فتقول: جاء الزيدان أنفسهما أو أعينهما..» [٢].

٢٥- قوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١].

الافتراء: كيف يوصف (الطفل) وهو مفرد بالاسم الموصول (الذين) وهو للجمع؟ ألم يكن الأصح أن تأتي (الأطفال الذين) أو (الطفل الذي)؟

الجـــــواب:

كلمة الطفل تصلح للجمع والمفرد معًا.

قال الجوهري: «الطفل واحدًا وجمعًا مثل الجنب» [٣].

وقال الراغب: «وقد يقع على الجمع وقد يجمع على أطفال «ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا» [٤].

وقال بعض النحاة: إن الطفل في الأصل مصدر فيقع على القليل والكثير [٥].

---

(١) شذور الذهب (ص٤٠٠).

(٢) شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (٢/ ١٩٢).

(٣) الصحاح (٢/ ١٣٠٧).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (ص٥٢١).

(٥) روح المعاني (١٠/ ٢١٤).

وإن كان الطفل هنا مفردًا فهو محلى بـ «ال» للجنس، ولذلك وصف بالجمع كقولهم: أهلك الناس الدينار الصُفْر والدرهم البيض.

٣٦- قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

الافتراء: لماذا لم يقل تلك عشرة مع حذف كلمة (كاملة) تلافيا للإيضاح الواضح، لأنه لا يوجد من يظن العشرة تسعة مثلاً؟

الجـــــواب:

لفظ (كاملة) إن جاء زائدًا كان من باب توكيد الكلام ولا عيب فيه، كما تقول: سمعته بأذني ورأيته بعيني، ومن الممكن الاكتفاء بلفظ السماع والرؤية من غير أن نأتي بلفظ الأُذُن والعين؛ لأن الإنسان لا يسمع بغير أذنه مثلاً.

ولكن لفظ كاملة له فائدة لطيفة هنا وهي: دفع توهم ورود الواو بمعنى أو في الآية، فإن الواو تأتي بمعنى أو أحيانًا.

فحتى لا يفهم أحد أنه مخير بين صيام «ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ» أو «سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ» جاء دفع هذا التوهم بقوله تعالى: «تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ».

ومن فوائدها أيضًا: توضيح أن المراد بالسبعة العدد دون الكثرة، فإن لفظ السبعة في اللغة العربية يستعمل بمعنى الكثرة كما يدل على العدد المعروف.

٣٧- قال بعض الجهال المفترين: إن الصحيح أن تكون (عشر كاملة) بدلاً من (عشرة كاملة)(١).

وهذه مغالطة كبيرة؛ لأن العدد (عشرة) يخالف المعدود إذا كان مفردًا، مثل: (دفعت عشرة دراهم)، ويوافقه إذا كان مركبًا مع عدد آخر مثل: (أحد عشر كوكبًا).

والعدد (عشرة) في الآية مفردًا، إذن سيخالف المعدود.

والمعدود هنا هو (أيام) ومفرده (يوم) فهو مذكر، ولذلك جاءت عشرة مؤنثة.

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

---

(١) يوجد هذا الافتراء الساذج على كثير من المواقع التنصيرية على الشبكة الدولية.

الافتراء: لماذا جاء الفعل (أشهد) بصيغة المفرد، رغم أن المتكلم جمع - وهم الحواريون - بدليل قولهم (أمنا)؟ ألم يكن الصحيح أن تأتي (ولنشهد بأننا مسلمون)؟

الجـــــواب:

هذا الافتراء يدل على أن صاحبه لا يحسن يقرأ، فالفعل (اشْهَدْ) هنا فعل أمر للدعاء، وليس فعلاً مضارعًا (أَشْهَدُ)، والمعنى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ ﴾، أي: واشهد يا ربنا ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾.

٣٩- قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾. [الفتح: ٨، ٩].

الافتراء: هذا التركيب يؤدي إلى اضطراب في المعنى، لأن الضمير المنصوب في قوله: تعزروه وتوقروه عائد على الرسول المذكور آخراً، وفي قوله: تسبحوه عائد على لفظ الجلالة المذكور أولاً. هذا ما يقتضيه المعنى، وليس في اللفظ ما يعينه تعييناً يزيل اللبس.

فإن كانت الضمائر في: «تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً» عائدة على الرسول يكون كفراً، لأن التسبيح لله فقط.

وإن كانت الضمائر في: «تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً» عائدة على الله يكون كفراً، لأنه تعالى لا يحتاج لمن يعززه ويقويه!!

الجـــــواب:

التعزير له أكثر من معنى منها:

- النصرة مع التعظيم، كما قال الراغب الأصفهاني[(١)]، وهذا جائز في حق الله ﷻ.

- التفخيم والتعظيم، كما قال ابن منظور: «عزره: فخمه وعظمه»[(٢)] وهذا جائز في حق الله ﷻ أيضًا.

فإن كانت الضمائر في: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ عائدة على الله فهذا معنى صحيح بلا شك ولا يكون كفراً كما زعم الجاهل المفتري.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٥٦٤).
(٢) الصحاح (٢/ ١٣٠٧).

فالمعنى سيكون على النحو التالي:

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: أي تعظمون الله وتفخمونه وتنصرون دينه.

﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تبجّلون الله وتعظمونه.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي تقدسونه وتنزهونه عن كل نقص في الغدو والعشية.

قال ابن عاشور: «وضمائر الغيبة المنصوبة الثلاثة عائدة إلى اسم الجلالة لأن إفراد الضمائر مع كون المذكور قبلها اسمين دليل على أن المراد أحدهما، والقرينة على تعيين المراد ذكر (وتسبحوه)، ولأن عطف (ورسوله) على لفظ الجلالة اعتداد بأن الإيمان بالرسول ﷺ إيمان بالله فالمقصود هو الإيمان بالله»[1].

وقال الزمخشري: «والضمائر لله ﷻ والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد»[2].

وقال أبو حيان: «والظاهر أن الضمائر عائدة على الله تعالى»[3].

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الضميرين في ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تعود على الرسول، بينما الضمير في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ عائد إلى الله، ولكن هذا القول ضعيف كما قال الزمخشري والألوسي وغيرهما.

قال الألوسي: «ولا يخفى أن الأولى كون الضميرين فيما تقدم لله تعالى أيضًا لئلا يلزم فك الضمائر بغير ضرورة»[4].

٣٠- الافتراء: يزعم بعض المرجفين الجهال أن القرآن يشتمل على أخطاء إملائية، ويضربون على ذلك أمثلة منها: (رحمة التي كتبت رحمت)، (الصلاة التي كتبت الصلوة)، وكذلك بعض الكلمات التي كتبت بأكثر من شكل في القرآن الكريم مثل (إبرهيم، وإبرهم)، فما مدى صحة هذا الادعاء[5]؟

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ١٥٦).

(٢) الكشاف (ص١٠٢٥).

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٨٥).

(٤) روح المعاني (١٤/ ١٤٧).

(٥) راجع كتاب: الرد على شبهات حول أخطاء إملائية في القرآن الكريم، لعبد الرحمن الدمشقية، دار المسلم للتوزيع والنشر.

الجـــــواب:

أولاً: طريقة وأسلوب الكتابة التي كان يكتب بها الصحابة والتابعون ليست هي نفس الطريقة التي نكتب بها في عصرنا، فقواعد الإملاء والكتابة مختلفة، ومن اطلع على المخطوطات القديمة يعلم الفرق بين الطريقتين، فمن الجهل أن نحاكم الرسم القرآني لقواعد إملائية وكتابية نشأت بعده.

ثانيًا: القواعد الإملائية عمومًا ليست وحيًا منزلاً، ولا حقائق علمية لا تقبل الخلاف، وإنما هي من الأمور الاصطلاحية [1] التي اتفق عليها العلماء بقصد أن تكون وسيلة تساعدهم في تناقل العلم وغيره من أوجه النشاط الحضاري، ولما كان الرسم الإملائي أمراً اصطلاحياً فيجوز أن يقع فيه اختلاف بين العلماء كما يجوز أن يكون عرضة للتغيير والتطوير على مر العصور بحسب ما تقتضي المصلحة.

حتى في عصرنا هذا يوجد اختلاف بين المدارس الإملائية المعاصرة في طريقة رسم عدد غير قليل من الكلمات، مثل: مسئول ومسؤول، ورؤوف ورءوف، قرآن وقرءان، وداوود وداود، ومائة ومئة... وهذا الاختلاف غير مؤثر ولا إشكال فيه؛ لأنه اصطلاح واتفاق بين المختصين والعلماء على قواعد معينة.

ثالثًا: رسم المصحف من الأمور الاصطلاحية التي لم تتلق بوحي من الله تعالى، وإنما كتبت على نحو ما اتفق واصطلح الناس عليه في ذلك الوقت، والأمور التي يتفق عليها الناس لا مشاحة فيها ولا منازعة ولا ينكر فيها على أحد إذا حصل بها المقصود، وأدت الغرض من إيجادها.

فإذا اتفق مثلاً أهل الإنجليزية على أن كلمة (SCHOOL) لا ينطق فيها حرف (H)، وأن حرف (C) ينطق فيها (K)، فهذا اصطلاح لهم لا يمكن تخطئتهم فيه.

رابعًا: كون القرآن الكريم قد كتب بالرسم الموجود في ذلك الوقت مما اصطلح على

---

(١) نقصد بالأمور الاصطلاحية أي ما يتفق عليه أهل الاختصاص في مسألة معينة، مثلاً اتفق بعض علماء الإملاء على كتابة (داوود، وطاووس) بواوين، في حين اصطلح علماء آخرون على كتابتها (داود، وطاوس) لأنهم كرهوا وجود واوين متتاليتين في كلمة واحدة، وكلتا الطريقتين اصطلاح للعلماء لا يجوز تخطئة أحدهم في ذلك لأنه لا مشاحة ولا تنازع في الاصطلاح.
وهذا ليس خاصًا باللغة العربية فقط، فقد اصطلح أهل الإنجليزية مثلاً على أن ينطق حرف (C) في بعض الكلمات (K) مثل كلمة (car) فهل يمكن تخطئتهم في ذلك؟ بالطبع لا؛ لأنها مسألة اصطلاحية.

تسميته بعد ذلك بالرسم العثماني مما يخالف الرسم الإملائي المعاصر لا يعدّ ذلك نقصاً في القرآن الكريم نفسه، لخروج طريقة كتابة القرآن عن حقيقة القرآن، لأن القرآن لم ينزل مكتوباً، وإنما نزل متلواً؛ فلو افترضنا جدلاً أنه كتب على خلاف القواعد فهذا لا يضره ولا يقدح فيه من قريب أو بعيد، كما لو كتبه أحد مثلاً بخط غير جميل وغير منسق فهذا لا يقدح فيه، وكما لو أنه كتب على ألواح وأوراق رديئة مثلاً، فإن كل ذلك مما لا يعاب به القرآن الكريم لأنه لم ينزل مكتوبًا، وطريقة كتابته وتدوينه ليست جزءًا من حقيقته.

خامسًا: الغالب أن يطابق المكتوب المنطوق، ولكن هذا لا يحدث دائمًا، ففي اللغة العربية هناك حروف تكتب ولا تنطق، وحروف تنطق ولا تكتب؛ بل هذا ليس خاصًا بالعربية فقط بل هو موجود في اللغات الأجنبية أيضًا.

والكتابة لا يمكن أن تضبط كل منطوق، ولذلك يصعب - مثلاً - كتابة الأثر الصوتي للغنة والإخفاء والقلقلة والإمالة على نحو دقيق يفهمه كل قارئ.

ولذلك فلا يمكن الاعتماد فقط على المكتوب دون حفظ الصدر والتلقي عن شيوخ القراءات، وإنما يسخر المكتوب في خدمة المنطوق، ومثل هذا ما نجده من الإشارات المكتوبة في المصحف التي تدل على مواضع الوصل والوقف، والإشارات المساعدة لتطبيق أحكام التجويد، وتقسيم الأجزاء والأحزاب والأرباع.. ونحو ذلك من أمور اصطلاحية يقصد بها تسهيل القراءة وتقريبها.

سادسًا: كتابة القرآن فيها بعض الاصطلاحات التي يخالف فيها المكتوب المنطوق أحيانًا، أو الكلمات التي كتبت بطريقة مختلفة لخدمة غرض معين متعلق بالقراءة، أو جاءت في القرآن بأكثر من صورة مراعاة - مثلاً - لتعدد القراءات.

ومن الأمثلة على ما سبق:

- كلمة (رحمة) التي كتبت في القرآن كذلك (رحمت) بتاء مفتوحة.

ففي الموضع الذي كتبت فيه (رحمة) بتاء مربوطة فإنها تنطق هاء عند الوقف عليها باتفاق القراء كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾.

وفي الموضع الذي كتبت فيه بتاء مفتوحة تنطق تاء عند الوقف عليها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

(١) انظر: الوافي في شرح الشاطبية (ص١٤٩)

- كلمة (إبراهيم) التي كتبت في القرآن كذلك (إبرهم).

ففي الموضع الذي كتبت فيه (إبرهم) بدون الياء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ فإنها قرئت (إبراهيم) و(إبراهام)[1].

وفي الموضع الذي كتبت فيه (إبرهيم) بإثبات الياء كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا﴾ فإنها قرئت (إبراهيم)[2].

- وفي سبب كتابة الألف في بعض الكلمات واوًا مثل: (الصلاة- الصلوة) و(الزكاة- الزكوة) قال السيوطي: «في البدل تكتب بالواو للتفخيم ألف الصلاة والزكاة والحياة والربا - غير مضافات - ومشكاة والنجاة ومناة»[3].

وقد صنف أهل العلم قديماً وحديثًا مصنفات عدة في بيان سبب رسم بعض الكلمات في القرآن على نحو يخالف الرسم القياسي[4].

سابعًا: إبقاء المسلمين لرسم المصحف كما هو، وعدم إخضاعه لتغيرات القواعد الإملائية والكتابية الحديثة، خير دليل على صيانة القرآن وكل ما يتعلق به، لدرجة الاحتفاظ برسم المصحف الذي ارتضاه الصحابة الكرام واتفقوا عليه على نفس صورته بما فيها من اصطلاحات، حيث إن هذا الرسم حقق المراد منه.



(١) كما في قراءة ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان.
(٢) انظر: الوافي في شرح الشاطبية (ص١٧٣).
(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٥٣٩)
(٤) راجع على سبيل المثال: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٥٣٥)، ومناهل العرفان للزرقاني (١/ ٣٧٧)، والمتحف في أحكام المصحف لصالح الرشيد (ص٦٠٠)، ودراسات في علوم القرآن الكريم لفهد الرومي (ص٣٣٧)، ورسم المصحف لغانم قدوري الحمد (ص٧٢٩)، وفصول في فقه اللغة العربية لرمضان عبد التواب (ص٩٠).

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

افتراءات وتساؤلات
حول أسماء الله الحسنى وصفاته



١- لماذا تم تغيير أسماء الله؟ حيث ورد في أبحاث لبعض علماء المسلمين عدم صحة بعض الأسماء الحسنى ومن ثم استبدلوا بها أسماء أخرى قالوا إنها الصحيحة، فهل يمكن أن يغير الناس أسماء الله؟

الجـــــواب:

أسماء الله لم تأت مجموعة في نص صحيح واحد، بل جمع هذه الأسماء من النصوص وحصرها اجتهادي، والدليل على ذلك: قول رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة» (١).

ما معنى أحصاها؟

قال ابن القيم: مراتب الإحصاء (إحصاء أسماء الله) ثلاث:

الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] (٢).

ولأنه لم يأت نص يجمعها فصار الأمر اجتهاديًا.

فاجتهد العلماء في إحصائها وفق قواعد حددوها؛ ولذلك اختلفت مناهجهم في الجمع بين متوسع ومستقل، فمثلاً:

ابن حزم اقتصر على ما ورد في القرآن بصيغة الاسم فذكر (٨١ اسمًا) (٣).

وذكر ابن العربي أنها (١٤٦ اسمًا) (٤)؛ بل ذكر هو نفسه أنه بلغ بها (١٧٦ اسمًا) في كتابه الأمد، وابن الوزير بلغ بها (١٧٣) اسمًا (٥).

ومن أمثلة الخلاف بينهم في منهج إثبات الأسماء:

– الأسماء المضافة (ذو الجلال) (أحسن الخالقين) (أرحم الراحمين): البعض أثبتها كأسماء، والبعض عدها من الصفات لا الأسماء.

---

(١) البخاري (٢٥٣١)، مسلم (٤٨٣٥).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٠).

(٣) راجع سبل السلام (٤/ ١٤٣).

(٤) أحكام القرآن (٢/ ٨٠٥).

(٥) سبل السلام (٤/ ١٤).

- الاشتقاق من الأفعال: (مثل اشتقاق الجاعل من الفعل يجعل) اعتمد البعض هذه الطريقة ورفضها آخرون.

- أثبت البعض ما كان من صفات أفعاله مثل (سريع العقاب) (شديد المحال)، وخالفهم الباقون فلم يثبتوها في الأسماء.

ومن هنا يتبين أن الأسماء الحسنى لم تتغير كما يزعم الجاهل المفتري؛ لأنها لم تثبت من الأساس بدليل قطعي صحيح وإنما هي محل اجتهاد من البداية كما وضحنا بالدليل.

٢- هل الله في الإسلام «مكار»؟

ليس في القرآن أن الله مكار، وإنما ما جاء أنه خير الماكرين.

قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

ولكن ما معنى المكر؟ المكر في اللغة هو: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وهو ضربان:

- مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل مثل ما جاء في الآية في وصف الله ﷻ بأنه خير الماكرين.

- ومذموم: وهو أن يتحرى بذلك فعل قبيح كما جاء في القرآن: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»[(١)] وهذا لا يوصف به الله ﷻ.

قال ابن الأثير: «مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه»[(٢)].

وطالما أنه مما يمدح في موضع ويذم في موضع فلا يكون من أسماء الله تعالى.

قال حافظ حكمي: «إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا، وأن ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه الماكر، المخادع، المستهزئ الكائد فقد فاه (أي نطق) بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه»[(٣)].

وقال ابن القيم: «لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يُشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين، فجعل من أسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر تعالى الله عن قوله، فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة فلا يجوز أن يسمى بأسمائها»[(٤)].

---

(١) مفردات: ألفاظ القرآن (ص٧٧٢).
(٢) تاج العروس للزبيدي (١٤/ ١٤٧).
(٣) معارج القبول (١/ ٧٦).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٦٩).

٣- هل الله في الإسلام «مضل»؟

الجـــــواب:

ليس من أسمائه سبحانه (المضل)، لكن ما ورد أنه يضل الظالمين والكافرين والفاسقين، كما في الآيات التالية:

- ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

- ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

- ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

والإضلال نوعان:

أحدهما: أن يكون سببه الضلال[1]، وذلك على وجهين:

١- إما بأن يضل عنك الشيء كقولك: أضللت البعير، أي ضلّ عني.

قال ابن منظور: «أضللت الشيء إذا ضاع منك (وضل عنك)، مثل: أضللت بعيري وغيره، إذا ذهب منك»[2].

٢- وإما أن تحكم بضلاله كقولك: أضللت الرجل، أي حكمت بأنه ضال.

الثاني: أن يكون الإضلال سببًا للضلال وهو أن يزين للإنسان الباطل؛ ليضل (وهذا من فعل الشيطان)[3].

وإضلال الله تعالى للكفار: أي أن يضل الإنسان عن الله، فيحكم الله عليه بالضلال في الدنيا، ويعدل به عن طريق الجنة إلى النار، كما جاء في القرآن:

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠][4].

٤- هل الله في الإسلام «مخادع»؟

الجـــــواب:

ليس من أسمائه سبحانه (المخادع)، لكن ما ورد أنه يخادع الكفار والمنافقين، كما في قوله تعالى:

---

(١) أي أن الضلال هو سبب الإضلال.

(٢) لسان العرب (١١/ ٣٩٢).

(٣) انظر هذا التفصيل في مفردات ألفاظ القرآن (ص٥١٢).

(٤) جاء في كتاب القوم أن الرب عندهم يضل الأنبياء كما في حزقيال (١٤-٩): «فإذا ضل النبي وتكلم كلامًا فأنا الرب قد أضللت هذا النبي وسأمد يدي عليه وأبيده من وسط شعبي إسرائيل».

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي صارفهم عن خداعهم.

قال القرطبي: «الخداع من الله مجازاتهم على خداعهم أولياءه ورسله» (١).

وقال الطبري: «يعطيهم يوم القيامة نورًا يمشون به مع المسلمين كما كانوا معهم في الدنيا، ثم يسلبهم ذلك النور فيطفئه، فيقومون في ظلمتهم ويضرب بينهم بالسور» (٢).

وقال الألوسي: «أي فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والأموال، وأعدّ لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار» (٣).

٥- هل الله في الإسلام «مستهزئ»؟

الجـــــواب:

ليس من أسمائه سبحانه (المستهزئ)، لكن ما ورد أنه يستهزئ (٤) بالكفار والمنافقين، كما في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

ويسمى هذا في علم البلاغة والبديع بالمشاكلة.

والمشاكلة أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.

مثاله: «وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا».

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقال أبو تمام:

مـــن مبلـــغ أفنـــاء يعـــرب كلهـــم ... أني بنيـــت الجـــار قبـــل المنـــزل

والرجل يبني الدار لا الجار.

جاء في تفسير ابن كثير: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾،

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٢).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٤٢).
(٣) روح المعاني للألوسي (٤/ ٢٥٧).
(٤) جاء في كتاب القوم أن الرب يستهزئ كما في المزامير (٢-٤): «الساكن في السموات يضحك الرب يستهزئ بهم حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه»

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، وما أشبه ذلك من إخبار من الله تعالى أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع، فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ، وإن اختلف المعنيان»[(١)].

وبمثل ذلك يرد على على قولهم:

٦- هل الله «ساخر» أو هل «الله ينسى»؟

قال ابن عاشور: «نسيان الله لهم مشاكلة أي حرمانه إياهم مما أعدّ للمؤمنين؛ لأن ذلك يشبه النسيان عند قسمة الحظوظ»[(٢)]، وفيه إلماح إلى أن الجزاء من جنس العمل، فالله لا ينسى بدليل قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

٧- هل الله في الإسلام منتقم؟

الجـــــواب:

الراجح أن المنتقم ليس من أسماء الله تعالى، وإنما هو من صفاته.

والنقمة هي: العقوبة [(٣)]، فمنتقم أي: يعاقب من يستحق العقوبة وهذا من العدل، قال تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٦][(٤)].

٨- هل الله في الإسلام ضار؟

الجـــــواب:

ليس من أسمائه سبحانه (الضار)، ولم يرد نص بذلك، لكن ما ورد أنه يمس الناس بالضر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾، والضر هو سوء الحال[(٥)].

والضر قد يصيب الإنسان في نفسه في الدنيا بمرض أو نقص مال أو علم أو فقد حبيب ونحو ذلك، أو في البرزخ والآخرة بعذاب القبر وجهنم وغير ذلك من صنوف العذاب فكلها

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٨٠).
(٢) التحرير والتنوير (٦/ ٢٥٥).
(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص٨٢٢).
(٤) جاء في كتاب القوم أن الرب منتقم وأنه إله النقمات كما في: المزامير (٩٤-١): (يا إله النقمات يا رب يا إله النقمات أشرق)، وناحوم (١-٢): (الرب إله غيور ومنتقم، الرب منتقم وذو سخط).
(٥) مفردات ألفاظ القرآن (ص٥٠٣).

من الضر، ومن توحيد الربوبية أن يؤمن الإنسان أن الذي يملك النفع والضر هو الله وحده، فالله وحده هو الذي يملك أن يصيب الناس بالضر أو يرفع عنهم هذا الضر لأن الأمر كله بيده، ولا يخالف في ذلك إلا واحد من اثنين:

الأول: من يظن أن إلهه عاجز ضعيف لا يملك أن يضر أحدًا.

الثاني: المشرك الذي يقول بوجود إلهين، إله للخير وآخر للشر.

فمن أي الفريقين هذا المعترض؟؟

٩- هل الله في الإسلام جبار؟

الجــــواب:

نعم الجبار من أسمائه الحسنى [١]، ومعناه:

- المصلح للأمور من جَبْر الكسر أي إصلاحه، وجبر الفقير بإغنائه.

- القاهر لخلقه، بالعز الذي ليس لأحد سوى الله.

- العالي على خلقه، ومن ذلك قولهم للنخلة التي تعلو كل النخل: جبارة.

قال ابن القيم في النونية:

وكـــذلك الجبـــار مـــن أوصـــافه ... والجـــبر في أوصـــافه نوعـــان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ... ذا كـــسرة فـــالجبر منـــه دان

والثـاني جـبر القهـر بـالعز الـذي ... لا ينبغـــي لـــسواه مـــن إنـــسان

ولـه مـسمى ثالـث وهـو العلـو ... فلـيس يـدنو منـه مـن إنـسان

مـــن قـــولهم جبـــارة للنخلـــة الـــ ... ـعليا التـي فاتـت لكـل بنـان [٢]

١٠- هل الله في الإسلام متكبر؟

الجــــواب:

نعم، من أسمائه سبحانه المتكبر ويعني: المتفرد بالعظمة المطلقة.

---

(١) ورد في كتاب القوم أن الرب جبار كما في التثنية (١٠-١٧): (لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار المهيب).

(٢) النونية مع شرحها (٢/ ٢٣٢)، وانظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٣٥)، لسان العرب (٥/ ٥٣٥)، تفسير الأسماء للزجاج (ص٣٤).

فهو سبحانه المتكبر عن:

- كل سوء وشر وظلم [(١)].

- صفات الخلق فلا شيء مثله [(٢)].

- وهو الذي له الكبرياء في السموات والأرض، والكبرياء: السلطان والعظمة.

- وهو المتكبر لأن كل ما دونه بالنسبة له حقير صغير.

والكبرياء من خصائص الإلهية، ويذم من ادعاها من الخلق لأنه لا يستحق ذلك، فهي صفة ممدوحة محمودة في الخالق، قبيحة مذمومة في المخلوق.

١١- هل الله في الإسلام هو (الوارث)؟ وإن كان هو الوارث فمن يرث؟

الجـــــواب:

نعم، الله هو الوارث أي: الذي يبقى بعد فناء كل الخلق.

قال الطبري: «﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾: يقول سبحانه وتعالى ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم فلا يبقى حي سوانا إذا جاء ذلك الأجل» [(٣)].

وقال الزجاجي: «الله ﷻ وارث الخلق أجمعين لأنه الباقي بعدهم وهم الفانون» [(٤)].

وقال الخطابي: «الوارث هو: الباقي بعد فناء الخلق» [(٥)].

قال يزيد بن خذاق (وهو شاعر جاهلي):

هـــون عليـــك ولا تولـــع بإشـــفاق ... فـــإنما مالنـــا للـــوارث البـــاقي

وقال الزجاج: «(الوارث) كل باقٍ بعد ذاهب فهو وارث» [(٦)].

١٢- هل الله في الإسلام مَقيت ـ بفتح الميم ـ؟

الجـــــواب:

الله سبحانه المُقيت ـ بضم الميم ـ وليس المَقيت ـ بفتح الميم ـ.

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٧)، عن قتادة وغيره.

(٢) الاعتقاد (ص٥٥).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ١٦).

(٤) اشتقاق الأسماء (ص١٧٣).

(٥) شأن الدعاء (ص٩٦).

(٦) تفسير الأسماء (ص٦٥).

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

فالمُقيت ـ بضم الميم ـ مشتق من القوت وهو اسم الشيء الذي يحفظ نفسه.

وعلى هذا فالمُقيت هو: الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة [١].

وهو: الحافظ، والقائم على كل شيء بالتدبير، والمقتدر على الشيء [٢].

أما المَقيت ـ بفتح الميم ـ فاسم مفعول من المقت، وهو الكره والبغض الشديد، فالمَقيت بمعنى المكروه، وهذا لا يوصف به الله في الإسلام أبدًا.

١٣- ما معنى كون الله في الإسلام (شهيدا)؟

الجـــــواب:

قال الزجاج: «الشهيد الحاضر، يقال شهدت الشيء وشهدت به من الشهادة التي هي الحضور» [٣]. فالشهيد بمعنى الشاهد كالعليم بمعنى العالم، والرحيم بمعنى الراحم.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣]، أي: شاهد عليه عالم به لا يخفى عليه شيء [٤].

١٤- ما معنى (أحد) في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]؟

الجـــــواب:

لفظ (أحد) إذا استخدم في الإثبات مطلقًا بغير إضافة كان بمعنى: المتفرد في ذاته وفي صفاته فلا يجمع مع كفء له أو أكفاء، ولا يجوز ذلك إلا لله فقط، فهو الأحد في الوجود ولا مثيل له ولا كفء في ذاته ولا صفاته [٥].

١٥- ولماذا لم يقل الواحد؟

الأحد ـ كما ذكرنا ـ هو المتفرد في وحدانيته في ذاته وصفاته، بخلاف الواحد الذي يفيد وحدة الذات فقط، فهو أكمل في الدلالة على الوحدانية من الواحد [٦] وكلاهما من أسماء الله

---

(١) لسان العرب (٢/ ٩٠).
(٢) اشتقاق الأسماء (ص١٣٦)، شرح الأسماء للرازي (ص٢٦٧).
(٣) تفسير الأسماء (ص٥٣).
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٩٠)، اشتقاق الأسماء (ص١٣٠).
(٥) مفردات ألفاظ القرآن (ص٦٦).
(٦) تفسير الأسماء (ص٥٨).

سبحانه وتعالى القائل: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾.

قال أبو حاتم السجستاني النحوي اللغوي: «(أحد): هو اسم أكمل من الواحد، ألا ترى إنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد، جاز في المعنى أن يقوم له اثنان فأكثر، بخلاف قولك: لا يقوم له أحد» (١).

فمما يفرق به بين الأحد والواحد: أن الأحد يذكر لنفي ما يذكر معه من عدد إذا لم يضف، أما الواحد فهو لمفتتح العدد: (واحد- اثنان....).

بيان ذلك أنك لو قلت: ما جاءني أحد، فهذا معناه أنه لم يأتك أي شخص مطلقًا، أما لو قلت: ما جاءني واحد، فربما أتاك أكثر من واحد.

١٦- يزعم بعض الكفار أن (أحد) لا يستخدم إلا مضافًا فقط فمن الخطأ الوصف به، فما الرد على ذلك؟

هذا الكلام خطأ يدل على جهل قائله، فكما قال الراغب الأصفهاني أن لفظ أحد يستخدم في الإثبات على ثلاثة أوجه:

- مضموم لعدد مثل: أحد عشر.
- مضاف مثل: أحد الناس أو أحدكم.
- أن يستعمل وصفًا مطلقًا (أي الأحد أو أحد) وليس ذلك إلا لله (٢).

١٧- يقول بعض الكفار: إن المقصود في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: أحد الآلهة بتقدير مضاف إليه محذوف بعد كلمة أحد وهو كلمة الآلهة، فما الرد على ذلك؟

إن هذا غير ممكن أبدًا؛ لأن للحذف شروطًا أولها أن يستدل على المحذوف من السياق، ولا شك أن سياق سورة الإخلاص كله في توحيد الله ﷻ، بل القرآن كله في توحيد الله ﷻ، والآيات الواردة فيه التي تصرح بأنه لا إله إلا الله كثيرة مستفيضة، فكيف نقدر هنا محذوفًا يؤدي إلى معنى مضاد للتوحيد؟ لا يقول ذلك إلا جاهل معاند.

ثم أين هي القرينة التي في السياق تدل على ذلك المحذوف المزعوم؟

كما أن كلمة (أحد) منونة، ولو كانت مقطوعة عن الإضافة لبنيت على الضم (٣) كما في كلمتي

(١) الزينة نقلًا عن الإتقان (١/ ١٩١).
(٢) المفردات (ص٦٧).
(٣) لسان العرب (٢/ ٤٤٨).

(قبلُ) و(بعدُ) في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

١٨- يقول بعض أعداء الدين: لماذا ليس لله في الإسلام صفات تدل على المحبة؟

الجـــــواب:

الصفات الدالة على محبة وودّ الله لعباده ورحمته ورأفته بهم كثيرة، لكن ذاك المفتري هو من جهلها أو تجاهلها.

ومن هذه الصفات الدالة على المحبة: الودود كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ والودود صيغة مبالغة من الود وهو الحب[(١)].

ومنها: ولي المؤمنين، والولي هو المحب والنصير[(٢)].

ومن النصوص التي صرحت بلفظ محبة الله لعباده:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

١٩- يقول بعض أعداء الدين: لماذا كل صفات الله في الإسلام صفات توحي للخوف ولا توجد صفات للرجاء والأمن؟

الصفات الباعثة على الرجاء والطمع في رحمة الله لعباده ورأفته بهم كثيرة جدًا في القرآن والسنة، لكن عميت عنها أبصار هؤلاء المفترين كما عميت قلوبهم.

ومن هذه الصفات:

الرحمن والرحيم: وتدل على كمال الرحمة وشمولها، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[غافر: ٧].

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ١٠٦٥).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ١١٠١).

التواب: كما قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾.

العَفُوّ: الذي يكثر العفو عن عباده.

الغفور: الواسع المغفرة كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

الحفيظ: الذي يحفظ عباده، ويحفظنا من الشرور.

الكريم: الذي يكرم الناس جميعًا.

القريب: كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.

المجيب: الذي يجيب الدعاء كما قال صالح لقومه: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾.

فهذا جزء قليل من الصفات والآيات الباعثة على الرجاء والاطمئنان بها عند الله، واعلم أن المسلمين يعبدون الله بمحبته ورجائه كما يعبدونه برهبته والخوف منه، كما قال سبحانه: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، ولا يجوز أن يعبد بالخوف فقط لأن هذا يؤدي إلى اليأس والقنوط من رحمته، ولا يجوز أيضًا أن يعبد بالرجاء فقط لأن هذا سيؤدي إلى التفريط والتساهل في مواقعة الذنوب والمحرمات.



الفصل الخامس

الافـــــتراءات
حول النبي ﷺ زواجه
وحياته ورسالته



١- لماذا تزوج النبي ﷺ بأكثر من أربع نسوة؟

١- الزواج بأكثر من أربع أباحه الله له، وهذا الزواج الحلال لا يعيب أي إنسان: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

٢- كل هذه الزيجات كانت بقبول ورضا زوجاته وليس لأحد غيرهن أن يعترض.

٣- الرسول ﷺ له جملة من الأحكام الخاصة مثل:

أ- فرض قيام الليل عليه.

ب- يحرم عليه وعلى آله أخذ أموال الزكاة والصدقة.

جـ- أبيح له الوصال في الصيام.

وهذه الأحكام تدل على أن له خصوصية ليست لغيره من أمته.

٤- راعي الرسول مصالح في كل زيجاته، منها مصالح عامة مشتركة بين كل الزيجات، وانفردت بعض الزيجات بمصالح معينة.

فمن المصالح العامة المشتركة:

أ- أن تتولى أمهات المؤمنين تعليم النساء.

ب- أن ينقلن للناس ما يحدث داخل بيت النبي من حكم وأحكام.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

٣- إعلاء شأن المرأة في المجتمع الذي نشأ على جاهلية كانت تهين المرأة.

ومن المصالح العامة التي انفردت بها زيجات معينة:

أ- جذب كبار القبائل للإسلام بمصاهرتهن، مثل زواجه ﷺ بكل من: (جويرية بنت الحارث- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان).

ب- حكم تشريعية كتحريم التبني في زواجه من زينب بنت جحش.

جـ- إكرام أتباعه المقربين له كأبي بكر بزواجه من ابنته عائشة، وكعمر بن الخطاب بزواجه من ابنته حفصة، وكتزويجه ﷺ لبناته رقية وأم كلثوم لعثمان بن عفان، وفاطمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعًا.

ومن المنافع الخاصة: مراعاة ظروف خاصة لبعض زوجاته، مثل:

- سودة بن زمعة التي كانت من المؤمنات المهاجرات وتوفي عنها زوجها وكان ابن عمها ولو رجعت إلى أهلها لعذبوها وفتنوها عن دينها.

- أم سلمة هند بنت أبي أمية: كانت مسنة وذات عيال وتوفي عنها زوجها وكانت شديدة التعلق به.

٢- ألا تدل هذه الزيجات على شهوانية؟

الجـــــواب:

إن هذه الزيجات عند النظر والتحقيق لا تدل إلا على مراعاة المصالح العامة للأمة والخاصة لآحاد رعيته ﷺ وقد سبق تفصيل ذلك.

وبما يدل على انتفاء صفة الشهوانية في هذه الزيجات:

- أن الرسول بدأ زواجه في الخامسة والعشرين من السيدة خديجة التي كانت في الأربعين من عمرها وسبق لها الزواج مرتين، واستمر الزواج ٢٥ سنة لم يتزوج عليها حتى ماتت.

- لم يتزوج النبي ﷺ ببكر إلا واحدة فقط من إحدى عشرة امرأة، فكل أزواجه سبق لهن الزواج إلا عائشة رضي الله عنهن جميعًا.

- أكثر زوجاته تزوجهن بعد بلوغه أكثر من ٥٧ سنة كما يوضح الجدول التالي:

م	اسم أم المؤمنين	سنة الزواج بها	عمر النبي ﷺ وقت الزواج منها
١	خديجة	١٥ قبل النبوة	٢٥ سنة
٢	سودة	١٠ للنبوة	٥٠ سنة
٣	عائشة	١١ للنبوة	٥١ سنة
٤	حفصة	٣ هـ	٥٦ سنة
٥	زينب بنت خزيمة	٤ هـ	٥٧ سنة
٦	أم سلمة	٤ هـ	٥٧ سنة
٧	زينب بنت جحش	٥ هـ	٥٨ سنة
٨	جويرية	٦ هـ	٥٩ سنة
٩	أم حبيبة	٧ هـ	٦٠ سنة
١٠	صفية بنت حيي	٧ هـ	٦٠ سنة
١١	ميمونة بنت الحارث	٧ هـ	٦٠ سنة

وأخيرًا: لو تزوج الإنسان وقضى شهوته بالحلال فهل يلام على ذلك؟ بالطبع لا.

ومن العجب أن ممن يثير هذه الشبهات اليهود والنصارى الذين يؤمنون بكتاب جاء فيه أن نبي الله داود تزوج بمائة امرأة، وأن سليمان ﷺ كان له سبعمائة امرأة.

بل في كتابهم أيضًا نسبة الزنى للأنبياء (كداود برأه الله مما قالوا)، والأدهى من ذلك أنهم ينسبون لهم أحط أنواع الزنى وهو زنى المحارم (كما نسبوا لسيدنا لوط ﷺ أنه زنى بابنتيه)، وهم مع ذلك لا يقدحون في نبوة أي نبي نسبوا له هذه الشناعات.

٣- لماذا تزوج النبي من خديجة ﵂ رغم كبرها؟

أولاً: ما تذكره الروايات أن خديجة هي التي سعت إلى الزواج من النبي (رغم كثرة خطابها) ووسطت في ذلك صديقتها نفيسة بنت منبه، وكان سبب رغبتها في الزواج منه حسن أخلاقه وأمانته والبركة العظيمة التي أحاطت به[١].

ثانيًا: اشتهرت خديجة بحسن خلقها ورجاحة عقلها ومكانتها الرفيعة في قريش، وكان الكثير من رجال مكة يتمنون الزواج منها.

ثالثًا: لم يكن زواج النبي منها رغبة في مالها كما يدعي كذبًا بعض المفترين، بدليل أن النبي ﷺ أصدقها ٢٠ بكرة (وهي الناقة الفتية) وهذا من خير أموال العرب.

٤- ولماذا طلق النبي ﷺ سودة بنت زمعة بعد أن كبرت سنها؟

ما روى أن النبي طلق سودة هو ضعيف كما ذكر ابن حجر في فتح الباري (فهي رواية أخرجها ابن سعد بإسناد مرسل).

أمّا ما روى في الصحيح فهو أنها لما كبرت وهبت ليلتها لعائشة ﵂ إرضاء للنبي ﷺ، فقد تزوجها النبي وهي امرأة مسنة مراعاة لظروفها (التي ذكرناها آنفًا)، ولما كبرت سنها ولم يعد لها في الرجال حاجة، استمر النبي يقسم لها ليلة عدلاً بين نسائه، فخشيت أن تثقل على النبي ﷺ فوهبت ليلتها لعائشة.

٥- لماذا تزوج النبي ﷺ من عائشة وهي طفلة؟

الجـــــواب:

١ – لم تكن طفلة بل امرأة بالغة.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٨٨)، الرحيق المختوم (ص٧٨).

٢ - المرأة قد تبلغ في الثامنة وربما قبل ذلك، كما هو ثابت طبيًا.

٣- لقد خطبها النبي ﷺ وعقد عليها في السادسة، ولم يدخل بها إلا عندما بلغت وصارت صالحة للزواج وهي في التاسعة من عمرها.

٤ - إن كنا ننكر ذلك عرفًا الآن، فلم يكن ذلك مستنكرًا وقتها، فالأعراف تتغير وتتبدل في كل زمان ومكان، وليس من الإنصاف محاكمة أفعال حدثت منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، لأعراف عصرنا الحالي.

ويكفي في الدلالة على أن هذا لم يكن مستنكرًا في أعراف القوم وقتها أن عائشة كانت مخطوبة قبل زواجها من النبي ﷺ لجبير بن مطعم.

وأن أحدًا لم يعترض سواء من المسلمين أو الكفار المتربصين بالرسول الكريم والمتشوقين لوقوع أي شيء يشنعون به عليه.

٥ - فارق السن بينهما لا يقدح في كفاءة الزواج لأن الكفاءة لها اعتبارات متعددة ليست هي السن فقط، وكفى أنه نبي ﷺ.

٦ - صغر سنها أهلها لسرعة التعلم والحفظ وعاشت بعد وفاته ﷺ زمنًا فكانت أكثر زوجاته رواية عنه، بل هي من المكثرات في الرواية (روت ما يربو على ٢٢٠٠ حديث).

٦- لماذا كان يأتي معها ممارسات جنسية قبل التاسعة كالمفاخذة؟

هذا محض افتراء وبهتان من أعداء الله الكاذبين وعلى من ادعى ذلك أن يأتي بالدليل.

٧- لماذا تزوج ﷺ من زوجة ابنه زيد السيدة زينب بنت جحش؟

أولًا: زيد ليس ابنه بل كان دعيّه، فزيد بن حارثة تبناه النبي ثم ألغى التبني فهو ليس ابنه لا حقيقة ولا ادعاء.

قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب: ٤٠].

وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤].

ثانيًا: السيدة زينب حين تزوجها الرسول ﷺ كانت مطلقة زيد دعيه ولم تكن زوجته، فهي مطلقة دعيه، وليست زوجة ابنه.

ثالثًا: الرسول ﷺ لم يتزوج السيدة زينب من عند نفسه ولكن الذي زوجها للنبي هو الله ﷻ بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾.

رابعًا: العلة في الزواج هي كما قال الله ﷻ: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ففي الزواج علة تشريعية وهي إلغاء عادة التبني.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

خامسًا: أما ما روى أن النبي ﷺ رآها فأعجبته... إلخ، فهي روايات ساقطة الأسانيد كما ذكر ابن كثير والقرطبي والقاضي ابن العربي.

قال ابن كثير: «ذكر ابن أبي حاتم والطبري ههنا آثارًا عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها»[١].

وقال ابن العربي: «وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد»[٢].

وقال القرطبي: «أما ما روى أن النبي ﷺ هوى زينب امرأة زيد، وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته»[٣].

ثم إنها كانت ابنة عمة النبي ﷺ، وكان يعرفها من قبل أن يفرض الحجاب ولو أراد زواجها من قبل لفعل، وهو الذي زوجها لزيد[٤].

وكان زيد يريد أن يطلقها فيقول له النبي ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾.

٨- ولماذا لم تنزل آية بتحريم التبني وينتهي الأمر عند ذلك؟

كان التبني من تقاليد العرب المتأصلة فيهم والتي يصعب هدمها، فاحتاجت مع القول إلى العمل حتى تزيل أي حرج في نفوس الناس بعد ذلك، ومن المعلوم أن العمل له تأثير كبير ربما يفوق القول، ومما يشهد لذلك أن النبي ﷺ لما أمر الصحابة في صلح الحديبية بنحر هديهم وحلاقة شعرهم والتحلل من العمرة لم يقم أحد لامتثال أمره، فلما قام ونحر هديه ولم يكلم أحدًا، بادروا فنحروا وتحللوا[٥]، وهذا يدل على تأثير الفعل والعمل في النفوس فلا يستحي مسلم أبدًا أن يفعل شيئًا فعله أكرم الخلق الرسول محمد أسوتنا وقدوتنا ومعلمنا عليه أفضل الصلاة والتسليم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٧٨١).
(٢) أحكام القرآن (٣/ ٥٧٧).
(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ١٩١).
(٤) التحرير والتنوير (١١/ ٣٦).
(٥) انظر القصة بكاملها في صحيح البخاري (٢٥٢٩).

٩- وماذا تقولون فيما جاء في تفسير القرطبي أن من خصائص النبي ﷺ أنه: إذا وقع بصره على امرأة وجب على زوجها طلاقها وحل له نكاحها(١). أليس هذا دليل على أن هذا ما وقع في قصة زيد؟

هذا القول نقله القرطبي عن القاضي ابن العربي، ونقله ابن العربي عن الجويني (إمام الحرمين) بلا دليل مطلقًا.

وقد عقّب القاضي على قول الجويني بقوله: «هكذا قال إمام الحرمين وقد بينا الأمر في قصة زيد بن حارثة كيف وقع»(٢).

وعقب القرطبي بقوله: «قال ابن العربي، هكذا قال إمام الحرمين، وقد مضى ما للعلماء في قصة زيد من هذا المعنى»(٣).

وقد نقلنا أقوال العلماء في تضعيف روايات رؤية النبي ﷺ لزينب آنفًا ومنهم القرطبي وابن العربي.

وعلى هذا فقول الجويني هذا ضعيف لا دليل عليه ولا يعتد به، وليس قول أحد من العلماء حجة في الدين، هذا إن صح أن إمام الحرمين قاله وصح النقل عنه، ويجب أن ننبه إلى أن نقل القرطبي وابن العربي لهذا القول ليس معناه قبولهما له؛ بل قد انتقد كل منهما هذا القول كما وضحنا.

١٠- وماذا عن زواجه بجويرية بنت الحارث، هل كان ذلك بإرادتها، أم كانت مجبرة بعد وقوعها في الأسر؟

الجـــــواب:

جويرية كانت سيدة قومها بني المصطلق، ولما هزم قومها كانت من السبي، ووقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها على نفسها.

فذهبت إلى النبي ﷺ تستعين به على كتابتها، فقال لها النبي: «**فهل لك في خير من ذلك؟** قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: **أقضي عنك كتابتك وأتزوجك؟** قالت: نعم»(٤)، فالزواج كان برضا تام منها، وكان بتفضل وتكرم من النبي ﷺ.

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٢١٢).
(٢) أحكام القرآن (٣/ ٥٩٩).
(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٢١٢).
(٤) أحمد (٢٥١٦١)، وأبو داود (٣٤٢٩).

وكان لهذا الزواج غاية عظيمة، فقد أعتق المسلمون من كان بأيديهم من أسرى بني المصطلق وقالوا: أصهار رسول الله يسترقون؟

حتى قالت عائشة: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها.

وبفضل هذا التصرف الحكيم أسلم بنو المصطلق طواعية جميعًا، وصاروا أعوانًا للمسلمين [١].

١١- كيف يدخل النبي ﷺ بصفية بنت حيي قبل أن تكمل عدتها؟

الجـــــواب:

صفية كانت من سبي خيبر اصطفاها رسول الله وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها [٢].

أما أنها لم تكمل عدتها فهذا غير صحيح؛ لأن عدة المسبية هو أن تستبرئ الرحم بحيضة.

قال النبي ﷺ في سبي أوطاس: «**لا توطأ حامل حتى تضع، ولا حائل حتى تستبرئ بحيضة**» [٣].

فهل استبرأت بحيضة؟ نعم، والدليل ما جاء في البخاري: «فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء حلَّت فبنى بها» [٤].

قال ابن حجر في الفتح: «حلت: أي طهرت من الحيض» [٥].

وجاء في صحيح مسلم أنه: «**دفعها إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها وتعتد في بيتها**» [٦].

قال النووي: «تعتد معناه تستبرئ، فإنها كانت مسبية يجب استبراؤها وجعلها في مدة الاستبراء في بيت أم سليم، فلما انقضى الاستبراء جهزتها أم سليم وهيأتها» [٧].

١٢- كيف تزوج النبي ﷺ من خالته خولة بنت حكيم؟

الجـــــواب:

أولاً: لم يثبت أن النبي ﷺ تزوج خولة بن حكيم، بل الثابت أنها وهبت نفسها للنبي

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٥٨)، ابن هشام (٢/ ٢٩٥).
(٢) الرحيق المختوم (ص٤٨٠).
(٣) أبو داود (١٨٤٣)، الدارمي (٢١٩٣)، وأحمد (١١١٦٨)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/ ٢٠٠).
(٤) البخاري (٢٦٧٩).
(٥) فتح الباري (٩/ ١٧٨).
(٦) مسلم (٢٥٦٤).
(٧) شرح صحيح مسلم (٦/ ٥٠٨).

فأرجأها ولم يتزوجها[١].

ثانيًا: خولة بنت حكيم ليست خالة النبي، فهي ليست أختًا لأم النبي لا من جهة الأب ولا من جهة الأم.

فأم النبي ﷺ آمنة أبوها هو: وهب بن عبد مناف بن زهرة[٢].

وخولة أبوها حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال[٣].

فلا أخوة من جهة الأب.

وأم آمنة هي: برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار.

وأم خولة هي: ضعيفة بنت العاص بن أمية بن عبد شمس.

فلا أخوة من جهة الأم كذلك.

وإنما هي قرابة حيث إن جد آمنة (عبد مناف) تزوج من ابنة أحد أجداد خولة (وهو مرة بن هلال)[٤].

فهي من خالات النبي أي من قريباته من جهة أمه.

كما قال ابن حجر: «وبنو زهرة أخوال النبي؛ لأن أمه آمنة منهم وأقارب الأم أخوال»[٥].

أما ما ذكر في مسند أحمد أنها إحدى خالات النبي:

إما على معنى أنها إحدى قريباته من جهة الأم كما وضحنا.

أو هو وهم من الراوي حيث جاء في السند:

عن شعبة عن عطاء الخراساني عن سعيد بن المسيب أن خولة بن حكيم وهي إحدى خالات النبي ﷺ سألت النبي ﷺ عن المرأة تحتلم فقال ﷺ: «لتغتسل»[٦].

فالراوي عن خولة وهو سعيد بن المسيب هو ابن أختها، فهي خالة سعيد وليست خالة النبي ﷺ فاختلط الأمر على الراوي ونسب خؤولة خولة للنبي وهي لسعيد بن المسيب.

---

(١) البخاري (٤٧٢١).
(٢) مختصر ابن هشام (ص٣١).
(٣) ابن سعد (٨/ ١٥٨).
(٤) ابن سعد (٨/ ١٥٨).
(٥) فتح الباري (٧/ ٨٣).
(٦) مسند أحمد (٢٦٠٥٠).

مما يؤكد هذا ما جاء في رواية الدارمي: «عن شعبة عن عطاء الخراساني قال سمعت سعيد بن المسيب يقول: سألت خالتي خولة بن حكيم السلمية رسول الله عن المرأة تحتلم فأمرها أن تغتسل»[١].

ومما يؤكد ذلك أيضًا أن ابن سعد ذكر في الطبقات الكبرى في ترجمة سعيد بن المسيب (٥/ ١١٩):

«وأمه أم سعيد بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي»[٢].

واسم خولة هو خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي.

وقد ذكر ذلك إسحاق بن راهوية في مسنده.

فمن أين جاء الخطأ في رواية أحمد؟

الراجح أن الخطأ من عطاء الخراساني الذي قال عنه الشافعي: معروف بكثرة الغلط[٣].

١٣- كيف تباح النساء للنبي بمجرد أن يهبن أنفسهن له؟ ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

الجـــــواب:

أولاً: ما معنى (وهبت) في هذه الآية؟

أي: ويحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك، كما قال ابن كثير[٤].

وقال الطبري والشوكاني: بغير صداق[٥].

وقال البيضاوي: لا تطلب مهرًا[٦].

وقال ابن العربي: «أباح الله لرسوله أن يتزوج بغير الصداق (المهر)»[٧].

ثانيًا: هل تزوج النبي من امرأة وهبت نفسها له؟

الراجح أنه لم يتزوج بامرأة وهبت نفسها له بدليل حديث سماك عن عكرمة عن ابن عباس: «لم يكن عند رسول الله امرأة وهبت نفسها له»[٨].

---

(١) الدارمي (٧٥٥).

(٢) ابن سعد (٥/ ١١٩).

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣٨/ ٤٥١).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٧٩٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٧)، فتح القدير، للشوكاني (ص١٤١٣).

(٦) تفسير البيضاوي (٢/ ٨٣٩).

(٧) أحكام القرآن (٣/ ٥٩٦).

(٨) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٩)، وقال ابن حجر في الفتح إسناده حسن.

١٤- لماذا أمر الرسول ﷺ أميمة بنت النعمان أن تهبه نفسها؟

الجـــــواب:

هذه المرأة كان الرسول ﷺ قد عقد عليها، بدليل أنه طلقها بقوله: «الحقي بأهلك»، كما جاء في رواية عائشة.

ولقوله لأسيد: «ألحقها بأهلها».

وقال أسيد في رواية ابن سعد: «فرددتها إلى أهلها».

وجاء في البخاري: «تزوج رسول الله أميمة بن شراحيل فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين»(١).

وجاء في رواية ابن سعد إنه اتفق مع أبيها على مقدار صداقها، وأن أباها قال له: إنها رغبت فيك وخطبت إليك(٢).

وقد أورد البخاري هذا الحديث في كتاب الطلاق، باب: وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق.

فما معنى قول النبي ﷺ لها: «هبي نفسك لي» في هذا الحديث إذن؟

قصد رسول الله ﷺ بذلك تطييب خاطرها ومداعبتها وليس إنشاء العقد، فقد كان العقد منجزًا بالفعل.

١٥- كيف تزوج النبي ﷺ بعض نسائه بغير ولي، وقد قال: «إن الزانية هي التي تزوج نفسها»؟

الجـــــواب:

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]، والرسول ولي لمن لا ولي له، كما جاء في الحديث الصحيح: «السلطان ولي من لا ولي له»(٣).

وقد كان النبي ﷺ ولي أمر المؤمنين، فمن كانت بغير ولي فإن النبي ﷺ يكون وليها (أو من ينوب عنه)، والولي له أن يزوج نفسه من موكلته.

فالمرأة هنا لم تزوج نفسها، ولم تتزوج بغير ولي.

١٦- لماذا يقول المسلمون إن الرسول محمد ﷺ هو أشرف المرسلين؟

أشرف المرسلين تعني أنه الأرفع مكانة والأعلى درجة بما شرفه الله به فضائل ومكارم لم تجتمع لغيره، ومن ذلك:

---

(١) البخاري (٤٨٥٣).

(٢) فتح الباري (٩/ ٣٦٠).

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٢١) وحسنه، وصححه الألباني في الإرواء (١٨٤٠).

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾.

وقوله تعالى يصف خلق نبيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقوله تعالى في الدين الذي أرسل به: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وقوله تعالى في الكتاب الذي أنزل عليه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

أما الأدلة من السنة فكثيرة جدًا منها:

-قول رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر»(١).

- وقول رسول الله ﷺ: «أنا أول من يقرع باب الجنة»(٢)

وقوله ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن، من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك

---

(١) الترمذي (٣٥٤٨)، ابن ماجه (٤٢٩٨) وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٧١).

(٢) مسلم (٢٩٠).

أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» (١).

بل أمته هي أول أمة تدخل الجنة، والدليل على ذلك: قوله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة» (٢).

فأي شرف بعد هذا الشرف؟ وأي منزلة فوق تلك المنزلة؟

١٧- هل صحيح أن رسول الإسلام سحر؟ وكيف يمكن أن يوثق في كلام شخص مسحور؟

إن رسول الله ﷺ لم يكن مسحورًا، بل سحر في إحدى المرات ولفترة محدودة، وكان تأثير السحر كذلك محدودًا، ثم انتهى الأمر بأن شفاه الله تعالى، ولمزيد من الإيضاح نورد القصة كما جاءت في صحيح البخاري:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سحر النبي ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال: أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فيما ذا؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان.

فخرج إليها النبي ﷺ ثم رجع فقال: نخلها كأنه رءوس الشياطين، فقلت: استخرجته؟ فقال: لا أما أنا فقد شفاني الله وخشيت أن يثير ذلك على الناس شرًا، ثم دفنت البئر» (٣).

من الحديث السابق نلاحظ ما يلي:

١- أن سحر النبي ليس أمرًا عجيبًا، فالنبي بشر يصيبه ما يصيب البشر، والسحر يصيب البشر كالمرض تمامًا، ولذلك قال النبي في نهاية الحديث: أما أنا فقد شفاني الله، وكذلك أورد البخاري الحديث في كتاب الطب.

٢- السحر بابه واسع وهو متفاوت في طرقه ودرجة تأثيره، لكن الحديث وضح لنا أن تأثير السحر على النبي ﷺ كان محدودًا وغايته أنه كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، مثل أن يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، وهذا تأثير على البدن لا العقل.

---

(١) مسلم (٢٩٢).
(٢) البخاري (٢٣١)، ومسلم (١٤١٣).
(٣) البخاري (٣٠٢٨)، ومسلم (٤٠٥٩).

قال القاضي عياض: «وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: (حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن) ويروى: (يخيل إليه) أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن، ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور.

وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء ثم لا يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبسًا على الرسالة، ولا طعنًا لأهل الضلالة»(١).

٣- هذا السحر لم يؤثر في تبليغ الرسول للرسالة لأنه كان مؤثرًا على الجسد فقط كالمرض الذي يؤثر في صحة البدن، ولأن الأدلة القطعية قد قامت بعصمة النبي من أي شيء يؤثر في صحة التبليغ.

قال النووي: «وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر، فزعم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، هذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل، فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها، ولا كان مفضلاً من أجلها، وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له»(٢).

٤- الحديث فيه أن الله أطلع النبي ﷺ على أن الذي يشتكي بسببه هو سحر، وفيه أنه دلّه على الساحر، ومكان السحر، وأنه شفاه من السحر، وكل ذلك من الأدلة على أنه نبي من عند الله.

فلماذا يأخذ أعداء الدين من الحديث أن النبي ﷺ سحر ويبنون على ذلك افتراضات كاذبة محاولين من خلالها التشكيك في نبوته، ويتركون الأدلة القاطعة على صدق نبوته الموجودة في نفس الحديث؟

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٧/ ٣٢٨).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٧/ ٣٢٨).

١٨- يحاول بعض أعداء الدين ممن لا أخلاق لهم ولا شرف اتهام أشرف الخلق ﷺ بالمثلية الجنسية (الشذوذ) - حاشاه من ذلك وقبحهم الله - مستدلين بقصته مع الصحابي الكريم زاهر رضوان الله عليه، فكيف الرد على هؤلاء قبحهم الله؟

إن هؤلاء اللئام هم شر البرية يرون الأشياء بعين طباعهم، فلو رأوا رجلاً يقبّل طفلاً ظنوا أنه يفعل ذلك بشهوة واتهموه بالشذوذ، ولو رأوا مصارعًا يمسك بمنافسه ليلقيه أرضًا اتهموا كلا المصارعين بالشذوذ!!

فمن الطبيعي أن يفكر هؤلاء المرضى في كل الأمور بعين طبعهم لانتشار الفواحش والموبقات فيهم وفي أهليهم، ويظنون أن كل الناس أمثالهم.

والحقيقة أن قصة النبي الكريم _ الذي شهد الله جل جلاله أنه على خلق عظيم _ مع الصحابي زاهر من القصص الدالة على رحمته ﷺ ورأفته بكل أمته.

والقصة «أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا كان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: **إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه**.

وكان النبي ﷺ يحبه وكان رجلاً دميًا فأتاه النبي ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: **من يشتري العبد؟** فقال: يا رسول الله إذًا والله تجدني كاسدًا، فقال النبي ﷺ: **لكن عند الله لست بكاسد أو قال لكن عند الله أنت غال**»(١).

فكما هو واضح من القصة أن زاهرًا كان رجلاً بدويًا دميم الشكل يشعر أن الناس تُعرض عنه ولا ترغب في صحبته، فكان النبي - الذي هو رحمة للعالمين - هو من يهتم به ويمازحه ويرفع من روحه المعنوية بأسلوب تربوي راقٍ، فكان يمدحه قائلاً: **إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه**.

وفي إحدى المرات وجده في السوق يبيع بضاعة فأمسكه من الخلف حتى لا يعرف من هو، وقال: من يشتري هذا العبد؟ من باب الدعابة والمزاح، فيقول زاهر إنه سلعة كاسدة لا

---

(١) مسند أحمد (١٢١٨٧)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٢٠٤).

يرغب فيها أحد، فيرفع المربي العظيم محمد من روحه المعنوية ويبشره ببشرى عظيمة يتمناها كل إنسان مسلم فيقول له إنك إن كنت رخيصًا في أعين بعض الناس فأنت غالٍ عند الله، فليكن عزاؤك عند إعراض الناس عنك أن تعلم أن مكانتك عند الله عظيمة.

ما أعظمك يا رسول الله! وما أرحمك وما أعطفك بأي فرد من أمتك مهما قل شأنه بين الناس! فلو نسيه الناس وأعرضوا عنه فأنت أيها الحبيب من تذكره وتقبل عليه وترفع عنه الحزن وتزيل عنه الإحباط، وتدخل على قلبه السرور وصدق الله العظيم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

أما أن النبي ﷺ أمسكه من الخلف، وأن زاهرًا ألصق ظهره بصدر النبي فهذا من المزاح الذي يحدث بين الرجال بشكل طبيعي بلا حرج ولا شبهة، لكن من يتحرج من فعل ذلك هم الشواذ الذي يشكون في أنفسهم وأهليهم، وهؤلاء يحتاجون لعلاج نفسي، وعقلي أيضًا.

وأخيرًا..هل من يريد أن يفعل شيئًا فاحشًا يفعله في السوق وفي العلانية أمام كل الناس أم يفعله مستخفيًا عن أعين الناس؟

لو كان الأمر مستقبحًا فإن فاعله سيخفيه لو كان حريصًا على سمعته بين أتباعه وأصحابه، خاصة وقد كثر أعداؤه والمتربصون به، والراغبون في النيل منه بأي طريقة.

حقًا لقد كان كفار قريش الجاهليون من عباد الأوثان أشرف في خصومتهم من أولئك السفلة المتسببين لأهل الكتاب قبحهم الله.

١٩- يزعم السفلة من أتباع الشياطين أن النبي الكريم ﷺ قد مارس الجنس مع فاطمة بنت أسد وهي ميتة، ويستدلون على كذبهم برواية جاء فيها أنه اضطجع معها في قبرها، فما رد ذلك؟

هذا الافتراء ـ وغيره كثير ـ مما يعكس الجهل الشديد لقائليه باللغة العربية ومعانيها، فكلمة اضطجع تعني نام أو وضع جنبه على الأرض، وما جاء في الرواية أنه ﷺ نام في قبر فاطمة بنت أسد ليهون عليها في قبرها، فعن ابن عباس قال: «لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه، واضطجع معها في قبرها فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها»[١].

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٨).

وفي رواية أخرى: «لما ماتت أم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم وكانت ممن كفل النبي ﷺ وربته بعد موت عبد المطلب، كفنها النبي ﷺ في قميصه، وصلى عليها واستغفر لها وجزاها الخير بما وليته منه، واضطجع معها في قبرها حين وضعت فقيل له: صنعت يا رسول الله بها صنعًا لم تصنع بأحد! قال: إنما كفنتها في قميصي ليدخلها الله الرحمة ويغفر لها، واضطجعت في قبرها ليخفف الله عنها بذلك»(١).

وفي رواية أخرى عن أنس: «لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنهما دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ، فاضطجع فيه فقال: الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها»(٢).

فكما هو واضح لكل ذي عقل عند النظر في هذه الروايات أن فاطمة بنت أسد كانت في مقام أم النبي ﷺ لأنها التي ربته واعتنت به وكفلته، فلما ماتت حرص على إكرامها وفاء لمعروفها، فغسلها وكفنها في قميصه، واضطجع في قبرها ليخفف عنها بذلك، واضطجع أي نام، فهذا هو المعنى الحقيقي لكلمة اضطجع.

قال ابن منظور: «واضطجع: نام وقيل: استلقى ووضع جنبهُ بالأرض»(٣).

أما الفعل الذي يكنى به عن الجماع فهو ضاجع، كأن تقول ضاجع الرجل امرأته، فهذه في الحقيقة معناها أنه نام معها، لكن قد يكنى بها عن الجماع(٤).

هذا فيما يتعلق بمعنى الرواية وهو كما ترى لا دليل فيه على ما ذهب له أولئك الكاذبون، أما فيما يتعلق بسند هذه الرواية فهي رواية ضعيفة كما وضح ذلك الألباني تفصيلاً في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة(٥).

٢٠- يزعم أتباع الشياطين أن النبي الكريم ﷺ قد كان يشرب الخمر ويستدلون على ذلك بما ثبت في السنة أنه كان يشرب النبيذ، فما رد ذلك؟

النبيذ ليس هو الخمر، ولكن النبيذ هو التمر أو الزبيب الملقى في إناء فيه ماء، لأن النبذ

---

(١) انظر: كنز العمال (٥/ ١٢١).
(٢) التوسل للألباني (ص١١٢) وضعفه.
(٣) لسان العرب (٨/ ٢١٩).
(٤) قال الأزهري: ضاجع الرجل جاريته إذا نام معها في شعار واحد، لسان العرب (٨/ ٢١٩).
(٥) السلسلة الضعيفة (٢٣).

معناه الإلقاء، (وهو أشبه بالخشاف الذي يأكله المصريون في رمضان).

قال الراغب: «النبيذ: هو التمر أو الزبيب الملقى مع الماء في الإناء»(١).

وبعض هذا النبيذ يترك حتى يشتد ويتغير ويتحول لخمر ويصير مسكرًا وهذا حرام شربه بالاتفاق، أما النبيذ إذا لم يشتد فلا يكون مسكرًا ولا يكون خمرًا فهذا حلال لا بأس بشربه ومثله مثل أي مشروب مباح.

فعصير العنب مثلاً مباح ما بقي على حالته، ولكنه إذا اشتد وتغير وصار مسكرًا يتغير حكمه إلى التحريم ولا يجوز شربه.

أما ما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ فاستسقى (أي طلب أن يشرب) فقال رجل: يا رسول الله ألا نسقيك نبيذًا، فقال: بلى، قال: فخرج الرجل يسعى فجاء بقدح فيه نبيذ، فقال رسول الله ﷺ: **ألا خمرته (أي غطيته بشيء) ولو تعرض عليه عودًا، قال: فشرب»**(٢).

فالنبيذ هنا ليس خمرًا؛ لأنه نبيذ لم يشتد، بل هو مجرد ماء ألقي فيه شيء من التمر أو الزبيب لتحليته.

قال النووي: «وقوله في حديث جابر (فجاء بقدح نبيذ) هو محمول على ما سبق في الباب السابق أنه نبيذ لم يشتد، ولم يصر مسكرًا»(٣).

وأما معنى قول رسول الله ﷺ **«ألا خمرته ولو تعرض عليه عودًا»** أي: ألا غطيت الإناء الذي فيه النبيذ بشيء ولو تضع عليه عودًا بعرض الإناء.

قال ابن حجر: «وقوله: «**خمرته**» بخاء معجمة وتشديد الميم أي غطيته، ومنه خمار المرأة لأنه يسترها»(٤).

ومما يدل على الفرق بين النبيذ والخمر أن النبي ﷺ سمح بالنبيذ ونهى عن كل مسكر، فقال ﷺ: «**نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكرًا**»(٥)،

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص٧٨٨).
(٢) مسلم (٣٧٥٣).
(٣) شرح صحيح مسلم (٧/ ٤٦).
(٤) فتح الباري (١٦/ ٨١).
(٥) مسلم (١٦٢٣).

والسقاء هو وعاء من جلد يوضع فيه الماء واللبن(١).

والرسول ﷺ كان يشرب النبيذ قبل أن يشتد، وقبل أن يصير خمرًا، فإذا قارب أن يشتد لم يكن يشربه بل كان يأمر بإلقائه

عن ابن عباس قال: «كان ينبذ لرسول الله ﷺ فيشربه من الغد، ومن بعد الغد، فإذا كان مساء الثالثة فإن بقي في الإناء شيء لم يشربوه أهريق»(٢).

٢١- يزعم أتباع الشياطين أن النبي الكريم ﷺ قد كان يصلي للماعز (أي يعبدها) ويستدلون على ذلك بما ثبت في السنة أنه كان يصلي لعنزة، فما رد ذلك؟

هذا الافتراء مما يدل على جهل قائله، فما جاء في الحديث أن النبي ﷺ صلى لعنزة، معناه أنه وضع أمامه عنزة كسترة له حتى يستطيع الناس أن يمروا من أمامه، فعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ بالأبطح الظهر والعصر ركعتين ركعتين وبين يديه عنزة قد أقامها بين يديه يمر من ورائها الناس والحمار والمرأة»(٣).

أما معنى العنزة فليس الماعز كما يتصور هذا الجاهل، وإنما العنزة هي: رمح قصير، أو عصا في آخرها سن حاد.

قال النووي: «وأما (العَنَزَة) فبفتح العين والزاي، وهي عصا طويلة في أسفلها زج، ويقال: رمح قصير، وإنما كان يستصحبها النبي ﷺ؛ لأنه كان إذا توضأ صلى فيحتاج إلى نصبها بين يديه لتكون حائلاً يصلي إليه»(٤).

وفي المعجم الوسيط: «العَنَزَة: أطول من العصا وأقصر من الرمح في أسفلها زج كزج الرمح، يتوكأ عليها الشيخ الكبير»(٥).

٢٢- هل يجوز جماع الحائض في الإسلام؟ وإذا كان ذلك محرمًا في الإسلام فكيف يباشر الرسول الكريم ﷺ لزوجته وهي حائض كما ثبت في الحديث؟

يحرم على الزوج أن يجامع زوجته في حال حيضها، ويحرم عليها أن تطاوعه أو تمكنه من

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٤٦٣).

(٢) مسلم (٣٧٣٩)، والنسائي (٥٦٤١) وهذا لفظه، وأهريق، أي: ألقي ولم يُشرب.

(٣) البخاري (٤٦٥)، وأحمد (١٧٩٩٧) وهذا لفظه.

(٤) شرح صحيح مسلم (١/ ٤٣١).

(٥) المعجم الوسيط (٢/ ٦٦٢).

جماعها والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

وقول رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»[(١)]. أي الجماع.

قال النووي: «أجمع المسلمون على تحريم وطء الحائض للآية الكريمة والأحاديث الصحيحة، قال المحاملي في المجموع، قال الشافعي رحمه الله: من فعل ذلك فقد أتى كبيرة، قال أصحابنا وغيرهم: من استحل وطء – أي جماع – الحائض حكم بكفره...»[(٢)].

ويجوز في الراجح للرجل أن يستمتع بكل جسم امرأته وأن يفعل ما شاء إلا أن يدخل ذكره أو جزء منه في فرج المرأة، أما ما سوى ذلك فيباح له ما يباح من امرأته وهي طاهرة، فكل شيء مباح إلا الإيلاج فقط.

والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»[(٣)]. وفي رواية: «وأن يصنعوا بهن كل شيء ما خلا الجماع»[(٤)].

وكذلك ما روته بعض أزواج النبي ﷺ: «أن النبي كان إذا أراد من الحائض شيئًا ألقى على فرجها ثوبًا»[(٥)].

أما ما جاء في الحديث عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا حضت يأمرني أن أتزر ثم يباشرني»[(٦)].

فالمباشرة هنا لا تعني الجماع، ولكنها تعني ملامسة البشرة للبشرة وهذا هو الأصل في كلمة المباشرة، وإن كانت يكنى بها عن الجماع أحيانًا، ولكنها هنا بمعناها الأصلي وهو الملامسة بالإجماع.

قال المباركفوري: «(ثُمَّ يُبَاشِرُنِي) من المباشرة وهي الملامسة من لمس بشرة الرجل بشرة

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) المجموع (٢/ ٣٨٩، ٣٩٠).
(٣) أخرجه مسلم (٤٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٤) النسائي (٣٦٦).
(٥) أخرجه أبو داود (٢٣٨)، وقال الحافظ في الفتح: إسناده قوي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٧٣).
(٦) البخاري (١٨٩٠)، ومسلم (٤٤٠)، والترمذي (١٢٢).

المرأة، وقد ترد المباشرة بمعنى الجماع، والمراد هاهنا هو المعنى الأول بالإجماع»[١].

ومما يدل على أن المقصود هنا ليس الجماع أمر الرسول ﷺ لعائشة أن تتزر أي تشد إزارها على وسطها قبل أن يباشرها، وفي الرواية الأخرى أنه كان إذا أراد من الحائض شيئًا ألقى على فرجها ثوبًا.

وأخيرًا فإن فعل النبي ﷺ مرتبط بالوحي فهو بيان للأحكام وتوضيح للمقصود من أمر الله؛ لأنه أعلم الناس بشرع الله الذي عليه أنزل، فلا يمكن لأي شخص أي يقول إن النبي ﷺ يخالف الشرع لأنه لا يمكن أن يكون هناك من هو أعلم منه بهذا الشرع، فهل يدعي هذا المعترض أنه أعلم من رسول الله ﷺ بالشرع الذي أنزل عليه؟

٢٣- يزعم بعض أعداء الدين أن النبي ﷺ كان يتلفظ بألفاظ فاحشة ويستدلون على ذلك بقوله لماعز: «أنكتها»، فما الرد على ذلك؟

الأصل في الإسلام عند الحديث عن المعاني الجنسية ونحوها مما يستحيى منه هو التعبير بالكناية لا بالتصريح، وذلك حفظًا للحياء، لكن قد تعرض مصلحة أكبر تقتضي التصريح وتقدم هذه المصلحة على حفظ الحياء: مثل حفظ حياة إنسان، أو تأديب شخص منحرف وزجره.

كما أن الأصل في الإسلام حفظ العورات، لكن يجوز أن تُكشف العورات في بعض الحالات كالعلاج مثلاً؛ لأن مصلحة حفظ الروح والصحة تقدم هنا، وهذا لا يختلف حوله العقلاء.

قال النووي: «والمستحب في مثل هذا الكناية عن قبيح الأسماء واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض ولا يكون في صورتها ما يستحيا من التصريح بحقيقة لفظه، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز والسنن كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]، ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾، ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾.

وقد يستعملون صريح الاسم لمصلحة راجحة وهي إزالة اللبس أو الاشتراك أو نفي المجاز أو نحو ذلك كقوله تعالى: «الزانية والزاني» وكقوله ﷺ: (أنكتها)[٢].

---

(١) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (١/ ١٥٧).
(٢) شرح صحيح مسلم (١/ ١٠٨).

- بالنسبة لقصة ماعز فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له: لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت قال: لا يا رسول الله، قال: أنكتها لا يكني، قال فعند ذلك أمر برجمه»[1].

أولاً: كلمة (نكتها) ليست فاحشة أو قبيحة ولكنها صريحة في التعبير عن العملية الجنسية بين الرجل والمرأة، ومما يدل على أنها كلمة عربية فصيحة أنها وردت في عدة معاجم مثل القاموس المحيط للفيروز آبادي، ولسان العرب لابن منظور.

ثانيًا: لم يكن من عادة النبي ﷺ أن يستخدم التصريح في التعبير عن مثل هذه المعاني، بل كان عادة يستخدم الكناية، ولكنه خالف عادته هنا لمصلحة أكبر - كما سنوضح - ومما يدل على ذلك قول الراوي: (لا يكني)، للتنبيه على أنه ﷺ لم يستخدم الكناية كعادته.

ثالثًا: المقام الذي قيلت فيه هذه الكلمة ليس درسًا علميًا أو خطبة عامة، بل مجلس قضاء وتحقيق في جريمة زنى، وينبني على ثبوت الجريمة الحكم بقتل الزاني والزانية رجمًا بالحجارة، فكان من الواجب التأكد من وقوع الجريمة بيقين حتى لا يقتل شخص بغير حق، ولذلك كان النبي ﷺ حريصًا أشد الحرص على التحقق من وقوع الجريمة، فتأكد أولاً من أن ماعزًا ليس فيه سكر أو جنون، ثم تأكد من أنه أراد فعل الزنى حقيقة وليس مقدماته كالنظر والتقبيل ونحو ذلك مما يطلق عليه زنى مجازًا، ولذلك قال له: لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت، فلما تأكد من وقوع الجريمة حكم برجمه، وهذا من أكبر الأدلة على شدة عدله ﷺ، وحرصه على أمته.

٢٤- وماذا عن قول رسول الله ﷺ: «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا»[2]. أليس هذا كلامًا فاحشًا؟

أولاً: توضيح المقصود من الحديث:

فقوله: «من تعزى بعزاء الجاهلية» أي نسب نفسه وعزاها لأهل الجاهلية من باب العصبية.

وقوله: «فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا» أي قولوا له: عض بهن أبيك، والهن يكنى به عن العورة.

ثانيًا: هذا اللفظ الوارد في الحديث لم يُشرع استخدامه لابتداء الكلام به، بل هو عقوبة لقائله، أي أنه شُرع ردًا على مرتكب لمحرّم وهو الدعوة للتعصب الجاهلي.

ثالثًا: العقوبات البدنية أو المعنوية إنما يراد منها عمومًا منع وقوع الجرائم والمعاصي

(١) البخاري (٦٣٢٤).
(٢) مسند أحمد (٢٠٢٨٥) بلفظ قريب من هذا، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١/ ٣٧٦).

والذنوب، وهي مهما بلغت شدتها تبقى مهمة وضرورية؛ لأنها تحقق مصلحة الفرد والمجتمع في الدين والدنيا بمكافحتها للجرائم وردع المنحرفين عن الاستمرار فيها.

فقطع اليد عقوبة شديدة لكنها شرعت لحفظ المال والقضاء على اعتداء الناس على مال الغير، ورجم الزاني المحصن عقوبة غليظة لكنها شرعت لحفظ الأعراض وعدم تفشي الفواحش، وهكذا بقية الحدود والعقوبات.

ومثل هذا يقال في عقوبة التعصب الجاهلي للقبيلة، والآباء، والأجداد، وهو مخالف لعقيدة الولاء والبراء، ولذلك جاء تشريع قول هذه الجملة (اعضض بهن أبيك) إنكارًا على من رفع راية العصبية الجاهلية؛ لقطعها من الوجود، ولكف الناس عن ترديد مثل هذه الكلمات التي تفرق المجتمع وتثير النعرات الجاهلية التي ربما ينجم عنها إثارة حروب ونزاعات وسفك دماء بغير حق كما كان يحدث في المجتمعات الجاهلية قبل الإسلام، وكان ذلك بتذكيره بالعضو الذي كان سببًا في وجوده، ليعلم حقارة ما يتفاخر به ويتعصب له فلا يتعدى ولا يتفاخر.

وهنا يجب النظر إلى ما تحققه تلك العقوبة من نفع عام ومن تطهير المجتمع من العصبيات الجاهلية لنعلم سبب تقديم هذه المصلحة على حفظ الحياء هنا.

قال ابن تيمية: «ولهذا قال من قال من العلماء إن هذا يدل على جواز التصريح باسم العورة للحاجة والمصلحة، وليس من الفحش المنهي عنه، كما في حديث أبيّ ابن كعب عن النبي ﷺ قال: (من سمعتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه هن أبيه ولا تكنوا)»[(١)].

وقال ابن القيم: «وكَانَ ذِكرُ هَنِ الأب هاهنا أحسن تذكيراً لهذا المتكبِّر بدعوى الجاهلية بالعُضو الذى خَرَجَ منه، وهو هَنُ أبيه، فَلاَ يَنْبَغِى لَهُ أن يتعدَّى طَوْرَهُ»[(٢)].

٢٥- وماذا عن قول أبي بكر الصديق لعروة بن مسعود: «امصص بظر اللات»[(٣)]، وكان ذلك في حضور النبي ﷺ ولم ينكر عليه، أليس هذا كلامًا فاحشًا؟

يقال في هذا مثل ما قيل في السؤالين السابقين، فهنا جاز التصريح باسم العورة في مقام

(١) منهاج السنة النبوية (٨/ ٤٠٨).
(٢) زاد المعاد (٢/ ٤٣٨).
(٣) البخاري (٢٥٢٩)، ومسند أحمد (١٨١٥٢) وهذا لفظه.

الحرب والإنكار على أحد الكفار جاء يسخر من صحابة النبي ويتهممهم بالجبن وأنهم سيتركون النبي ﷺ وينفضّون عنه، محاولاً تثبيط عزيمتهم وإصابتهم بالإحباط، فجاز التصريح بمثل ذلك إنكارًا على ذلك الكافر المحارب المتطاول، ولرد كيده لنحره، خلافًا للأصل المعتبر في الإسلام عمومًا وهو استخدام الكناية وعدم التصريح بمثل هذه الألفاظ كما وضحنا سابقًا.

قال ابن حجر: «البَظْر: بفتح الموحدة، وسكون المعجمة: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار.

وفيه: جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك.

وقال ابن المنيِّر: في قول أبي بكر تخسيس للعدو، وتكذيبهم، وتعريض بإلزامهم من قولهم: إن اللات بنت الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، بأنها لو كانت بنتًا، لكان لها ما يكون للإناث»(١).

وقال ابن القيم: «وفي قول الصِّدِّيق لعروة: «امصُصْ بَظْرَ اللاَّتِ» دليلٌ على جواز التصريح باسم العَوْرة، إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال، كما أذن النبي ﷺ أن يُصرَّح لمن ادَّعى دعوى الجاهلية بِهَنِ أبيه.. فلكل مقام مقال»(٢).

٣٦- يزعم بعض أعداء الدين أن النبي ﷺ قد حملت أمه فيه لمدة أربع سنوات، محاولين بذلك الطعن في نسبه الشريف، فما الرد على ذلك؟

أولاً: نتحدى أن يأتي هؤلاء الكاذبون بقول واحد من المؤرخين أو أصحاب السير ذكر فيه أن مدة حمل أم النبي ﷺ فيه كانت أربع سنوات، فهذا لم يذكر في أي من كتب السيرة المعتبرة لا في رواية صحيحة ولا ضعيفة.

ثانيًا: اعتمد أصحاب هذا الافتراء على أسلوب بعيد عن أي منهجية علمية، حيث عملوا على انتقاء مجموعة من الروايات الضعيفة، ليقوموا بعمل حسابات تبين الفارق بين عمر النبي وعمه حمزة ليخلصوا من هذه الحسابات إلى أن مدة الحمل كانت أربع سنوات، وهذا أسلوب بعيد عن المنهجية العلمية ولا يصلح للاحتجاج به لأسباب كثيرة منها:

---

(١) فتح الباري (٥/ ٣٤٠).
(٢) زاد المعاد (٣/ ٣٠٥).

- أن هذه الروايات ضعيفة لا تصح للاحتجاج.

- أن هذه الروايات معارضة بروايات أخرى أشهر منها، ولا يذكر لنا هؤلاء المفترون على أي أساس يختارون هذه الروايات ويتركون الأخرى، ووفق أي منهجية يرجحون؟

على سبيل المثال يذكر هؤلاء المفترون أن: والد النبي ﷺ عبد الله وجدّه عبد المطلب تزوجا في يوم واحد حسب بعض الروايات، وبما أن عبد الله توفي بعد ذلك بقليل وآمنة أم النبي ﷺ حامل فيه حسب الروايات، فوجب أن يكون حمزة والنبي بعمر واحد أو أحدهما أكبر من الآخر بقليل، لكن هناك روايات أخرى تقول إن حمزة كان أكبر من النبي بسنتين أو أربع سنوات ومن هنا استنتجوا أن مدة الحمل كانت أربع سنوات[١]، والحقيقة أن رواية أن والد النبي ﷺ عبد الله وجدّه عبد المطلب تزوجا في يوم واحد وأن عبد الله مات بعدها بقليل لا تصح، وهي معارضة بما هو أشهر منها؛ لأن هذه الروايات يلزم منها أن عبد الله والد النبي ﷺ قد مات، وأم حمزة ما زالت حامل به، وهذا معارض بالرواية المشهورة في كتب السيرة في نذر عبد المطلب وفيها أنه: «قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم: لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك فأطاعوه..»[٢].

وهؤلاء العشرة هم: «الحارث، والزبير، وأبو طالب، وعبد الله، وحمزة، وأبو لهب، والغيداق، والمقوم، وضرار، والعباس»[٣].

فحمزة كان حيًا في حياة عبد الله وكان من ضمن العشرة الذين دعاهم عبد المطلب للوفاء بنذره، بل وكان العباس أصغر أولاد عبد المطلب حيًا أيضًا.

وهذه الرواية صريحة تنسف كل الاستنتاجات الوهمية لهؤلاء المغرضين من أساسها، وتبين أنهم أصحاب منهج انتقائي.

ثالثًا: الثابت عن الرسول ﷺ أنه قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن

---

(١) وقد اختار أولئك الكاذبون رواية الأربع سنوات رغم إقرارهم بوجود روايات أخرى تفيد أن الفارق سنتان فقط، ولكنهم قوم بهت يرجحون بالهوى وبلا أي مستند علمي.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٧٢)، والروض الأنف (ص ٢٧٠).

(٣) انظر: الرحيق المختوم (ص٣٣).

آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»[١]، فهل نترك هذا الحديث الثابت القاطع في دلالته لمجرد استنتاجات وهمية لأناس ربما لا يعرف أحدهم من أبوه؟

رابعًا: العرب قوم يهتمون بالأنساب جدًا لدرجة أنهم يحفظونها وكانوا يتفاخرون بها، فلو كان في نسب النبي ﷺ أي شيء يشينه ما كانوا ليسكتون عنه، ولكنهم كانوا يشهدون بأنه من أشرفهم نسبًا، ويكفي في الدلالة على ذلك شهادة أبي سفيان ـ عندما كان على الكفر ـ حين سأله هرقل عن نسب النبي ﷺ فقال: «هو فينا ذو نسب»[٢]

لقد كان هؤلاء العرب من عباد الأوثان أشرف في خصومتهم وأكثر أمانة من أولئك المنتسبين لأهل الكتاب، ممن احترفوا الكذب واتخذوا من الغش مهنة لهم.

خامسًا: كان الصحابة رضوان الله عليهم يفتخرون بنسب النبي ﷺ، وأنهم يعلمون أصله وأباه وأمه، ومن ذلك مثلاً قول المغيرة لكسرى حين سأله من أنتم؟: «نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين ـ تعالى ذكره، وجلت عظمته ـ إلينا نبيًا من أنفسنا نعرف أباه وأمه..»[٣]. فانظر كيف ذكر أنهم جميعًا كانوا يعرفون من هو أبو النبي ومن هي أمه، أفنترك شهادة الصحابة الكرام لأناس قد احترفوا الكذب؟؟

٣٧- كيف حاول النبي ﷺ الانتحار كما هو ثابت في صحيح البخاري رغم أن الإسلام يحرم الانتحار؟

ما يحتج به في صحيح البخاري هو الروايات المسندة فقط، أما ما جاء معلقًا أو بغير إسناد فلا يحتج به حتى يثبت صحة إسناده، وهذا متفق عليه بين أهل العلم.

وهذه الرواية وإن جاءت في صحيح البخاري إلا أنها من بلاغات الزهري، وهي ضعيفة لأنها غير متصلة السند.

حيث جاء في هذه الرواية: «وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ، فيما بلغنا، حزنًا غدا

---

(١) أخرجه الرامهرمزي في الفاصل بين الراوي والواعي(ص ١٣٦) والجرجاني السهمي في تاريخ جرجان (ص ٣١٨ - ٣١٩) وأبو نعيم في أعلام النبوة (١ / ١١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٢٥).

(٢) البخاري (٦).

(٣) البخاري (٢٩٢٥).

منه مرارًا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقًا، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك»[1].

قال ابن حجر: «إن القائل (فيما بلغنا) هو الزهري، ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة، وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً»[2].

وقال الألباني: «وخلاصة القول أن هذا الحديث ضعيف لا يصح لا عن ابن عباس ولا عن عائشة، ولذلك نبهت في تعليقي على كتابي «مختصر صحيح البخاري» (١/ ٥) على أن بلاغ الزهري هذا ليس على شرط البخاري كي لا يغتر أحد من القراء بصحته لكونه في (الصحيح)»[3].

فالرواية ضعيفة ولا تصلح للاحتجاج، وبافتراض صحتها فقد كان ذلك - كما ذكر في الرواية - في بداية الوحي وقبل نزول التشريع، فلم يكن الانتحار قد نزل في حكمه شيء بعد، وبذلك لم يكن النبي ﷺ قد ارتكب محرمًا إن أقدم على الانتحار، نقول هذا بافتراض صحة الرواية وهي لا تصح كما وضحنا.

وأخيرًا فإن الاستدلال بهذه الرواية يلزم منه الإقرار بصحة نبوة الرسول ﷺ، لأن الرواية فيها أن الذي عصم النبي ﷺ من إلقاء نفسه هو جبريل قائلاً له: «يا محمد، إنك رسول الله حقًا»، فشهد له أنه رسول الله بحق، فمن احتج بهذه الرواية يلزمه الإقرار بكل ما فيها، وفيها الإقرار بنبوة محمد ﷺ.

٢٨- هل مات الرسول ﷺ مسمومًا؟ وهل يتعارض ذلك مع عصمة الله له؟

ما يعتمد عليه أصحاب هذه الفرية هو ما يروى عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة، فأهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمتها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم فقال: ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة، فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري فأرسل إلى اليهودية: ما حملك على الذي صنعت؟ قالت: إن كنت نبيًا لم يضرك الذي

---

(١) البخاري (٦٤٦٧).
(٢) فتح الباري (١٩/ ٤٤٩).
(٣) السلسلة الضعيفة (٣/ ٥١).

صنعت وإن كنت ملكًا أرحت الناس منك، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت. ثم قال في وجعه الذي مات فيه: **مازلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوان قطعت أبهري**»[(١)].

ومن خلال هذه الرواية يتضح ما يلي:

١- لا يمكن الجزم بأن النبي ﷺ مات مسمومًا، وإن وجد أثر السم فلا يعني بالضرورة أنه السبب الرئيس في وفاته.

٢- في الرواية ما يدل على عصمة النبي ﷺ، حيث إنه أكل من الشاة المسمومة ولم يمت، في حين مات بشر بن البراء بن معرور من السم، فلماذا لم يمت النبي رغم أكله من الشاة المسمومة؟ لا شك أن الله عصمه.

٣- في الرواية ما يدل على صدق نبوة النبي ﷺ بذكر إحدى معجزاته، حيث أخبرته الشاة الميتة المشوية بأنها مسمومة، بالإضافة لحفظه من الموت بذلك السم في وقتها كما مات بشر بن البراء.

٤- هذه الحادثة وقعت في خيبر في السنة السابعة للهجرة، أي قبل وفاة النبي ﷺ بحوالي ثلاث سنوات، فلو افترضنا أنه مات بسبب السم، فما الذي حفظه من الموت لمدة ثلاث سنوات؟ إن هذا في ذاته يعد معجزة من المعجزات الشاهدة على صدق نبوة النبي ﷺ.

٥- عصمة النبي ﷺ مرتبطة بتبليغ الرسالة كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧]، فهل بلغ النبي الرسالة؟ الإجابة: نعم بيقين.

الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

وقد شهد له الصحابة جميعًا بأنه بلغ فأحسن البلاغ كما في حجة الوداع مثلاً، حيث قال لهم النبي ﷺ: «**تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات**»[(٢)].

---

(١) البخاري (٢٩٣٣)، وأبو داود (٣٩١٢) وهذا لفظه.
(٢) مسلم (٢١٣٧).

٦- النبي لم يمت فجأة أو بدون اختياره، وإنما هو الذي اختار جوار ربه بعد أن أدى مهمته على أفضل وجه، وبلَّغ رسالة الله كأحسن ما يكون البلاغ.

والدليل على ذلك أن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: **إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير.**

فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: **اللهم في الرفيق الأعلى**، فقلت: إذًا لا يجاورنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح»[1].

٢٩- يزعم بعض المفترين أن النبي ﷺ لم يكن له أي معجزات تدل على صدق نبوته، فما الرد على ذلك؟

هذا زعم كاذب، فالرسول ﷺ له معجزات وآيات كثيرة أعظمها القرآن الكريم الذي اشتمل على وجوه متعددة من الإعجاز مثل: الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإخبار بالأمور الغيبية والمستقبلية..وغير ذلك، وقد تحدى الله الكفار أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، فلم يستطيعوا كما أخبر القرآن: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهذا التحدي قائم إلى قيام الساعة لكل الإنس والجن، فهل يستطيعون أن يأتوا بمثله؟ نحن نؤكد ونجزم أنهم لم ولن يستطيعوا أبدًا.

والحمد لله نحن الأمة الوحيدة التي استمر وجود معجزتها بعد وفاة نبيها ﷺ، فكل معجزات الأنبياء انتهت بموتهم إلا القرآن، فهو معجزة باقية إلى قيام الساعة، ولم يرتبط وجودها بحياة النبي ﷺ.

وبالإضافة إلى القرآن فهناك معجزات وآيات حسية كثيرة منها[2]:

١- انشقاق القمر:

وقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[القمر: ١-٢].

قال ابن كثير: «وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول

---

(١) البخاري(٤٠٨٣)، ومسلم (٤٤٧٥).

(٢) والأولى أن تسمى آيات أو دلائل نبوة، على اعتبار أن المعجزة يقصد بها التحدي وإظهار عجز الكفار.

الله ﷺ، وقد وردت الاحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة»[١].

وعن ابن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا»[٢].

وفي رواية صحيحة: «انشق القمر على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل، وعلى هذا الجبل، فقالوا (أي الكفار): سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم»[٣].

وزاد البيهقي: «فقالت كفار قريش أهل مكة: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة (يقصدون النبي ﷺ)، انظروا المسافرين فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفار – وقدموا من كل وجه – فقالوا: رأيناه»[٤].

قال ابن كثير: «فإن قيل: فلم لم يعرف هذا في جميع أقطار الارض؟

فالجواب: ومن ينفي ذلك؟ ولكن تطاول العهد والكفرة يجحدون بآيات الله، ولعلهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبي المبعوث، تداعت آراؤهم الفاسدة على كتمانه وتناسيه على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلاً بالهند مكتوبًا عليه أنه بني في الليلة التي انشق القمر فيها.

ثم لما كان انشقاق القمر ليلاً قد يخفي أمره على كثير من الناس لأمور مانعة من مشاهدته في تلك الساعة، من غيوم متراكمة كانت تلك الليلة في بلدانهم، ولنوم كثير منهم، أو لعله كان في أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس وغير ذلك من الأمور والله أعلم»[٥].

٢- تسبيح الطعام:

ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «لقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[٦].

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٨٢).
(٢) البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٥٠١٠).
(٣) الترمذي (٣٢١١) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٢٨٩).
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٧٦)، وانظر: البداية والنهاية (٦/ ٨٤).
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٨٥).
(٦) البخاري (٣٣١٤).

٣- نبوع الماء من بين أصابعه:

ومن ذلك ما روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «أتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم.

قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاث مائة»[١].

وعن عبد الله بن مسعود قال: «كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفًا كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ..»[٢].

٤- حنين النخلة وبكاؤها لفراق النبي:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما «أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه فإن لي غلامًا نجارًا؟ قال: إن شئت، قال: فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشق فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي[٣] الذي يسكت حتى استقرت، قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر»[٤].

٥- انقياد الشجرة له:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: «سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئًا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال «انقادي علي بإذن الله» فانقادت معه كالبعير المخشوش[٥] الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي علي بإذن الله» فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما (أي في المنتصف)، لأم بينهما (يعني جمعهما) فقال

---

(١) البخاري (٣٣٠٧).
(٢) البخاري (٣٣١٤).
(٣) أي تبكي مثل الطفل الصغير.
(٤) البخاري (١٩٥٣).
(٥) المخشوش: أي الذي وضع في أنفه عودًا ليكون سهل الانقياد والخضوع.

«ائتيا علي بإذن الله» فائتمتا»[١].

٦- تسبيح الحصى بين يديه، وأيدي أصحابه:

فعن أبي ذر قال: «إني انطلقت ألتمس رسول الله ﷺ في بعض حوائط المدينة فإذا رسول الله ﷺ قاعد فأقبل إليه حتى سلم عليه وحصيات موضوعة بين يديه فأخذهن في يده فسبحن في يده ثم وضعهن في الأرض فسكتن، ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن في يده، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن في يد عمر فسبحن في يده ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن»[٢].

٧- الشاة المشوية التي أخبرت النبي أنها مسمومة:

فعن أبي هريرة ﷺ أن يهودية بخيبر أهدت لرسول الله ﷺ شاة مصلية سمّتها فأكل وأكل القوم، فقال: **ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة**، فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: **ما حملك على الذي صنعت؟** قالت: إن كنتَ نبيًا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكًا أرحت الناس منك، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت[٣].

٨- دعاؤه المستجاب:

ففي أحداث كثيرة كان النبي ﷺ يدعو فيستجاب له فورًا على نحو يثبت مدى صدق ما يتكلم به، ومن ذلك:

ما روي عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ لما رأى قريشًا استعصوا عليه فقال: **اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف** (أي بمثل السنين العجاف التي ابتلي بها قوم يوسف ﷺ)، فأخذتهم السنة (أي الجفاف والقحط) حتى حصت كل شيء، حتى أكلوا العظام والجلود والميتة، فأتاه أبو سفيان فقال: أي محمد إن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا فانكشف عنهم العذاب[٤].

---

(١) مسلم (٥٣٢٨).

(٢) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١١٤٦).

(٣) البخاري (٢٩٣٣)، وأبو داود (٣٩١٢).

(٤) البخاري (٤٤٥٠)، ومسلم (٥٠٠٦).

وعن أنس بن مالك قال: «أصابت الناس سنة (أي جفاف وقحط) على عهد النبي ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة (أي سحاب) فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: **اللهم حوالينا ولا علينا**، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجَوْبة (أي مثل فرجة في وسط السحاب) وسال الوادي قناة شهرًا ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجَوْد (أي المطر الغزير)»[(١)].

٩- تكثير الطعام:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا (أي هزالاً من قلة الطعام) فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت إليّ جرابًا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في بُرمتها (وهي إناء للطبخ) ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه (أي لا تخبره بالوليمة علانية لأن الطعام لن يكفي كل الجيش) فجئته فساررته (أي كلمته سرًا) فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك.

فصاح النبي ﷺ فقال: **يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سورًا (أي وليمة) فحي هلا بهلكم** (أي هلموا مسرعين)، فقال رسول الله ﷺ: **لا تنزلن بُرمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء**، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينًا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا (أي مالوا عن الطعام)، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو»[(٢)].

---

(١) البخاري (٨٨١)، ومسلم (١٤٩٠).
(٢) البخاري (٣٧٩٣)، ومسلم (٣٨٠٠).

١٠- التنبؤ بأمور تحدث في المستقبل:

فقد تنبأ النبي ﷺ بكثير من الأشياء التي تحدث في المستقبل، وقد وقعت كما أخبرنا تمامًا، وهذا دليل على أن الله ﷻ أطلع الرسول ﷺ على أمور غيبية.

من ذلك ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**»[(١)].

قال ابن كثير في تاريخه: «ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الابل ببصرى، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسي في كتابه الذيل وشرحه[(٢)]، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معاينة، وكيفية خروجها وأمرها..

وملخص ما أورده أبو شامة أنه قال: وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة، وكتبت الكتب في خامس رجب، والنار بحالها، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول الله ﷺ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**» فأخبرني من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب.

قال وكنا في بيوتنا تلك الليالي، وكان في دار كل واحد منا سراج، ولم يكن لها حر ولفح على عظمها، إنما كانت آية من آيات الله ﷻ»[(٣)].

وقال الذهبي: «أمر هذه النار متواتر، وهي مما أخبر به المصطفى صلوات الله عليه وسلم حيث يقول: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل بصرى»، وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل، ورأى أعناق الإبل في ضوئها»[(٤)].

---

(١) البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٥١٦٤).

(٢) أي كتاب ذيل الروضتين، لأبي شامة، وهو من العلماء الذين عاصروا هذه الواقعة التاريخية.

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢١٩).

(٤) تاريخ الإسلام (١٠/ ٤١٨).

١١ - شفائه لبعض المرضى بإذن الله:

فقد مكّن الله رسوله ﷺ من شفاء بعض المرضى بغير الأسباب المعروفة المعهودة، فقد بصق رسول الله ﷺ في عين علي بن أبي طالب ودعا له بعد أن اشتكى من عينه، فشفيت بإذن الله، وكان ذلك في غزوة خيبر(١).

ورد رسول الله ﷺ عين قتادة بن النعمان رضي الله عنه إلى موضعها بعد ما سالت على خده، فأخذها في كفه الكريم وأعادها إلى مقرها فاستمرت بحالها وبصرها، وكانت أحسن عينيه وأحدّهما، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وكان ذلك في غزوة أحد(٢).

١٢ - خصاله وصفاته ومكارم أخلاقه التي لا تكون إلا لنبي:

فمن أكبر الأدلة على صدق نبوة الرسول ﷺ هو شخصية الرسول نفسه وما تحلى به من مكارم الأخلاق وحسن الخصال وجميل الخلال، حيث بلغ النبي ﷺ درجة من الكمال البشري في حسن الصفات والأخلاق لا يمكن أن تكون إلا لنبي مرسل من عند الله، فقد بلغ اعتنائه بالخلق درجة تعليل رسالته وبعثه بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارمها، والعمل على إصلاح ما أفسدته الجاهلية منها، فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»(٣).

وجعل رسول الله ﷺ أكثر المسلمين ظفرًا بحبه والقرب منه مجلسًا يوم القيامة هم الذين حسنت أخلاقهم حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم.

ففي الحديث الشريف عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة** فسكت القوم فأعادها مرتين أو ثلاثًا قال القوم: نعم يا رسول الله، قال: **أحسنكم خلقًا**»(٤).

ويكفي في ذلك شهادة الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ بحسن الخلق، فقد جاء في القرآن الكريم في وصف النبي قول الله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

وصدق القائل إذ يقول في وصفه ﷺ:

---

(١) البخاري (٣٤٢٥).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٨٢)، وابن سعد (١/ ١٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣٢)، والبداية والنهاية (٦/ ٣٢٦).
(٣) أخرجه أحمد (٨٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وسنده صحيح، قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصحح العجلوني سنده في كشف الخفا، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).
(٤) أحمد (٦٤٤٧) وسنده صحيح، قال الهيثمي: إسناده جيد، وصححه الألباني في صحيح الترهيب والترغيب (٢٦٥٠).

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا ... منه وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينًا لقامت وحدها ... دينًا تضيء بنوره الآلاء
زانتك في الخلق العظيم شمائل ... يغرى بهن ويولع الكرماء

ولله درّ القائل:

بلغ العلا بكماله ... كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله ... صلوا عليه وآله

والحديث عن أخلاق النبي ﷺ وشمائله وخصاله الجليلة يطول جدًا بما لا يتسع له المقام، حيث أفرده المصنفون بالتصنيف في كتب ومصنفات مستقلة[1].

٣٠- ألا يتعارض وجود هذه المعجزات مع قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾؟ ألا تدل هذه الآية على عدم وجود معجزات للنبي؟

المقصود بالآيات المذكورة في هذه الآية هو: آيات محددة طلبها الكفار وجعلوها شرطًا لإيمانهم، وجرت سنة الله وحكمه أن الكفار إذا طلبوا آيات محددة واستجاب الله لطلبهم ثم كفروا رغم ذلك، أن ينزل الله بهم العذاب، فلم يرسل الله هذه الآيات التي طلبها كفار مكة لعلمه أن سيكذبون بها، وبذلك سيحق عليهم العذاب.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا (أي يزرعوا).

فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم (أي تمهلهم) وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: لا بل أستأني بهم، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[الإسراء: ٥٩]»[2].

فالآية لا تنفي وجود معجزات وآيات دالة على نبوة الرسول ﷺ، ولكن الآية تذكر آيات معينة طلبها الكفار فلم يستجب الله لهم رأفة بهم.

فمعنى الآية كما قال القرطبي ونقله عن قتادة وابن جريج وغيرهما: «وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحوها إلا أن يكذبوا بها فيهلكوا كما فعل بمن كان قبلهم..فأخّر الله تعالى العذاب عن كفار قريش لعلمه أن فيهم من يؤمن، وفيهم من يولد مؤمنًا»[3].

---

(١) من ذلك كتاب الشمائل المحمدية للترمذي، وشمائل الرسول للحافظ ابن كثير.
(٢) أحمد (٢٢١٧) وصححه الألباني في صحيح السرة النبوية (ص١٥٢).
(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٨١).

الفَصْلُ السَّادِسُ

افتراءات وتساؤلات
حول تحريف التوراة والإنجيل



١- كيف يعتقد المسلمون أن التوراة والإنجيل محرفان وليس في القرآن دليل واحد على تحريفهما؟

الجـــــواب:

ادعاء عدم وجود أدلة على التحريف في القرآن ادعاء لا يصدر إلا عن كذب أو جهل، فالأدلة على وقوع التحريف بكل أنواعه موجودة في القرآن ومن الأمثلة على كل نوع منها:

١- تحريف التبديل:

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء:٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

٢- تحريف الزيادة:

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

٣- تحريف الإنقاص (الحذف):

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾. [الأنعام: ٩١].

٤- تحريف المعنى دون اللفظ:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[المائدة: ٤٦].

قال ابن كثير: «أي يتأولونه على غير تأويله، ويبدلونه من بعد ما عقلوه»(١).

وقال أبو السعود: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: «الافتراء على الله وتعيينًا للكذب

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩).

الذي سمعه السامعون، أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله تعالى فيها إما لفظًا بإهماله أو تغيير وضعه، وإما بمعنى حمله على غير المراد»[١].

٢- هل يؤمن المسلمون بالتوراة والإنجيل رغم تحريفهما؟

الجـــــواب:

ما يؤمن المسلمون هو التوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، وليس بها حرفه المحرفون، وتلاعب فيه المزورون كذبًا على الله ورسله.

وعلى سبيل المثال الإنجيل الموجود الآن لا يعتقد النصارى أنه نزل على المسيح أصلاً؛ بل يؤمنون أنه كتب بعد موته ـ بحسب اعتقادهم ـ، أما المسلمون فيؤمنون بإنجيل أنزله الله على المسيح، وليس بإنجيل يوحنا ومتى ولوقا وبولس.

والإنجيل الذي يؤمن المسلمون كذلك هو الذي يوجد فيه التبشير بالرسول محمد ﷺ كما جاء في القرآن:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

فإن خلت التوراة أو الإنجيل من التبشير بمحمد ﷺ فهي ليست الكتب التي أنزلها الله ويؤمن بها المسلمون[٢].

٣- كيف يسمح الله بتحريف كتبه؟

الجـــــواب:

إن الله يسمح بوقوع الشر كنوع من الابتلاء والاختبار للناس.

---

(١) تفسير أبي السعود (٣/ ٣٧).

(٢) يجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الكتب رغم تحريفها ما زالت تحتوي على بشريات بالرسول محمد ﷺ.

فعلى سبيل المثال لقد سمح الله بقتل الأنبياء، وسمح بوجود الكفر، وسمح بوجود الشيطان الذي يدعو الناس للكفر صباح مساء، وسمح بأن يسبه الكفار ويستهزئون بكتبه وآياته ورسله، ويقتلون أولياءه ويهدمون بيوت العبادة، وسمح لبعض الكفار بوطء المصاحف ووضعها في النجاسات... إلخ.

فكل ذلك يحدث بإرادة الله الكونية لحكمة اختبار الناس وابتلائهم، أما إرادة الله الشرعية فهي تحرم هذه الأفعال وتعدها جريمة سيلقى فاعلها أشد عقوبة في دار الحساب والجزاء.

٤- ولماذا لم يحفظ الله التوراة والإنجيل كما حفظ القرآن؟

الجـــــواب:

أولاً: لم يتعهد الله بحفظ التوراة والإنجيل بل ترك هذه المهمة للبشر كنوع من التكليف والاختبار لهم، وأخذ عليه العهد ببيانه للناس وعدم كتمانه لكنهم خانوا الأمانة ولم يحفظوا الكتب بل حرفوها.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

أما القرآن فقد وعد الله بحفظه ولم يترك هذه المهمة للبشر بل استخدمهم فيها، قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ثانيًا: القرآن له خصوصية عن كل الكتب التي أنزلها الله، وهي أن القرآن هو خاتم هذه الكتب ولن يأتي كتاب بعده، فلو حرف القرآن فسيعيش الناس في ضلال إلى يوم القيامة، لكن بقية الكتب عندما وقع تحريفها جاء بعدها كتاب يصلح ما أفسده المحرفون، فعندما حرفت التوراة جاء الإنجيل مصلحًا، وعندما حرف الإنجيل جاء القرآن مصلحًا، فإذا حرف القرآن فكيف سيكون الإصلاح وهو آخر الكتب، والنبي محمد ﷺ هو آخر الأنبياء وخاتمهم فلا نبي آخر بعده؟

٥- هل وقع ظلم على اليهود والنصارى بسبب تحريف كتبهم وعدم تحريف القرآن؟

الجـــــواب:

اليهود والنصارى فريقان:

١- المحرفون من رجال الدين وغيرهم وهؤلاء لا حجة لهم بعد أن شاركوا في جريمة تحريف الكتاب.

٢- المتبعون: وهؤلاء إما علموا بالتحريف وسكتوا عليه واتبعوا أحبارهم ورهبانهم فهؤلاء لا حجة لهم أيضًا، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وإما أن يكونوا جهالاً وهؤلاء أصناف منهم المعرض عن الحق، ومنهم المتبع بغير نور ولا بصيرة، ومنهم الباحث عن الحق.

لكن نقول إجمالاً أن من كان منهم جاهلاً ولم يسمع بالإسلام ولم يكن بمقدوره البحث ولم تقم عليه الحجة، فهؤلاء حكمهم حكم أهل الفترة، يختبرون يوم القيامة ومن نجح منهم يدخل الجنة.

ولكن يجب التنبيه إلى أن من رحمة الله أنْ جعل أمارات التحريف واضحة ظاهرة في كتاب القوم لكل منصف عادل باحث عن الحق، ومن ذلك:

١ - التناقضات العددية:

مثاله: في سفر الملوك الثاني (٨/ ٢٦) نجد النص التالي:

«كان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم. واسم أمه عثليا بنت عمري ملك اسرائيل».

وفي سفر أخبار الأيام الثاني (٢٢/ ٢) نجد نفس النص ولكن مع اختلاف عمر أخزيا:

«كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم. واسم أمه عثليا بنت عمري ملك اسرائيل».

والسؤال: كم كان عمر أخزيا حين ملك في أورشليم؟

٢ - الأخطاء العلمية:

مثاله: يذكر لنا سفر يوحنا اللاهوتي (٢٠/ ٧) أن الأرض لها أربع زوايا، رغم أن الأرض كروية وليس لها زوايا كما هو مقرر في الثوابت العلمية:

«ثم متى تمت الألف السنة يحل الشيطان من سجنه، ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض».

٣-الكلام الفاحش الخادش للحياء، الذي لا يمكن أن يكون في كتاب من عند الله.

مثاله: وللأسف سنضطر لذكر مثال ـ هو نقطة من بحر ـ وليسامحنا القارئ إن جرحنا حياءه بهذه الكلمات، ففي سفر نشيد الإنشاد (٧/ ١ - ٣) تطالعنا هذه الكلمات التي نوردها بغير تعليق منا:

«ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم، دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صناع، سرّتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج، بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن، ثدياك كخشفتين توأمي ظبية».

والحقيقة أن دلائل التحريف كثيرة جدًا تحتاج لمصنف مستقل لجمعها، لكن ما نريد إبرازه هنا أن تحريف هذه الكتب لا يخفى على أي باحث منصف.

٦- كيف تحكمون على هذه الكتب بالتحريف وأنتم لا تملكون النسخة الأصلية لها؟

الجـــــواب:

أولاً: لو وجدت النسخة الأصلية فلا يمكن الحكم على الكتاب بالتحريف، وإنما نقول حرفت بعض النسخ وتم اكتشافها، لكن عدم وجود نسخة أصلية من لوازم الحكم على هذه الكتب بالتحريف.

ثانيًا: الذي أخبرنا بتحريف هذه الكتب هو الله ﷻ الذي نزّل التوراة والإنجيل وهو الأعلم ﷻ.

ثالثًا: هل وجود النسخة الأصلية ضروري لإثبات واقعة التحريف؟ بالطبع لا، فإن هناك طرقًا وأمارات كثيرة لكشف التحريف، فلو أثبتنا خطأً أو تناقضًا واحدًا في هذه الكتب فهذا دليل دامغ على وقوع التحريف، وعلى أن هذه الكتب ليس من عند الله؛ لأن الله تعالى لا يمكن أن يقع منه الخطأ أو التناقض وصدق سبحانه القائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

رابعًا: الأدلة على تحريف هذه الكتب قائم عليها من داخلها، وهي أدلة بالمئات بل ربما بالآلاف، ولذلك كان الأولى بالسائل أن يسأل: ما أدلة التحريف؟ بدلاً من سؤاله عن النسخة الأصلية التي أضاعها أجداده وحرفوها.

خامسًا: النصارى أنفسهم لا يملكون النسخة الأصلية لكتابهم، وإن كل ما لديهم مجرد ترجمات وقع فيها الاضطراب والاختلاف لا بين اللغات المختلفة فحسب، بل حتى بين النسخ المكتوبة بنفس اللغة، واختلاف الترجمات والنسخ وأخطاؤها أمر لا يخفى اعترف به علماء اللاهوت أنفسهم.

٧- المسلمون يحتجون على حفظ القرآن بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، **والذكر هو التوراة والإنجيل، فكيف تقولون بتحريفهما والقرآن يقول إنهما محفوظان؟**

الجـــــواب:

الذكر تعني في اللغة كل قول أو كلام [1].

وقد جاءت في القرآن لتدل على القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١].

كما جاءت دالة على الكتب السابقة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فالذكر هنا هو التوراة.

فكيف نحدد معناها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾؟

أولاً: بالنظر إلى سياق الآيات نرى أنها تتحدث عن القرآن، فالسورة تبدأ بقوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴾.

ومن الآية السادسة: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٦-٨] فالآيات تتحدث عن الرسول محمد ﷺ، وتذكر أنه الذي نزل عليه الذكر، وتذكر اتهام الكفار له بالجنون، ومطالبتهم له بأن يأتيهم بالملائكة.

ثم جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

فالسياق يوضح بلا شك أن الذكر هنا هو القرآن لا غير.

ثانيًا: تقدم ذكر الآيات الدالة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل مما يدل على أن هذه الكتب ليست هي المقصودة هنا.

٨- كثيرا ما جاء في القرآن أنه تصديق الذي بين يديه أو مصدقا لما بين يديه، فهل يدل ذلك على صحة الإنجيل والتوراة الذي كان بين يدي الرسول ﷺ؟

الجـــــواب:

معنى بين يديه هنا: أي ما قبله، وليس معناها التي يمسكها بيديه.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص٣٢٨).

قال ابن كثير: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، أي: من الكتب المتقدمة[١].

وقال ابن عاشور: «والمراد بما بين يديه ما سبقه وهو كناية عن السبق؛ لأن السابق يجيء قبل المسبوق، ولما كان كناية عن السبق لم ينافِ طول المدة بين الكتب السابقة والقرآن»[٢].

مما يدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

قال الألوسي: «وما بين يديه وما خلفه كناية عن جميع الجهات كالصباح والمساء كناية عن الزمان كله أي لا يتطرق إليه الباطل من جميع جهاته... وجواز أن يكون المعنى: لا يأتيه الباطل من جهة ما أخبر به من الأخبار الماضية والأمور الآتية»[٣].

٩- فما قولكم في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾؟

الجـــواب:

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النساء: ٤٧] يأمر الله اليهود والنصارى باتباع ما جاء في كتبهم من البشارات بالرسول محمد ﷺ، وذلك بالإيمان بالرسول والقرآن واتباع دينه، وكانت هذه البشارات لا تزال في كتبهم، وهذا لا ينفي وقوع التحريف في أجزاء أخرى من هذه الكتب، فالقرآن مصدق لهذه البشارت وليس مصدقًا لكل الكتاب.

قال ابن كثير: «يقول تعالى آمرًا أهل الكتاب بالإيمان بما أنزل على رسوله محمد ﷺ من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات»[٤].

١٠- هل القرآن مجرد ترجمة للكتب السابقة بدليل قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: ٣]؟ ومعنى فصلت: ترجمت، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: ٤٤].

الجـــواب:

فصلت أي: وضحت وبينت وليس ترجمت[٥].

قال ابن منظور: «كتاب فصلناه له معنيان: أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٨).
(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٢٢).
(٣) روح المعاني (١٣/ ١٩٦).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٧٦٨).
(٥) روح المعاني (١٣/ ١٤٦)، مفردات ألفاظ القرآن (ص٦٣٨).

في فصلناه: بيناه»[١].

وعلى هذا فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي لو نزل القرآن على العرب بغير اللغة العربية فلن يكون واضحًا بالنسبة لهم، وعندها كانوا سيقولون: هلا بينت ووضحت لنا معنى هذا الكلام الذي لا نفهم معناه[٢].

١٢- كيف يأمر الله بالحكم بالإنجيل وهو محرف؟ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

الجـــــواب:

هذا أمر لهم بتحكيم ما أنزل الله فيه من الإيمان بالنبي ﷺ.

قال القرطبي: «قيل هذا أمر للنصارى الآن بالإيمان بمحمد ﷺ، فإن في الإنجيل وجوب الإيمان به»[٣].

وقيل: «أي: وأمرنا النصارى أن يحكموا بما أنزله الله فيه»[٤]، أي أن الأمر كان للنصارى حين نزل عليهم الإنجيل أن يحكموا بما أنزله الله فيه.

١٣- كيف وصف القرآن أنه مهيمن على هذه الكتب وهي محرفة؟ ومعنى مهيمن أي حافظ لها.

الجـــــواب:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، معنى (مهيمنًا): أي شهيدًا على الكتب السابقة (لا الكتب المحرفة) أنها حق من عند الله، أمينًا عليها حافظًا لها، بمعنى أنه يثبت ما كان فيها من الحق، وينفي ما حرفه المحرفون ونسبوه زورًا وكذبًا لله ورسله.

فما أخبرنا به القرآن عما جاء في هذه الكتب فهو الصدق، وما جاء في هذه الكتب مخالفًا لما في هذا القرآن فهو باطل.

«قال ابن جريج وآخرون: القرآن أمين على الكتب فيما إذا أخبرنا أهل الكتاب في كتابهم بأمر، إن كان في القرآن فصدقوا، وإلا فكذبوا»[٥].

---

(١) لسان العرب (١١/ ٥٢٤).

(٢) انظر: زبدة التفاسير ص٦٣٦.

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٢٠٩).

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٣٥٩).

(٥) تفسير الطبري (٨/ ٣٦١).

١٣- كيف تكون التوراة محرفة وقد أمر الله بتحكيمها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

الجـــــواب:

المقصود في هذه الآية أن التوراة التي أنزلها الله على موسى كان فيها أسباب الهداية والنور، وقد أنزلها الله ليحكم بها موسى وكل من بعث من بعد موسى من الأنبياء الذين جاءوا مقرين لشرعه موافقين له فيه، وقد جاء القرآن موافقًا لعقيدة التوحيد التي كانت في التوراة - قبل أن تحرف - ولكنه جاء بشريعة أخرى نسخت كل الشرائع السابقة.

و(الذين أسلموا) هم الأنبياء وأتباعهم من لدن موسى إلى زمان عيسى عليهما السلام؛ لأن الأنبياء كلهم مسلمون، لأنهم (أسلموا) أي: خضعوا وانقادوا لأمر الله فيما بعثوا به[1]، وليس المقصود أن يحكم المسلمون بالتوراة بعد نزول القرآن، لأن القرآن ناسخ لشريعتها.

وقد قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»[2].

١٤- كيف تكون التوراة محرفة ويذكر أن فيها حكم الله في قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٤٣].

الجـــــواب:

ليس المقصود أن كل ما في التوراة وقت نزول الآية كان حكمًا لله؛ بل المقصود بحكم الله الذي في التوراة هو الرجم خاصة[3]، وهو لم يتم تحريفه.

فعن البراء بن عازب قال: «مر على النبي ﷺ بيهودي محممًا مجلودًا فدعاهم ﷺ فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ١٨٨).

(٢) أحمد (١٤٦٢٣)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٣٣٧)، القرطبي (٦/ ١٨٨)، وكما ورد في صحيح مسلم (٣٢١١)، وانظر أسباب النزول (ص١٦٠)

والجلد مكان الرجم.

فقال رسول الله ﷺ: **اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم.**

فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾»[1].

فنحن لا نقول أن كل ما في التوراة محرف من الألف إلى الياء، بل كثير منه محرف وبعضه ليس محرفًا، وكان حكم الرجم مما لم يحرف.

١٥- كيف يأمر الله بالإيمان بالكتب السابقة رغم تحريفها؟ كما في قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

الجـــــواب:

ما جاء في الآية هو الأمر بالإيمان بكل كتاب أنزله الله من قبل على أي نبي، ونحن نؤمن بكل كتب الله إيمانًا إجماليًا[2]، كما نؤمن بكل نبي أرسله.

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والإيمان الإجمالي يعنى مثلاً أننا نؤمن أن هناك كتابًا أنزله الله على موسى هو التوراة، وكتابًا أنزله الله على داود هو الزبور، وكتابًا أنزله الله على عيسى هو الإنجيل، ونؤمن أن هذه الكتب كانت حقًا من عند الله ولكنها ضاعت وحرفت ولم يفلح اليهود والنصارى في صيانة هذه الأمانة التي كلفوا بحفظها، وأمروا بإقامتها، نؤمن بذلك على سبيل الإجمال وإن لم نعرف كل تفاصيله.

١٦- وما المقصود بقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾؟

الجـــــواب:

المقصود أننا نؤمن بما أنزل من الحق في التوراة، ولا نؤمن بما حرفه المحرفون.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بما أنزل إلينا**»[3].

قال ابن حجر: «قوله: (**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**) أي: إذا كان ما يخبرونكم

---

(١) مسلم (٣٢١٢).
(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٤١٥).
(٣) البخاري (٦٨١٤).

به محتملاً؛ لئلا يكون في نفس الأمر صدقًا فتكذبوه، أو كذبًا فتصدقوه فتقعوا في الحرج.

ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد خلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي»[(١)].

١٧- وكيف يكون التوراة والإنجيل محرفين ويأمر الله بإقامتهما كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

الجـــــواب:

إقامة التوراة والإنجيل في هذه الآية تكون باتباع ما جاء فيهما من الأمر بالإيمان بالرسول محمد ﷺ، واتباعه وتحكيم شرعه.

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «أي لستم على شيء من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين، من الإيمان بمحمد ﷺ، والعمل بما يوجبه ذلك منهما»[(٢)].

١٨- فمن هم المقصودون بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١] **أليسوا اليهود والنصارى؟ فكيف تتهمونهم بالتحريف؟**

الجـــــواب:

المقصودون هم أصحاب النبي ﷺ، إذا كان الكتاب في الآية هو القرآن، ويدخل في ذلك كل كتاب أنزله الله ويكون من يتلونه حق تلاوته هم أتباع الأنبياء الذين آمنوا برسالتهم الحقة[(٣)]، ويدخل في ذلك أيضًا أهل الكتاب الذين آمنوا بالنبي ﷺ، لما وجدوه في كتابهم من التبشير به.

قال الطبري: «تأويل الآية: الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد وهو التوراة، فقرءوه واتبعوا ما فيه فصدقوك وآمنوا بك وبما جئت به من عندي، أولئك الذين يتلونه حق تلاوته»[(٤)].

١٩- وكيف يكون التوراة والإنجيل محرفين ويأمر الله المسلمين بسؤال أهل الكتاب وأخذ العلم منهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]؟

الجـــــواب:

قال الواحدي: «نزلت في مشركي مكة، أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا: الله أعظم من أن

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٧٠).
(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٢٤٥).
(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٩٥).
(٤) تفسير الطبري (٢/ ٧٢٣).

يكون رسوله بشرًا، فهلا بعث إلينا ملكًا؟»[١].

فالذين أمروا أن يسألوا أهل الكتاب هنا هم كفار قريش، الذين أنكروا أن يكون هناك أنبياء ورسل رجال من البشر.

والسؤال المطلوب توجيهه من كفار قريش إلى أهل الكتاب كان في نقطة محددة وهي: هل كان الأنبياء من قبل رجالاً أم لا؟[٢].

وليس هذا تعديلاً لهم بإطلاق، بل أمْر الكفار بسؤالهم لأنهم كانوا يصدقون أهل الكتاب؛ ولأن أهل الكتاب لا يمكنهم إنكار أن الأنبياء من قبل كانوا رجالاً، وبذلك تقام الحجة على الكافرين.

فالسائل هنا هو كفار قريش لا المسلمون، والسؤال كان في نقطة محددة وليس الأمر بسؤالهم في كل شيء؛ بل في شيء لا يمكنهم إنكاره كما وضحنا.

٣٠- الكتاب المقدس كان قد انتشر بملايين النسخ وبلغات العالم المعروف، فكيف تم التحريف لكتاب منتشر بين الشعوب وبلغاتها المتعددة وهي متفقة ومتشابهة على الرغم من كثرتها فلو حرفت ألفاظ النسخ لظهر ذلك في بعض النسخ؟

الجـــــواب:

ادعاء تشابه النسخ وتطابقها أمر غير صحيح لوجود الاختلاف في تلك النسخ من ناحية، واختلافها في عدد الأسفار من ناحية أخرى.

فنسخة الكاثوليك مثلاً تختلف عن نسخة البروتستانت في عدد الأسفار حيث تزيد النسخة الكاثوليكية على النسخة البروتستانتية بسبعة أسفار يطلق عليها اسم (الأبوكريفا)، وهذا يعني أن كتاب الكاثوليك الموجود الآن محرف بالزيادة، أو كتاب البروتستانت محرف بالإنقاص والحذف[٣].

وكمثال لاختلاف النسخ:

الفقرة السابعة من الإصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولى والتي جاء فيها: «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة، الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد».

---

(١) أسباب النزول (ص٢٣٤)، وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٧٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٨٥).
(٣) الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس هم أشهر فرق النصارى.

تبين أنها فقرة مزيفة ليست موجودة في الأصول اليونانية المعوّل عليها أي إنها فقرة دخيلة ليست من المتن، وبالفعل لقد تم حذف هذه الفقرة المزيفة من الترجمة الرهبانية اليسوعية المطبوعة سنة ١٩٨٦، ومن التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة، وتم حذفها من الترجمة الفرنسية المسكونية، ومن الترجمات الغربية الحديثة.

إلا أن البروتستانت ما زالوا يطبعون هذه الفقرة ضمن الترجمة العربية للكتاب المقدس، وهنا نتساءل أي النسخ صحيح؟ وهل هذه العبارة محرفة أم صحيحة؟

أمر آخر نلفت النظر له وهو التغيير والتنقيح الذي يحدث لكثير من نسخ الكتاب المقدس عند النصارى، وهذا التغيير يشمل الحذف والزيادة والتبديل، وعبارات تكون في الهامش فتدرج في المتن في نسخ، وتظل في الهامش في نسخ أخر، الأمر الذي يجعلك أمام مئات النسخ المختلفة لهذا الكتاب ربما بعدد طبعاته، فهل بعد كل ذلك يكون هناك معنى لادعاء السائل اتفاق نسخ كتابه الذي يقدسه؟



الفصل السابع

الافتراءات
حول إلهية المسيح المزعومة
في القرآن والسنة



١- هل المسيح هو الله في القرآن؟

الجـــــواب:

بالطبع لا، ومن قال: إن المسيح إله، فهو كافر بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة.

ومن الأدلة الصريحة على ذلك:

١- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧].

٢- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٣].

٣- ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

٤- ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف: ٥٩].

٥- أول ما نطق به المسيح هو قوله: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠].

٦- ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠].

٣- ما معنى أن المسيح هو كلمة الله كما جاء في القرآن؟

الجـــــواب:

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: هو قوله: كن فكان [(١)].

وقال الطبري: «سماه الله ﷻ «كلمته»، لأنه كان عن كلمته، كما يقال لما قدّر الله من شيء: «هذا قدَرُ الله وقضاؤُه»، يعني به: هذا عن قدر الله وقضائه حدث» [(٢)].

وقال القرطبي: «وسمى عيسى كلمة لأنه كان بكلمة الله تعالى التي هي «كن» فكان من غير أب» [(٣)].

وقال ابن تيمية: «نحن لا ننكر أنه يسمى بالكلمة لأنه قال له: كن فكان» [(٤)].

وقال ابن عاشور: «والكلمة مراد بها كلمة التكوين... ووصف عيسى بكلمة مراد به كلمة خاصة مخالفة للمعتاد في تكوين الجنين أي بدون الأسباب المعتادة.

قوله: «منه» من للابتداء المجازي أي بدون واسطة أسباب النسل المعتادة وقد دل على ذلك قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]» [(٥)].

وقال الراغب الأصفهاني: «وتسمية عيسى بكلمة في هذه الآية [(٦)]، وفي قوله ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] لكونه موجدًا بكن المذكور في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٩] إلى قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]» [(٧)].

وجاء في تفسير ابن كثير: «ليست الكلمة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى» [(٨)].

فكلمة الله إما: - يراد بها علمه.

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٨).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ٣٦٦).
(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٧٦).
(٤) الجواب الصحيح (٣/ ٢٥٥).
(٥) التحرير والتنوير (٣/ ٢٤٦).
(٦) يقصد قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩].
(٧) مفردات ألفاظ القرآن (ص٧٢٣).
(٨) تفسير ابن كثير (١/ ٨٩٩).

- أو كلمة معينة (مثل: كن، التي يكون بها الخلق).

- أو جنس لكل ما تكلم به الله.

ومما يؤكد ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقول رسول الله: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

٣- ألم يرد في تفسير قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، أن يحيى سجد لعيسى؟ ألا يدل ذلك على ألوهيته؟

الجـــــواب:

١- هذه القصة مما بلغنا عن طريق أهل الكتاب (إسرائيليات)، وليس ذلك في القرآن أو السنة، فلا يحتج بها.

٢- بافتراض صحة القصة فما فيها مجرد رؤيا رأتها أم يحيى، وهي ليست من الأنبياء فليست كل رؤاها حق، ومثل هذه الرؤى لا تثبت بها الأحكام.

٣- كما هو معلوم عند من يعبرون الرؤى ويأولونها فكثيرًا لا تؤوّل الرؤيا على ظاهرها، وكثيرًا يكون ما يرد في الرؤيا مجرد إشارات ورموز لأشياء أخرى.

٤- السجود لا يعني العبادة دومًا، فالسجود قد يكون للتعظيم والتحية، وكان جائزًا في شرع من قبلنا.

قال ابن كثير: «ومعنى السجود ها هنا الخضوع والتعظيم كالسجود عند المواجهة للسلام، كما كان في شرع من قبلنا، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم»[2].

٥- لو اعتبرنا هذا دليلاً على إلهية المسيح فيوسف على ذلك أولى منه بالإلهية، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فهذه الرؤيا أرجح من أكثر من وجه، ومن ذلك:

---

(١) البخاري (١٢٠)، ومسلم (٣٥٢٤).

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٦٥).

- أن يوسف رؤياه حق لأنه نبي، وليست مجرد رؤيا لشخص عادي ليس نبيًا ولا رسولاً.
- أنها ثابتة قطعًا لورودها في القرآن (وليست مجرد إسرائيليات).
- أنها تحققت وسجد له إخوته ووالداه.

والحق الذي لا مرية فيه أن يوسف وعيسى بشر من أنبياء الله ورسله، لم يدع أحدهما الإلهية بل دعوا لتوحيد الله الذي خلقهما واصطفاهما لرسالته.

٤- ما معنى أن الله ألقى الكلمة إلى مريم في قوله تعالى: ﴿أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]، ألا يدل ذلك على امتزاج الكلمة بمريم؟

الجـــــواب:

قال الطبري: «﴿أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾، أعلمها بها وأخبرها، كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة، بمعنى أخبرتك بها وأعلمتك بها»[(١)].

وكما تقول: ألقيت السلام أي تكلمت به.

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤].

٥- ما معنى أن عيسى هو روح الله؟

الجـــــواب:

روح الله أو روح من الله، أي: روح خلقه الله[(٢)].

وإضافة الروح لله إضافة تشريف، كما في: ناقة الله، وبيت الله، وعباد الله.

قال الله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣].

وقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦].

وقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

قال ابن تيمية: «والمضاف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام والحياة كان صفة له، وإن كان عينًا قائمة بنفسها أو صفة لغيره كالبيت والناقة والعبد والروح كان مخلوقًا مملوكًا مضافًا إلى خالقه ومالكه، ولكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره حتى استحق الإضافة كما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بأن يقال

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٤٨).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٤٩).

فيهم (بيت الله) و(ناقة الله) و(عباد الله)، كذلك اختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها (روح الله) بخلاف الأرواح الخبيثة كأرواح الشياطين والكفار فإنها مخلوقة لله ولا تضاف إليه إضافة الأرواح المقدسة»(١).

وقال ابن عاشور: «ومعنى كون عيسى روحًا من الله أن روحه من الأرواح التي هي عناصر الحياة، لكنها نسبت إلى الله لأنها وصلت إلى مريم بدون تكوّن في نطفة، فبهذا امتاز عن بقية الأرواح»(٢).

وقال ابن كثير: «روح منه كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، أي: من خلقه ومن عنده وليست للتبعيض ـ كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة ـ بل هي لابتداء الغاية»(٣).

٦- ألا يدل قوله تعالى: «وأيدناه بروح القدس»، أن الله أعطاه حياة منه؟

لا يمكن أن يراد بروح القدس: (حياة الله)؛ لأن حياة الله صفة قائمة بذاته لا تقوم بغيره، ولا تختص ببعض الموجودات غيره.

ثم إن المسيح ليس مختصًا وحده بتأييده بروح القدس.

قال الرسول ﷺ لحسان بن ثابت: «اللهم أيده بروح القدس»(٤).

وفي لفظ: «إن روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله ﷺ»، «روح القدس لا يزال يؤيدك»(٥).

٧- فمن هو روح القدس؟

إن روح القدس عند المسلمين هو جبريل، والدليل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٢٤٩).
(٢) التحرير والتنوير (٤/ ٥٢).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٨٩٩).
(٤) البخاري (٤٣٤).
(٥) مسلم (٤٥٤٥).

إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٢]. فالذي نزل بالقرآن هو روح القدس.

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، أي الذي نزل بالقرآن على قلب النبي هو الروح الأمين وهو الروح القدس.

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧]، فجبريل هو الذي نزل بالقرآن على قلب النبي، فهو إذن الروح القدس والروح الأمين.

ثم لو كان المسيح هو الله فكيف يؤيده بغيره؟ هل يحتاج الله لتأييد من غيره؟

ثم إن الله يقول: (أيدناه) فالله هو الذي أيده بالروح القدس، فهل يقصد الجاهل صاحب هذه الفرية أن الله أيد نفسه بغيره؟

٨- ألا يدل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ على أن المسيح هو الله؟

الجـــــواب:

كلمة المسيح في الآية معطوفة على ﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾ وليست معطوفة على لفظ الجلالة (الله)، ولذلك فهي منصوبة بالفتحة، ولو كانت معطوفة على لفظ الجلالة (الذي محله في الإعراب مضاف إليه مجرور) لكانت مجرورة بالكسرة.

وحتى لو كانت معطوفة على لفظ الجلالة فهذا لا دليل فيه على أن المسيح هو الله؛ بل العكس لأن الشيء لا يعطف على نفسه عادة(١)، وطالما أنه لم يعطف على نفسه فيلزم بحسب ادعاء المفتري تعدد الآلهة، وسياق الآية ضد هذا المعنى تمامًا، حيث إن الجزء المتبقي من الآية هو: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

٩- ما معنى كون المسيح: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ٤٥]؟ ولماذا اختص بذلك؟

الجـــــواب:

وجيهًا أي: ذو جاه وقدر(٢).

---

(١) إلا إذا كان باعتبارات مختلفة دل عليها السياق، كقولك: الله هو الرحمن والرحيم، فالعطف هنا باعتبار تعدد الأسماء والصفات، والسياق يدل عليه.

(٢) المفردات (ص٨٥٦).

فهو شريف ذو جاه وقدر ومكانة [(١)].

قال الطبري: «يعني بقوله (وجيهًا) ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة» [(٢)].

وادعاء اختصاصه بها غير صحيح:

لقول الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، أي: له وجاهة وجاه عند ربه ﷻ [(٣)].

وقال الله ﷻ في حق الرسول: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] وهذه مكانة وجاه ووجاهة عظيمة عند الله سبحانه.

١٠- ما معنى كون المسيح من المقربين في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾؟ ولماذا اختص بذلك؟

الجـــــواب:

من المقربين: أي ممن يقربه الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره ويدنيه منه [(٤)].

وهذا غير مختص بالمسيح بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠-١٤].

فالقربون هنا هم جماعة من الأولين وقليل من الآخرين [(٥)].

ثم إن النص يقول من المقربين، و(من) تدل هنا على التبعيض أي هو واحد من المقربين، فهناك مقربون غيره، فكيف يدعى اختصاصه بهذا؟؟

ثم إذا افترضنا أنه مختص بذلك فهذا دليل على أنه ليس إلهً؛ لأنه لا يمكن أن نقول أن الله سبحانه وتعالى مقرّب من نفسه.

١١- لماذا المسيح هو الوحيد الذي وصف بأنه (آية للناس)؟

الجـــــواب:

(آية للناس) أي: دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم:

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٩٠).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ٣٦٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٨٢٩).
(٤) تفسير الطبري (٥/ ٣٦٩).
(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٣).

فخلق آدم (بغير ذكر ولا أنثى).

وخلق حواء (من ذكر بغير أنثى).

وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه (١).

أما اختصاصه بوصف أنه آية للناس فهذا غير صحيح أيضًا بدليل قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

١٣- أليس المسيح هو الخالق في القرآن؟ والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ ﴾ [المائدة: ١١٠]؟

الجـــــواب:

١ – لم يذكر عن المسيح أنه يخلق خلقًا مطلقًا ولا عاماً وإنها هو خلق خاص مقيد.

٢ – المسيح خلق من الطين كهيئة الطير أي: صنع وصوّر من الطين شكل طير، وهذا يقدر عليه كل إنسان.

٣– ما معنى الخلق في اللغة؟ الخلق له معنيان (٢):

الأول: التقدير، ومنه قولك: خلقت الأديم للسقاء إذا قدّرت حجم الأديم (الجلد) اللازم لصنع السقاء (أي القربة التي تستخدم في الشرب) قبل أن تقطعه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ ﴾ [العنكبوت: ١٧]، أي: تقدرونه.

ومنه قول زهير يمدح رجلاً:

ولأنـت تفـري مـا خلقـت وبعـــ ـــض القـوم يخلـق ثـم لا يفـرى

وكقول الحجاج: «ما خلقت إلا فريت، ولا وعدت إلا وفيت».

الثاني: الصنع، فقولنا: خلق الكلام وغيره: صنعه (١)، ولو كان هذا الصنع على مثال لم

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٧).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٢٩٦)، ولسان العرب (١٠/ ٨٧).

يسبق إليه ومن العدم فهذا خاص بالله وحده [٢]. أما مجرد الصنع وإنشاء الشيء فهذا يشمل المخلوقات أيضًا.

فالخلق الذي لا ينازع فيه الله ولا يشترك معه فيه غيره هو: إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء [٣]، ومنه وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

أما التقدير فيشترك فيه الخلق ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾.

وكذلك مطلق الصنع وهو إيجاد الشيء من الشيء يشترك فيه الخلق أيضًا ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

٤- إن الطين لم يتحول لطير في الحقيقة بعد النفخ إلا بإذن الله، قال الله تعالى على لسان المسيح: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فالمسيح إذن كان محتاجًا لإذن الله مفتقرًا له، ولو مكث زمنًا ينفخ ولم يأذن الله فسيبقى الطين طينًا، ولن يتحول لطير أبدًا، وهذا يدل على أنه لا ينفرد بخلق ولا يوصف بأنه الخالق بإطلاق، كما يدل على أنه ليس هو الله لأن الله سبحانه لا يستأذن من نفسه.

٥- ذكر القرآن أن هذا كان نعمة من نعم الله التي أنعم بها على المسيح: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]، وهذا ينفي تمامًا أن يكون ذلك دليلاً على إلهية المسيح.

١٣- أليست الطريقة التي خلق المسيح بها الطير هي الطريقة التي يخلق الله بها؟ فالله يخلق من الطين أيضا بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾.

الجـــــواب:

الله لا يخلق بطريقة واحدة، وإلا فكيف خلق السماء والأرض؟

---

(١) القاموس المحيط (ص٧٩٢).

(٢) الصحاح (٢/ ١١١٨)، القاموس المحيط (ص٧٩٢)، لسان العرب (١٠/ ٨٥)، معجم مقاييس اللغة (ص٣٢٩)، مفردات ألفاظ القرآن (ص٢٩٦).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٢٩٦).

وكيف يخلق الإنسان الآن؟ وكيف يخلق الحيوانات؟ وكيف يخلق النبات؟

إن الله لا يحتاج لطريقة معينة ليخلق بها، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فالقول بأن هذه طريقة الله في الخلق لا يصدر إلا ممن لا يدري شيئًا عن قدرة ربه.

ثم إن المسيح في خلقه للطير كان مفتقرًا محتاجًا لإذن ربه، أما خلق الله، فلا يتوقف ولا يحتاج لإذن من غيره.

١٤- كيف يحيي المسيح الموتى؟ أليس ذلك لله فقط؟

الجــــواب:

لم يرد في القرآن أن المسيح هو الذي يحيي الموتى بإطلاق وإنما ذلك جاء مقيدًا بأنه بإذن الله ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فالله سبحانه هو من أعطاه هذه القدرة على إحياء الموتى كمعجزة دالة على صدق نبوته.

وهذا ليس مقصورًا على المسيح فقط، بل موسى عليه السلام بحسب القصة الواردة في سورة البقرة ضرب الميت بقطعة من اللحم فأحياه من موته ليدل على قاتله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

والله سبحانه أعطى موسى قدرة على أن يجعل العصا (وهي جماد لا حياة فيه) حية تسعى وتتحرك وفيها حياة، وإعطاء الحياة للجمادات التي لا حياة فيها أصلاً أبلغ ولا شك من مجرد إحياء الموتى.

١٥- ورد في القرآن أن المسيح يشفي المرضى، والله هو الذي يشفي أفلا يدل ذلك على ألوهيته؟

الجــــواب:

لم يرد في القرآن أن المسيح يشفي المرضى بإطلاق، بل ما جاء أنه شفى بعضهم بإذن الله، كمعجزة دالة على صدق نبوته.

قال تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

وهذا ليس خاصًا بالمسيح فقط، فقد بصق رسول الله ﷺ في عين علي بن أبي طالب بعد أن اشتكى من عينه في غزوة خيبر، فشفيت بإذن الله[١].

---

(١) البخاري (٣٤٢٥).

وردّ رسول الله ﷺ عين قتادة بن النعمان بعد أن نزلت على وجنته، فكانت أفضل من عينه الصحيحة التي لم تصب[١].

فالطبيب يشفي بإذن الله، والدواء يشفي بإذن الله، والعسل قال الله عنه: ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

١٦- جاء في القرآن أن المسيح يعلم الغيب: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] ولا يعلم الغيب إلا الله، أفلا يدل ذلك على ألوهيته؟

الجـــــواب:

لم يرد في القرآن أن المسيح يعلم الغيب كله، بل ما جاء أنه علم بعض الغيب بعد أن أطلعه الله عليه، وهذا من دلائل نبوته، والله يطلع الرسل على بعض الغيب كما قال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقد كان الرسول ﷺ يعلم بعض الغيب، ومن ذلك أنه تنبأ بأشياء تحدث بعد مئات السنين وحدثت بالفعل.

كقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»[٢].

وقد وقع ذلك بالفعل في سنة ٦٥٤هـ، وتحدث عن ذلك المؤرخون كما نقل ابن كثير في البداية والنهاية عن الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسي الذي كان معاصرًا لهذه الأحداث ورأى بنفسه هذه النار كما تنبأ الصادق المصدوق من قبل حدوثها بأكثر من ستة قرون[٣].

وقال الرسول ﷺ في مرة لأصحابه: «سلوني عما شئتم» فأخذ بعض الصحابة يسألونه عن أمور غيبية ويرد عليهم[٤].

ولم يدع أحد من المسلمين أن الرسول ﷺ إلهًا لأنه علم بعض الغيب؛ لأن الإسلام علّم المسلمين كيف يوحّدون الله ﷻ وكيف يستدلون على إلهيته، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٨٢)، ابن سعد (١/ ١٨٨)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣٢).
(٢) البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٥١٦٤).
(٣) البداية والنهاية (١٣/ ١٨٧-١٩٢).
(٤) البخاري (٩٠).

١٧- جاء في القرآن أن المسيح عالم للساعة، وعلم الساعة لا يعرفه إلا الله، أفلا يدل ذلك على إلهيته؟

الجـــــواب:

لم يرد في القرآن أن المسيح يعلم الساعة، وإنما جاء أنه علم للساعة أي علامة عليها؛ لأن خروجه في آخر الزمان علامة من علامات الساعة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

والراجح أن الضمير في (إنه) يعود إلى القرآن لأنه به يعلم عن الساعة وأحداثها.

ولكن قيل: يعود إلى خروج المسيح؛ لأن خروجه من علامات الساعة[١].

وعلى كلا التأويلين فليس في الآية أي دليل من قريب أو بعيد على أن المسيح عالم للساعة كما وضحنا.

١٨- قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ألا يدل ذلك على صحة دين النصارى الذين يقولون بألوهيته؟

الجـــــواب:

إن الذين اتبعوه هم المؤمنون الموحدون، الذين صدقوا برسالات الأنبياء جميعًا.

فهل الذين قالوا المسيح هو الله مؤمنون؟

كلا بالطبع إنهم كفار كما حكم الله عليهم فقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

فنحن المسلمين الذين اتبعنا المسيح ونحن أولى بالمسيح من النصارى الذين كفروا وحرفوا دينه وكتابه وكذبوا عليه وادعوا له الإلهية زورًا وبهتانًا.

قال سول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي»[٢].

١٩- ورد في السنة أن المسيح سينزل في آخر الزمان ليدين العالم، وهذا يدل على أن المسيح هو الديان، وهذا دليل على إلهيته.

الجـــــواب:

لم يرد في السنة أنه سيدين العالم أو أنه ديان، بل ما جاء أنه سينزل في آخر الزمان حكمًا مقسطًا، أي: حاكمًا عادلاً.

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ١٠٥).

(٢) البخاري (٣١٨٦).

قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»[(١)].

قال النووي: «حكمًا أي: ينزل حاكمًا بهذه الشريعة (أي شريعة الإسلام) لا ينزل برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة، والمقسط: العادل»[(٢)].

٢٠- كيف تقولون لا يأتي بشريعة جديدة وهو سوف يلغي الجزية ويقتل الخنزير، فهل هذا من شريعتكم؟

الجـــــواب:

نعم، هو من شريعتنا وقت خروج المسيح ، بدليل إخبار النبي ﷺ بذلك في الحديث، فمن شريعة الإسلام أنه إذا نزل المسيح فلن تقبل الجزية وسيقتل الخنزير ويكسر الصليب؛ لأنه بعد ظهور المسيح بنفسه فلن يبقى للنصارى مثقال ذرة من شبهة تجعلهم يستمرون على ديانتهم الباطلة، ولذلك فلن يقرّوا على دينهم الباطل بعدها، بخلاف ما قبل ظهور المسيح.

ومن الأمثلة على ارتباط حكم معين بوقوع علامة معينة: عدم قبول التوبة بعد خروج الشمس من مغربها، وكانت تقبل قبل ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[(٣)].

٢١- قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣-١٤]، وورد في تفسير ابن كثير لهذه الآية أنهم كانوا رسل المسيح إلى أنطاكية، ألا يدل ذلك على ألوهية المسيح؟

الجـــــواب:

لقد ضعّف ابن كثير الرواية بعد أن أوردها، وقال أن في ذلك نظر من وجوه:

١ - أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ﷻ لا من جهة المسيح .

---

(١) البخاري (٢٢٩٦).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٦٤).

(٣) البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٢٢٦).

٢- أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح، وأهل هذه القرية كذّبوا رسله وأهلكهم الله بصيحة واحدة أخمدتهم.

الثالث: قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح كانت بعد نزول التوراة وقد ذكر كثير من السلف أنه لم تهلك أمة عن آخرها بعد نزول التوراة بعذاب عام[1].

فابن كثير لم يوافق على هذه الرواية بل انتقدها وضعّفها، ولم يقل ابن كثير ولا أحد من المفسرين أن المسيح إله.

وحتى إذا افترضنا صحة الرواية فلا يلزم من كون النبي يرسل رسلاً، أنه يصير بذلك إلهًا، فقد كان رسول الله ﷺ يرسل رسله للملوك والزعماء ولم يدع أحد أنه إله لأن له رسلاً، فما أضعف هذا الاستدلال.

٣٢- ألا يدل اجتماع هذه المعجزات بالإضافة إلى معجزة الميلاد على أنه الله؟

الجـــــواب:

ذكرنا فيما سبق عدم اختصاص المسيح بأي من هذه المعجزات والأوصاف، ووضحنا عدم دلالة أي منها على إلهيته؛ بل هو نفسه لم يدع أنه إله بل دعا لعبادة الله وحده وأعطاه الله هذه المعجزات ليؤكد صدق نبوته.

أما ما اختص به المسيح فعلاً، فهو ميلاده بلا أب، وكون المسيح مولودًا هذا أكبر دليل على بشريته وعدم إلهيته، لأن الله لم يلد ولم يولد سبحانه وتعالى، ولا ينبغي له ذلك.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ١-٣].

وقال: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾[مريم: ٨٨-٩٥].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٩٠٦).

وشتمني ولم يكن له ذلك.

فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته.

وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفئًا أحد»[(١)].

فالميلاد أكبر دليل على انتفاء الألوهية.

أخـــيرًا..

من كل ما سبق رأينا المنصرين في محاولاتهم البائسة اليائسة لإثبات ألوهية المسيح من القرآن: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] مخالفين بذلك محكمات القرآن التي دلت دلالة قطعية على أن من قال بإلهية المسيح فهو كافر ضال، وهذا منهج أهل الضلال دومًا اتباع المتشابهات وترك المحكمات.



(١) البخاري (٤٥٩٢).

الفصل الثامن

افتراءات وتساؤلات حول الجهاد في الإسلام



١- يدعي أعداء الدين أن الجهاد في الإسلام كان لإجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام وأن الذين اعتنقوا الإسلام دخلوا فيه بالإكراه والقهر لا عن اقتناع وتسليم، فما الرد على ذلك؟

هذه الفرية مردود عليها من وجوه تتلخص فيما يلي:

١- لقد مكث رسول الله ﷺ في مكة يدعو بالحجة والموعظة الحسنة بلا قتال أو إراقة نقطة دم، وكان ﷺ وأصحابه مستضعفين يتعرضون للتعذيب والتنكيل ليرجعوا عن دينهم فما صرفهم هذا عن الإسلام وما زادهم إلا إصرارًا على اتباع الحق، فإن كان هناك إكراه ففي الصد عن الإسلام لا في اتباعه.

٢- دخل الإسلام إلى أهل يثرب - المدينة النبوية - بلا أي قتال فقد اقتنع سادتهم بالإسلام حين عرضه عليهم الرسول ﷺ فبايعوه بيعتي العقبة الأولى والثانية، ثم أرسل إليهم مصعب بن عمير فاجتهد في دعوة أهل المدينة حتى دخل معظمهم في دين الإسلام، فأين شبهة الإجبار في إسلام أهل المدينة؟

إذًا صار من المسلّمات التي لا يداخلها شك أن المهاجرين والأنصار الذين هم ركيزة الدولة الإسلامية الأولى قد دخلوا في دين الله عن اقتناع وتسليم وتحملوا في سبيله الابتلاءات والاضطهادات مما ينفي أي شبهة إكراه وإجبار.

٣- إن الحروب الإسلامية في العصر النبوي غالبها لم يكن بمبادرة من المسلمين، فقد غُزي المسلمون مثلاً في بدر وأحد والأحزاب، وأما غزوات اليهود وفتح مكة ومؤتة وتبوك وغيرها فكانت تأديبًا لمن خانوا العقود وخالفوا العهود والمواثيق وبدأوا بالاعتداء أو قتلوا رسل رسول الله ﷺ.

٤- كان المسلمون يدخلون في الغالب في معارك غير متكافئة من حيث العدد والعدة، حيث كان خصمهم يتفوق عليهم تفوقًا ساحقًا، ففي غزوة مؤتة على سبيل المثال نجد أن عدد جنود المسلمين حوالي ثلاثة آلاف رجل، في حين كان عدد جيش الكفار مائتي ألف مقاتل، ناهيك عن التفوق في العدة والآلة الحربية، فهل يظن بهذه القلة المستضعفة أن تغرها قوتها وتشرع في فرض ما معها من الحق على هذه الجموع الغفيرة؟؟ وهل سعى ثلاثة آلاف مسلم في فرض الإسلام على مائتي ألف شخص؟

٥- إن العقائد لا تستقر في النفوس تحت وطأة السيف والقهر على الإطلاق وإنما تستقر بالإقناع وبالحجة الواضحة، ولو كانت الشعوب قد دخلت في الإسلام مجبرة فسرعان ما كانت تمردت عليه ولفظته، ولكن الحقيقة التي يشهد لها التاريخ والواقع أن الشعوب الإسلامية هي أكثر الشعوب تمسكًا بدينها رغم ما تعانيه من اضطهادات وحروب في كثير من أنحاء العالم حتى في عصرنا هذا.

٦- من المعلوم أن هناك كثافة إسلامية في جنوب شرق آسيا، في بلاد لم تطأها قدم مجاهد مسلم فاتح كالفلبين وإندونسيا فهناك عشرات بل مئات الملايين أسلموا، فمن الذي أجبر هؤلاء على اعتناق الإسلام؟ وجدير بالذكر أن هؤلاء يشكلون غالبية المسلمين في عصرنا، كما أن هناك كثيرًا من المسلمين في دول أوربا والأمريكتين وهي بلاد لم يدخلها الفاتحين المسلمين، وهناك أقليات مسلمة في كل الدول غير الإسلامية.

٧- ومما يؤكد بطلان هذه الفرية أن التاريخ يثبت أن بعض القوات والجيوش التي حاربت المسلمين وانتصرت عليهم كالتتار مثلاً، قد أسلموا ودخلوا في دين الله أفواجًا، في سابقة لعلها لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، فأنى للمنتصر أن يدخل في دين المهزوم، وأي شبهة إكراه ها هنا؟؟

٨- من نصوص الشرع ما يشهد على عدم الإكراه والإجبار في الدين كقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

قال السعدي في تفسيره لآية البقرة: «هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي وأنه لكمال براهينه واتضاح آياته وكونه هو دين العقل والعلم ودين الفطرة والحكمة ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد، فلكماله وقبول الفطر له - لا يحتاج إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب ويتنافى مع الحقيقة والحق أو لما تخفى براهينه وآياته، وإلا فمن جاءه هذا الدين ورده ولم يقبله فإنه لعناده؛ فإنه قد تبين الرشد من الغي فلم يبق لأحد عذر ولا حجة إذا رده ولم يقبله»(١).

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٢).

٢- ولماذا شرع الجهاد في الإسلام؟ أليس لإجبار الناس على اعتناق الإسلام؟

كلا ليس للإجبار وإنما الغاية هي تطهير الأرض من أجواء الفتن حتى يتم تعبيد الناس لله رب العالمين وحده، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وإقامة توحيد الله في أرض الله، بين عباد الله، وإرجاع البشر إلى أصل فطرتهم وهي الإسلام لله تعالى الذي يخلّص البشرَ من كل عبودية مذلة لغيره.

لذلك قال ربعي بن عامر لرستم ملك الفرس يوضح سبب جهاد المسلمين: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قَبِل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله»[(١)].

وهذا ما جاء به الحق في القرآن حيث قال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

قال ابن كثير: «أمر الله تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة: أي شرك، قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن اسلم، ويكون الدين لله: أي يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان»[(٢)].

وقال الطبري: «فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة «ويكون الدين كله لله»، يقول وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره»[(٣)].

فإذا أردت أن تعالج شعبًا من إدمان الخمر فلا بد أن تغلق الخمارات، وإذا أردت لإنسان أن يتوب من الزنى فلا تجعله يعيش بين بيوت الدعارة، وعندما تريد أن تجعل الناس أصحاء فيجب أن توفر لهم أجواء صحية نظيفة، والجهاد هو وسيلة تطهير الأرض من أدواء الشرك وتخليصها من أمراض الكفر وهذا معنى (حتى لا تكون فتنة).

فالجهاد في الإسلام ليس لإكراه الناس على الإسلام وإنما لإفساح الطريق لهم لأن

---

(١)البداية والنهاية (٥ / ١٠٧، ١٠٨).
(٢)تفسير ابن كثير (١ / ٣٤١).

يعبدوا الله ويتركوا الشرك من خلال توفير أجواء إيمانية لهم تساعدهم على التفريق بين الحق والباطل، وتوضح لهم الرشد من الغي؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

٣- ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ أليست هذه الآية منسوخة بآيات القتال، فلماذا تحتجون بها؟؟

الصحيح أن هذه الآية ليست منسوخة وإن ذكر بعض أهل العلم نسخها ولكن لا دليل على النسخ وقد ذكر القرطبي الأقوال في الموضوع ثم قال: «أما سائر أنواع الكفار متى بذلوا الجزية لم نكرههم على الإسلام سواء كانوا عربًا أم عجمًا قريشًا أو غيرهم»(١).

قال الطبري: «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس، وقال: عنى بقوله تعالى ذكره: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ أهل الكتابين والمجوس وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخًا.

وإنما قلنا: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لما قد دللنا عليه في كتابنا «كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام»: من أن الناسخ غير كائن ناسخًا إلا ما نفى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما، فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل..»(٢).

وقال السعدي: «ولا منافاة بين هذا المعنى وبين الآيات الكثيرة الموجبة للجهاد، فإن الله أمر بالقتال ليكون الدين كله لله ولدفع اعتداء المعتدين على الدين، وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماض مع البر والفاجر وأنه من الفروض المستمرة الجهاد القولي الفعلي، فمن ظن من المفسرين أن هذه الآية تنافي آيات الجهاد فجزم بأنها منسوخة - فقوله ضعيف لفظًا ومعنى كما هو واضح بين لمن تدبر الآية الكريمة»(٣).

٤- هل معنى ذلك أنكم تزعمون أن الإسلام يقبل جميع الأديان ولا يحاربها؟ هل يقبل الإسلام الآخر؟

أولاً: الدين الوحيد المقبول هو دين الإسلام لأنه الدين الذي يقبله الله، ونحن لا نقبل إلا ما يقبله الله؛ لأننا لا نفكر بطريقة هوائية مزاجية بل نتبع الشرع، وقد قال الله تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٢٠٨)

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٥).

(٣) تفسير السعدي (ص٩٢).

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

ثانيًا: الإسلام يحارب الكفر بكل أشكاله ولكن تختلف طريقة مواجهة هذا الكفر بحسب درجته:

– فمن كان عابد أصنام وأبقار أو ملحد لا يقر على دينه أبدًا، بل ندعوه سلميًا فإن لم يستجب يقاتل.

– ومن كان على بقايا دين صحيح كأهل الكتاب فهذا يقر على دينه إذا التزم بحكم الإسلام ودفع الجزية فله أن يبقى على دينه ويمارس شعائره بحرية، وليس معنى إقراره على دينه الاعتراف بصحته أوقبوله بل تركه يمارس شعائر دينه بحرية، مع دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة وإظهار الحق له والدعاء له بالهداية.

٥ – فما قولكم في حديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله**»[(١)] ألا يدل هذا على أنه ليس أمام الناس اختيار إلا الإسلام أو القتل؟؟

أولاً: هناك فرق بين القتال والقتل كما قال ابن حجر أن هناك من أخطأ في فهم الحديث لأنه «ذهل للفرق بين المقاتلة على الشيء والقتل عليه فان المقاتلة مفاعلة تقتضي الحصول من الجانبين فلا يلزم من إباحة المقاتلة على الصلاة (مثلاً) إباحة قتل الممتنع من فعلها إذا لم يقاتل.. والفرق بين المقاتلة على الشيء والقتل عليه ظاهر»[(٢)].

ثانيًا: الناس هنا ليس المقصود بهم جميع الخلق، بل كما قال الخطابي: «معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب»[(٣)]

فالمقصود ليس كل الناس وإنما أهل الأوثان فقط وهذا ليس مستغربًا في اللغة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾.

ثالثًا: حتى هنا بمعنى انتهاء الغاية وليس بمعنى كي، كما تقول سأعمل حتى تغرب

---

(١) أخرجه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٠٣)
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٢٠٦).

الشمس فأنت لا تقصد سأعمل كي تغرب، وإنما ينتهي عملك عند الغروب[1].

فمعنى الحديث أن القتال مستمر بين المسلمين وعبدة الأوثان وأمثالهم طالما لم يدخلوا إلى التوحيد.

٦- لكن الحديث يقول: «فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله»، أليس معنى ذلك أن الذي لم يقل: لا إله إلا الله فليس معصوم الدم أي يجب قتله؟

هذا استدلال غير صحيح، فما جاء في الحديث أن من يظهر الإسلام بقوله: لا إله إلا الله فإن هذا يقبل منه ويكون دمه ودينه معصومًا، حتى إن كان غير ذلك في الباطن ولذلك قال في نهاية الحديث «وحسابه على الله».

لكن الحديث لم يفصل في حكم من لم يشهد بالشهادتين فهؤلاء منهم من يعصم دمه كالمعاهد ومنهم من يباح دمه كالمقاتل المحارب للمسلمين.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»[2].

فهذا المعاهد لا يشهد الشهادتين ولكنه معصوم الدم.

ثم إن الحديث يتحدث من بدايته عن مقاتلة، والمقاتلة لا تتصور إلا من أناس مقاتلين وهؤلاء المحاربين لا تعصم دماؤهم.

٧- كيف يعطي الإنسان نفسه الحق أن يدين غيره؟ هل المسلم يعتبر نفسه هو الله على الأرض؟

في الحقيقة أننا لم نعط أنفسنا أي حقوق وإنما الذي كلفنا بهذه المهمة هو الله ﷻ مالك هذا الكون، والمسلم لا يعتبر نفسه الله على الأرض وإنما هو عبد الله ينفذ أوامر الله، ومن هذه الأوامر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكبر المنكر الشرك والكفر، وبهذا اكتسبت هذه الأمة الخيرية على كل الأمم.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ١٧٥)

(٢) البخاري (٦٤٠٣).

وقال: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

فالمسلمون بتوجيه رباني قد نذروا أرواحهم للقيام بتلك الوظيفة الربانية، ولم يدخروا جهدًا في تخليص الأنام - ما استطاعوا - من هذا الشرك.

فما أشبه حالهم بالطبيب الماهر الذي يعالج مريضًا مصابًا بداء عضال قد تمكن منه واستعصى على العلاج وما عاد قابلاً للأدوية كافة، بل إنه شرع في مهاجمة الأعضاء السليمة وينتظر انتشاره بطريقة سرطانية، فإن تركه أو تهاون في علاجه فتك بالجسد كله، فلم يعد أمامه إلا الجراحة حفاظًا على ذلك الجسد.

٨- وما تقولون في قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ أليس في هذا أمر بقتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأنتم تقولون أنه لا إكراه في الدين؟

أولاً: الآية تقول قاتلوا ولم تقل اقتلوا وقد بينا الفرق آنفًا.

ثانيًا: إن الإسلام يأمرنا بتبليغ الدعوة لغير المسلمين وإقامة الحجة عليهم، وأن يعرض لهم الإسلام في صورته الحقيقية بعيدًا عن التزييف والتحريف، وبعدها يكون لهم الخيار إما أن يسلموا ويدخلوا في دين الله الحق باختيارهم، أو يدفعوا الجزية إن كانوا من أهلها وعندها يقرون على دينهم ولا يقاتلون، بشرط ألا يحاربوا الدعوة ولا يمنعوا وصولها للناس، في صورة صحيحة مع توفير أجواء حرة آمنة ليؤمن من آمن عن بينة وبصيرة، فإن لم يقبلوا ذلك فالحرب هي اختيارهم هم قبل اختيارنا، وكان أحب إلينا إسلامهم ولكنهم ألجؤونا للقتال بإصرارهم على التمسك بالباطل، ومحاربة الحق، والتكبر في الأرض.

فليس في الآية قتل بل قتال، وليس في الآية إجبار على الإسلام بل هو تخيير بين خصال ثلاث هي الإسلام، أو الجزية أو القتال.

٩- ألا يعد دفع الجزية نوع من أنواع الإجبار؟ أليس العاجز عن دفع الجزية يكون مجبرا على دخول الإسلام حتى لا يقتل؟؟

الجزية هي مال تفرضه الدولة الإسلامية على القادرين فقط من أهل الذمة، ومقداره ليس كبيرًا يعجز عن دفعه، فقد فرضها النبي ﷺ على أهل اليمن «من كل حالم دينارًا»[1] أو ما يعادله.

(١) أخرجه النسائي (٢٤٠٧) والترمذي (٥٦٦) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٢٦٩).

١٠- وما مقدار الدينار؟

مقداره حوالي أربعة جرامات وربع من الذهب.

فلو افترضنا جرام الذهب بمائة وعشرين جنيهًا يكون مقدار الجزية خمسمائة وعشر جنيهات في السنة.(هذه القيمة مرتبطة بسعر الذهب مما يجعلها متناسبة مع كل زمان ومكان غالبًا).

١١- وما شروط من تؤخذ منه الجزية؟

من تؤخذ منه الجزية هو: البالغ – العاقل – الذكر- الحر- القادر ماليًا- ولا يكون من الرهبان المنقطعين للعبادة - والسالم من العاهات والأمراض المزمنة[١].

لأن الجزية لا تؤخذ ممّن لم يكن من أهل القتال: كالأعمى والزّمن والمفلوج والشّيخ الكبير الفاني: سواء أكان موسرًا أم غير موسر، ولأنّ الجزية تؤخذ ممّن أبيح قتله من الحربيّين، وهؤلاء لا يقتلون.

ومن عجز عن الدفع ممن كان من أهل الجزية، فإن الجزية تسقط عنه، ليس ذلك فقط؛ بل ويعطى مالاً من بيت مال المسلمين، وينفق عليه وعلى عياله ما دام في بلاد المسلمين.

ومما يدل على ذلك ما جاء في كتاب الصّلح بين خالد بن الوليد وأهل الحيرة: «وجعلتُ لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدّقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الإسلام»[٢].

١٢- ولماذا تؤخذ الجزية طالما أن قيمتها قليلة؟ وما الهدف منها؟

تؤخذ الجزية لأسباب منها:

١ – إظهار سيادة الدولة الإسلامية وخضوع أهل الذمة لها.

٢ – مقابل الخدمات التي تقدمها الدولة لهم فهي إحدى موارد الدولة.

٣–لعدم اشتراكهم في القتال والدفاع عن البلاد.

٤– قال القرافيّ: «إنّ قاعدة الجزية من باب التزام المفسدة الدّنيا لدفع المفسدة العليا وتوقّع المصلحة، وذلك هو شأن القواعد الشّرعيّة، بيانه: أنّ الكافر إذا قتل انسدّ عليه باب الإيمان، وباب مقام سعادة الإيمان، وتحتّم عليه الكفر والخلود في النّار، وغضب الدّيّان، فشرع الله

---

(١) الموسوعة الفقهية (١٥/ ١٢٧).

الجزية رجاء أن يسلم في مستقبل الأزمان، لا سيّما باطّلاعه على محاسن الإسلام»[١].

وجدير بالذكر أن المسلم يدفع الزكاة التي قد تفوق الجزية قيمة، فالمسلم الذي يملك مائة دينار فقط يدفع عليها دينارين ونصف في السنة في حين يدفع المعاهد دينارًا واحدًا.

١٣- وما معنى (وهم صاغرون)؟ أليس معناها الإذلال والتعذيب والإهانة؟

صاغرون معناها خاضعون أو كارهون، أي في وضع ذليل لا عزيز، وليس المقصود تعمد إذلالهم بسب أو تعذيب وإنما يكون الصغار بشعورهم بالخضوع للدولة الإسلامية.

قال الشّافعيّ في الأمّ: «إن أخذ الجزية منهم أخذها بأجمال، ولم يضرّ أحد منهم ولم ينله بقول قبيح، قالوا: وأشدّ الصّغار على المرء أن يحكم عليه بما لا يعتقده ويضطرّ إلى احتماله»[٢].

وقد ذكر جملة من العلماء أنّ أهل الذّمّة لا يعذّبون في أخذ الجزية.

قال ابن القيم في تعريف معنى الصغار: «وقالت طائفة أن يأتي بها بنفسه ماشيًا لا راكبًا ويطال وقوفه عند إتيانه بها ويجر إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف ثم تجر يده ويمتهن، **وهذا كله مما لا دليل عليه ولا هو مقتضى الآية ولا نقل عن رسول الله ولا عن الصحابة أنهم** فعلوا ذلك، والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم وإعطاء الجزية فإن التزام ذلك هو الصغار»[٣].

١٤- ولماذا يفرض المسلمون الصغار على أعدائهم؟

إن الحكمة في إشعارهم بهذا الخضوع والصغار هو كما قال إلكيا الهرّاسي في أحكام القرآن: أنها «متى أخذت على هذا الوجه كان أقرب إلى أن لا يثبتوا على الكفر لما يتداخلهم من الأنفة والعار، وما كان أقرب إلى الإقلاع عن الكفر فهو أصلح في الحكمة وأولى بوضع الشّرع»[٤].

وقال الخطّاب: «الحكمة في وضع الجزية أنّ الذّلّ الذي يلحقهم يحملهم على الدّخول في الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الاطّلاع على محاسن الإسلام»[٥].

---

(١) الموسوعة الفقهية (١٥/ ١٢٩).
(٢) الأم (٥/ ٢٠٨).
(٣) أحكام أهل الذمة (ص ١٢٠).
(٤) أحكام القرآن (٣/ ٧٧).
(٥) الموسوعة الفقهية (١٥/ ١٣٢).

أمر آخر وهو حتى لا يتكبر الذمي على المسلم ويظن أنه يمن عليه فلما كانت يد المعطي العليا ويد الآخذ السفلى، احترز الشرع أن يكون الأمر كذلك في الجزية وأخذوها على وجه تكون يد المعطي السفلى ويد الآخذ العليا[(١)].

١٥- إذا كان الإسلام يحارب ما يراه كفرا فهل هذا معناه أنه لا يقر حرية العقيدة؟

لا شك إن غاية الجهاد العظمى هي إقامة التوحيد وجعل كلمة الله هي العليا، والقضاء على الشرك وتطهير الأرض من الكفر سواء قبل الناس ذلك أو لم يقبلوه.

فلو أن إنسانًا أخذ على عاتقه مسئولية تحرير الناس من الظلم، أو القضاء على الفواحش وسوء الأخلاق وبذل في ذلك دمه وروحه لعدّه الناس بطلاً عظيمًا، فأي ظلم أشد على البشرية من الشرك بالله وأي ذنب أعظم من الكفر؟ وأي شرف أسمى من محاربة الكفر والشرك وإقامة المجتمع على أسس من العدل والإيمان والتوحيد؟

نعم إن الإسلام كما أنه لا يقبل ممارسة الإباحية والفجور باسم الحرية الشخصية فإنه من باب أولى لا يقر الكفر والشرك تحت شعار حرية الاعتقاد، ولا يسمح بأجواء تدعو للشرك وتجهر بالكفر وتكون فتنة للناس في دينهم، فمن كفر في خاصة نفسه فحسابه عند من اطلع على ما تخفي الصدور.

وإننا نشاهد في واقعنا وثنيات فاجرة تعظم عبادة الأحجار والأشجار والأبقار والكواكب والنجوم، وإلحادًا يسب الله ورسله، ويسخر من أنبياء الله ويجاهر بالطعن فيهم، ويحتقر الأديان ويعدها دربًا من الخرافات والأساطير.

وكل ذلك ما هو إلا إفراز منطقي لدعاوى حرية الاعتقاد والفكر، وما كان الإسلام بشريعته الكاملة المطهرة ليذر الناس يعيشون في هذه الأجواء الممتلئة بأوبئة الضلال الفاتكة الفاتنة، فلا بد من توفير أجواء صحية يتبين فيها الرشد من الغي، ويتميز فيها الحق من الباطل، أجواء طاهرة لا تنشر الكفر والإلحاد، ولا تشيع الفواحش والضلالات، ولا يؤذى فيها أهل الحق، أو يضلل فيها الغافلون ويغرقون في بحور الهلاك.

إن القول بالحرية المطلقة في العقيدة هي نظرة دنيوية من جهة، وأنانية من جهة أخرى: فهي

---

(١) أحكام أهل الذمة (ص١٢٠)، وانظر تفسير الطبري (٦/ ١٤٢).

دنيوية لأنها تهتم فقط بالتعايش السلمي في الدنيا بصرف النظر عن المصير الأخروي، وأنانية لأنها تدعو لترك الكافر على كفره حتى يلقى مصيره المؤلم، ولا تفكر من إنقاذه من هذا المصير.

١٦- هل معنى ذلك أن الإسلام دين ضعيف يحتاج القوة بشرية لدعوة؟

الإسلام دين واقعي يسلك كل الطرق المناسبة لإنقاذ الناس ولا يتشدق بفلسفات خيالية، والإسلام هو الأبلغ حجة والأقوى أدلة وتأثيراً وكم من مناظرة انتصر فيها المسلمون باكتساح لقوة ما يحملون من حق(١).

فالدعوة بالحسنى هي السبيل الأصيل لإبلاغ الحق، ومعظم المسلمين دخلوا الإسلام بلا حرب ولا قتال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

فالدعوة في الإسلام مقدمة على القتال والدليل على ذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما قاتل رسول الله ﷺ قومًا قط إلا دعاهم»(٢).

لكن الكثير من البشر يسقطون في حبائل الشيطان إذا لم يجدوا ما يردعهم، فالضعف من جهة هؤلاء الناس لا من جهة الدين.

فهل يكفي مثلاً أن تعظ الناس بعدم السرقة وتوضح لهم حرمتها ثم تفتح الأبواب على مصاريعها للسرقات بلا عقوبة؟ هل يكفي القانون وحده أم لا بد من قوة لتنفيذه؟

من أجل ذلك كان لا بد للحق من قوة تدعمه، وتدحض الباطل وتدمغه، لا سيما بعد أن توفي الدعوة دورها، وتقام الحجة والبينة على جميع الخلق.

أمر آخر وهو أن هذه المعركة كما فرضت على المسلمين بالسنن الشرعية والأوامر الدينية التعبدية، فإنها فرضت على عباد الله الصالحين في كل زمان ومكان بالسنن الكونية والأوامر القدرية، فحرب الشرك والكفران ومقارعة الضلال والبطلان ضرورة فرضها الله على المؤمنين منذ خلق الإنسان بإرادته الشرعية والكونية، فإن قصّر المؤمنون في أداء هذا الواجب شرعًا، ألجأتهم الوقائع إلى القيام بها دفاعًا عن معتقداتهم وأنفسهم، لأن أهل الباطل لن يتركوا أهل الحق في أمان، وسيشنون عليهم الحروب متتابعة، قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ

---

(١) على سبيل المثال مناظرات الأستاذ أحمد ديدات والشيخ جميل غازي وهي موجودة مسجلة.

تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾. [الأنفال: ٧٣]، وهذا ما تشهد به وقائع التاريخ، وحسبك النظر في الواقع لترى ماذا حدث للمسلمين بسبب تركهم للجهاد الآن.

١٧- هل تقبلون أن تعاملوا بالمثل؟ ولماذا لا تضعون أنفسكم في موضع الآخرين؟ ألستم تنعمون بالحرية في بلاد الكفار في الغرب؟

نحن لا نأخذ شريعتنا بأسلوب رد الفعل، ولا نضع أنفسنا في موضع غيرنا لأسباب منها:

١- أننا ملتزمون بشرع الله الذي يحكمنا.

٢- أن المؤمن بالله لا يستوي مع الكافر، فكيف نضع أنفسنا موضع الكفار؟

٣- إن كنا نحارب الكفر فكيف نفسح له المجال؟ إن هذا يوقعنا في التناقض.

٤- نحن حريصون على إظهار كفر الكافر وانحرافه بالحجة والبرهان قبل السيف.

٥- أننا لا نسمح بتغرير الناس وخداعهم وجرهم للأكاذيب والضلالات.

٦- ألم تحارب فرنسا الحجاب ومنعت بناتنا منه؟ ألم يسخر من نبينا في الدنمارك وبلجيكا باسم الحرية؟ ألم يتطاول بابا الفاتيكان الفاجر على رسولنا وديننا؟ ألا تشن تلك القوات الكافرة الحروب على المسلمين في الشيشان والعراق وأفغانستان وغيرها من بلاد المسلمين؟ ألم تنتهك الدماء والأعراض في البوسنة والهرسك وكوسوفا على يد تلك القوات الصليبية؟

فأي حرية هذه التي تزعمون؟ وأي شعارات زائفة حولها تدندنون؟

١٨- هل تستطيعون الجهر بهذه الأحكام والمعتقدات في أمريكا وأوربا؟

أولاً: نحن نفخر بكل صغيرة وكبيرة في ديننا وليس لدينا ما نخجل منه.

ثانيًا: نحن نقدم دعوتنا لديننا لكل الناس والإسلام هو الأكثر انتشارًا في العالم.

ثالثًا: دعوة الإسلام علنية لكل الناس فليس لدينا أسرار كالأسرار الكنسية مثلاً التي تكون حكرًا على أناس بأعينهم.

رابعًا: أمريكا وأوربا ليسوا حجة علينا ولا قدوة لنا، بل نتبع كلام الله الذي يأمر بالعدل والإحسان والبر، أما أمريكا وأوربا فقوانينهم أباحت الشذوذ والزنى والدعارة المقننة، والزنوج ضجوا من عنصرية الأمريكان الذين امتلأ تاريخهم بالدموية والجرائم الوحشية، وما خبر ما ارتكبوه من جرائم في حق الهنود الحمر عنا ببعيد، ناهيك عن قتلهم شعوبًا وأبرياء بأسلحة الدمار الشامل والأسلحة النووية والقنابل الذرية.

١٩- وكيف يحتل المسلمون الأرض ليفرضوا على أصحابها أحكامهم؟ هل يبيح الإسلام سلب أراضي الآخرين؟؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فالأرض ملك لله، وملك العباد لها ملك مؤقت ليس دائمًا، والله هو الذي ينزع الملك ممن يشاء ويؤتي الملك من يشاء، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ثم أي مصلحة تلك في ترك الكفار يحكمون بلادهم ويضللون رعيتهم بحجة ترك أرضهم لهم؟ وهل من مصلحة الكافر أن تتركه يعيش على أرضه في الدنيا ثم يعذب في الآخرة عذابًا أبديًا؟ ما أشبه حال هؤلاء المدّعون بشخص كاد يسقط من الدور العاشر فأمسكته من قميصه بقوة فأنقذته من الموت، فقال لك: لماذا مزقت قميصي؟؟ أنا لم آذن لك أن تنقذني ولا أن تمسك قميصي.

٢٠- إن سيرة النبي الكريم محمد ﷺ ليس فيها إلا الغزوات والقتال، وليس فيها دعوة للمحبة والإقناع والدعوة السلمية وهذا يدل على أنكم لا تفضلون الأحكام السلمية.

هذه مقدمة غير صحيحة، ويظهر منها أن قائلها جاهل لم يطلع على السيرة النبوية ولم يقرأ كتابًا معتمدًا فيها وإنما يردد الأكاذيب التي لفقها أعداء الدين.

فعمر الدعوة ثلاث وعشرون سنة منها ثلاثة عشر سنة في مكة بلا قتال، وكذلك دخل الإسلام المدينة بدون أي قتال، وفي المدينة كانت الدعوة السلمية مستمرة إلى آخر وقت، من خلال: الدعوة المباشرة لمن في المدينة وما حولها، ومن خلال الرسائل والبعوث التي كان يرسلها النبي ﷺ للملوك والأمراء يدعوهم فيها للإسلام، وقد حضرت الكثير من الوفود إلى النبي ﷺ لتعلن دخولها في الإسلام طواعية.

أما الحروب فهي إما كانت دفاعية ردًّا لاعتداء الكفار، وإما كانت من جهاد الطلب وهذا يسبقه دعوة كما وضحنا.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه»، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى وغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: أين علي: فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء،

فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا.

فقال: «على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»(١).

والآيات الدالة على الدعوة السلمية كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ ﴾.

٢١- هل يدعو الإسلام للإرهاب؟ ألا يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

يجب أن نحدد أولاً المقصود من الإرهاب كمصطلح حتى يمكننا أن نحدد موقف الإسلام منه، فالإرهاب في الاصطلاح يطلق على قسمين:

القسم الأول: مذموم ويحرم فعله وممارسته وهو من كبائر الذنوب ويستحق مرتكبه العقوبة والذم وهو يكون على مستوى الدول والجماعات والأفراد وحقيقته الاعتداء على الآمنين والأبرياء بالسطو من قبل دول مجرمة أو عصابات أو أفراد بسلب الأموال والممتلكات والاعتداء على الحرمات وإخافة الطرق وترويع الآمنين واستباحة حرمتهم بغير حق، ولا شك أن الإسلام يجرم هذا الفعل ولا يقبله بأي حال، بل إنه يرتب عليه أشد العقوبات.

فعلى سبيل المثال فإن إخافة الطريق جريمة عظمى يعاقب صاحبها بإقامة حد الحرابة عليه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[المائدة: ٣٣].

قال الطبري: «وهذا بيان من الله عز ذكره عن حكم الفساد في الأرض.. فقال تبارك وتعالى: لا جزاء له في الدنيا إلا القتل والصلب وقطع اليد والرجل من خلاف أو النفي من

---

(١) البخاري (٢٧٢٤)، ومسلم (٤٤٢٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

الأرض خزيًا لهم، وأما في الآخرة إن لم يتب في الدنيا فعذاب عظيم»[١].

والإسلام يحرم الاعتداء على الآمنين الذين لا يشتركون في القتال عادة كالنساء والأطفال والشيوخ والرهبان والفلاحين، كما يحرم القتل بغير حق وينهى عن سفك الدماء ويجعله من أكبر الكبائر، قال الله ﷻ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢].

وحرم الإسلام قتل المعاهدين ورتب عليه عقوبة عظيمة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»[٢].

القسم الثاني: إرهاب مشروع، شرعه الله لنا وأمرنا به وهو إعداد القوة والتأهب لمقاومة أعداء الله ورسوله وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[الأنفال: ٦٠].

فهذه الآيات تأمر بإعداد القوة اللازمة لمواجهة الأعداء وردعهم عن الاعتداء على المسلمين، والرباط صيغة مفاعلة أتي بها هنا للمبالغة لتدل على قصد الكثرة من ربط الخيل للغزو أي احتباسها وربطها انتظارًا للغزو عليها.

فالقوة في الآية لصد العدوان لا للعدوان، والإرهاب في الآية المقصود منه إرهاب الكفار وإخافتهم وردعهم عن الطمع في غزو بلاد المسلمين واستباحة محرماتهم.

ومما يؤيد هذا المعنى أن الآية التي تلي هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الأنفال: ٦١].

وليت شعري أيهم أولى بوصف الإرهاب: الذين شهدت سيرتهم بأنهم يعفون عن أعدائهم حين يتملكون منهم (كما في فتح مكة)، ويمتنعون عن قتل المستضعفين من الولدان والنساء

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٢٧٩).
(٢) البخاري (٣٠١٦٦).

والشيوخ والرهبان والأجراء، ويلتزمون بعدم قتال من لا يقاتل، والذين عصموا دماء المعاهدين والأبرياء، وأحسنوا معاملة أسراهم، منفذين أوامر ربهم ومتبعين تعاليم شرعهم.

أم الذين اخترعوا القنابل الذرية وأسلحة الدمار الشامل فقتلوا الملايين من الأبرياء، ولم تشفق أسلحتهم على طفل رضيع، أو امرأة ضعيفة، أو شيخ واهن، فهدموا البيوت على رؤوس أصحابها، وأظهروا الفساد في البر والبحر لسنوات عديدة.

فهل كان أصحاب مذابح الحملات الصليبية مسلمين؟

وهل كان أصحاب محاكم التفتيش من المسلمين؟

وهل كان النازيون العنصريون الذين استباحوا قتل الشعوب وإبادتهم من المسلمين؟

إن كل عاقل منصف ليشهد أن الإسلام قدم أمثلة من العدالة والصفح وعدم الاعتداء لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، والنصوص الشرعية والسيرة النبوية والوقائع التاريخية والمشاهد الواقعية كلها شاهدة على ذلك، ولكنها مزاعم ساقها الحقد وحادها البغي والإفك وإنها لا تعمى الأبصار وإنما تعمى القلوب التي في الصدور.

وإن حدث من بعض المسلمين مخالفات لهذا الهدي وخروج عن هذا المنهج لفهم مغلوط لبعض النصوص أو تأول أو جهل أو لشهوة وهوى، فهل من العدل أن يحكم على الدين وأهله بهذه الممارسات؟ وهل أفعال المنحرفين من أي جماعة أو ديانة تكون حجة على جميع المنتسبين إليه؟

إن الحجة القاطعة الملزمة لهذه الأمة هي كتاب الله وسنة وسيرة رسوله المعصوم ﷺ، فمن خالفها ففعله ينسب لشخصه، وإثمه يكون على نفسه.

وإن كنا نؤكد أن هؤلاء المنحرفين ـ مع كون أفعالهم ليست بحجة ـ فهم كذلك شذوذ نادر لا يشكلون ظاهرة في تاريخ المسلمين، وأنه عند دراسة التاريخ سيثبت لكل منصف أن هذه الأمة هي الأحق دومًا باعتلاء قمة الأخلاق في الحروب، وأنها الأبعد عن وصف الإرهاب الذميم الذي يحاول الأعداء إلصاقه بها على طريقة رمتني بدائها وانسلت.

٢٢- يزعم أعداء الإسلام أن الحروب الإسلامية قامت لتحصيل المكاسب المادية وحصد الغنائم وأخذ الجزية والخراج فقط، ولم تكن من أجل هداية الناس وإنقاذهم من الشرك والكفر، فما الرد على ذلك؟

١ - الجهاد في الإسلام مرتبط بكونه في سبيل الله فهو عبادة وأساس العبادة الإخلاص، ومن يقاتل للمغنم فقط فإنه يعرض عبادته للبطلان.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»**[(١)].

٢- الجهاد في الإسلام لا يقتصر على الجهاد بالنفس، بل من أعظم الجهاد أن يجاهد المرء بماله في سبيل الله، ومن المسلّم أن الذي ينفق ماله ويضحي به في جهاد لا يكون بذلك راغبًا في دنيا وربح مادي محض.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

وقد عاب الله ﷻ على الرجال الذين عصوا أوامر النبي ﷺ من الرماة في غزوة أحد، وأوضح أن أحد أهم أسباب الهزيمة في أحد أن من بين الجيش من يريد الدنيا.

قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾**[آل عمران: ١٥٢].

﴿مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الذين أرادوا الغنيمة رغبة في الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: الذي جاهدوا في الله ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة فيها رجاء ما عند الله من حسن ثوابه في الآخرة[(٢)].

قال ابن مسعود: «ما علمنا أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ»[(٣)].

فالغاية المستقرة في حسّ الجميع الراسخة في أذهانهم المنبعثة من قلوبهم المستمدة من الوحي الكريم هي أن الجهاد عبادة الأصل فيها التقرب إلى الله وطلب الثواب الأخروي.

---

(١) البخاري (٢٥٩٩)، ومسلم (٣٥٢٤).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٧٣).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٧٤).

والممارسات التطبيقية أيضًا شاهدة بذلك، فقد كان رسول الله ﷺ يبذل للناس أموالاً طائلة ليؤلف قلوبهم ويرغبهم في الإسلام.

فعن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه إياه فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمدًا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر.

فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها(١).

وهذا مصرف من مصارف الزكاة والصدقات وهو مصرف المؤلفة قلوبهم، الذين تنفق الأموال لتقريبهم من الحق حتى يذوقوه فيعلموا حقيقته فيستقر في قلوبهم.

فهل هذا سلوك من يطلب المغنم المادي والربح الدنيوي ويقدمه على الغاية العظمى للجهاد؟!

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: **«لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه»** فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى فقال أين علي؟ فقيل يشتكي عينيه فأمر فدعي له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء.

فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا.

فقال ﷺ: **«على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»**(٢).

فانظر بأي شيء ينصح النبي ﷺ أحد قادته قبيل المعركة، وانظر كيف جعل هداية رجل واحد أفضل من حمر النعم وهي أحب الأموال إلى قلوبهم يومئذ.

فهل بعد هذا يقال إن الجهاد وسيلة لتحصيل المكسب والربح الدنيوي؟

إن التاريخ لم يسجل قط أن المسلمين قد استباحوا بيوت أعدائهم أو قاموا بعمليات نهب وسلب منظمة، أو قصدوا الأماكن المليئة بالأموال الغنية بالثروات.

أما الجزية والخراج فليس الهدف المباشر من فرضها هو تحقيق الربح المادي وإنما إعلان الإذعان الكامل لسلطان الدولة الإسلامية، والانضواء تحت حكمها.

---

(١) صحيح مسلم (٤٢٧٦).

(٢) البخاري (٢٧٢٤) مسلم (٤٤٢٣).

ثم إن الجزية هي اختيار من يدفعها، فقد كان مخيرًا بين الإسلام الذي يعصم دمه وماله وبين الجزية، وإسلامه أحب إلينا من جزيته ولكنه أصر على الكفر وفضل دفع الجزية على الإسلام لله ﷻ، والجزية لا تفرض إلا على القادر علي الكسب من أهل القتال، فلا تفرض على عبد ولا راهب متعبد في صومعته، ولا على شيخ هرم ولا مريض زمن أو أعمى ولا امرأة ولا صبي لم يبلغ، فلا بد أن يكون بالغًا عاقلاً قادرًا على الاكتساب، كما ذكرنا آنفًا.

والجزية تتناسب مع القدرة المالية لمن تفرض عليه، بحيث تتلاءم مع مقدار كسبه وقدرته بدون أن تشكل إرهاقًا عليه، فإن عجز السداد لعجز أصابه أو عاهة أو فقر تسقط عنه الجزية.

وأما الخراج فيدفع في مقابل احتفاظ صاحب الأرض بأرضه، رغم أن كل الأعراف كانت تحكم بحق الدولة المنتصرة بالاستيلاء على أرض الدولة المغلوبة إلا أن المسلمين استحدثوا هذا النظام الذي طار به فرحًا أصحاب الأراضي الذين سينعمون بأرضهم وثمارهم مقابل جزء يسير يدفعونه للدولة المنتصرة.

فهل هذا منهج من أراد تحصيل المال؟

إن كان الإسلام حقًا - كما يزعم الكاذبون - يريد تحصيل المال، ألم يكن من الأولى ألا يقبل من المحاربين إسلامهم وأن يستبيح أموالهم وأن يستولي على كل أراضيهم وديارهم وما يملكون؟؟

٢٣- يزعم أعداء الدين أن الإسلام يدعو إلى قتل الأسرى وتعذيبهم واستدلوا بقول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٧]، فما الرد على ذلك؟

أما قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[الأنفال: ٦٧].

فقال فيه حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله ﷻ بعد هذا في الأسارى: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[محمد: ٤]»[1].

ولكي نفهم منهج الإسلام في التعامل مع الأسرى سنلخصه فيما يلي:

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٤٨).

أولاً: كلمة أسرى تطلق في الإسلام على الأعداء المحاربين الذين أظهروا العداوة للإسلام وصمموا على محاربته بالعمل، فسقطوا في أيدي المجاهدين المسلمين.

وبهذا يدخل كل من يحمل السلاح ضد الإسلام، وهو قادر على الحرب، سواء أكان جندياً أصلياً، أو متطوعاً، أو مرتزقاً، أو جاسوساً، ولا يعد الأطفال والشيوخ والنساء، والرهبان والفلاحين ومطلق العجزة، من الأسرى لأن لهم معاملة خاصة، إلا إذا اشتركوا في القتال، وأعانوا على المسلمين في الحرب.

ثانيًا: المتأمل في أحكام الشريعة الإسلامية في مسألة الأسرى، وحقوقهم وطبيعة التعامل معهم يلحظ بجلاء أن الإسلام يجنح باستمرار إلى تغليب الجانب الإنساني في معاملة الأسرى.

والأهم من ذلك أن الإسلام جعل معاملة الأسرى خاضعة لنظام إلهي محكم وتشريع رباني مدون، لا يجوز بأي حال من الأحوال تجاوزه أو التعدي عليه مهما كانت الضغوط النفسية المتولدة في حالات الحروب، ومهما كانت دوافع الانتقام والثأر تشتعل في النفوس؛ لأن أحكام الله لا يجوز أن يعتديها أحد.

من المعلوم أن الأسرى يقعون في أيدي أعدائهم كما تقع الغنائم في أيدي المحاربين، ولكن الحقيقة التي يجب ألا تغيب أن الأصل في الإنسان الحرية، ولأجل ذلك قرر الإسلام بسماحته وعدله أنه لا يجوز أسر كل من تقع عليه أيدي المسلمين من الكافرين، وإنما يكون ذلك فقط حيث تكون الحرب وحيث يكون المحاربون.

ثالثًا: وضع فقهاء الإسلام - استنادًا لنصوص الشرع - أوصافاً لمن يجوز أسره، وشروطاً لوقوع الأسر حتى أصبح له نظام وحدود معروفة ومدونة في الشريعة الإسلامية قبل أن يعرفها القانون الدولي الحديث بقرون.

رابعًا: وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة تحث على معاملة الأسير معاملة حسنة تليق به كإنسان، وتأمر بدعوته بالمعروف، ومن هذه النصوص ما يلي:

- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ قل لمن في يديك وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى

قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾ يقول: إن يعلم الله في قلوبكم إسلامًا ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ يقول: ويصفح لكم من عقوبة جرمكم الذي اجترمتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه وكفركم بالله ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده إذا تابوا ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة»[١].

فإذا كان المولى سبحانه يَعِد الأسرى الذين في قلوبهم خير بالعفو والمغفرة، فإن المسلمين لا يملكون بعد هذا إلا معاملتهم بأقصى درجة ممكنة من الرحمة والإنسانية.

- قوله الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]

قال قتادة: «لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك»[٢].

«وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين.

ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء»[٣].

لقد قرر الإسلام بسماحته أنه يجب على المسلمين إطعام الأسير وعدم تجويعه، وأن يكون الطعام مماثلاً في الجودة والكمية لطعام المسلمين، أو أفضل منه إذا كان ذلك ممكناً، استجابة لأمر الله تعالى في الآية السابقة.

وروى الطبري في تاريخه عن محمد بن إسحاق قال: «حدثني نبيه بن وهب أخو بني عبدالدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرّقهم في أصحابه وقال: «استوصوا بالأسارى خيرًا».

قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحني بها، قال: فأستحي فأردها على أحدهم فيردها علي ما يمسها»[٤].

---

(١) تفسير الطبري، جامع البيان (١٢/ ٦٣).
(٢) تفسير الطبري، جامع البيان (٢٨/ ٢٦٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٧١٣).
(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٣٩) وقال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن.

وكان الخبز عندهم أنفس من التمر، لندرة القمح وكثرة التمر، فلهذا كان إيثار الأسير بالخبز من باب الإكرام والحفاوة.

كما قرر الإسلام بسماحته وعدله ورحمته أنه يجب معاملة الأسير بالحسنى وعدم إهانته أو إذلاله حتى في حالة الحكم عليه بالإعدام فإنه لا يجوز تعذيبه.

قال الكاساني: «وإذا عزم المسلمون على قتل الأسارى فلا ينبغي أن يعذبوهم بالجوع والعطش وغير ذلك من أنواع التعذيب؛ لأن ذلك تعذيب من غير فائدة، وقد روي أن رسول الله ﷺ قال في بني قريظة: «**لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح**»[1]. وفي زيادة عند الواقدي «**قيّلوهم حتى يبردوا**»[2].

ومن الفضائل العظيمة التي قررها الإسلام كسوة الأسير كسوة لائقة به تقيه حر الصيف وبرد الشتاء.

فقد أخرج البخاري في الصحيح عن جابر رضي الله عنه أنه لما كان يوم بدر أتي بالأسارى، وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر رسول الله ﷺ فوجد قميص عبد الله بن أبي بن الحارث يقدر عليه فكساه إياه، كما ورد أنه ﷺ كسا بعض الأسارى من ملابسه[3].

خامسًا: هدي رسول الله ﷺ مع الأسرى يلخصه ابن القيم في زاد المعاد بقوله: «كان يمن على بعضهم ويقتل بعضهم ويفادي بعضهم بالمال وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة ففادى أسارى بدر بمال وقال: **لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له.**

وهبط عليه في صلح الحديبية ثمانون متسلحون يريدون غرته فأسرهم ثم منّ عليهم، وأسر ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة فربطه بسارية المسجد ثم أطلقه فأسلم...»[4].

وعند استقراء أحكام الأسرى التي وقعت في غزوات الرسول ﷺ، والسرايا التي قام بها أصحابه نجد أن مصير الأسرى حدد في أمور كالفداء والمن والقتل والاسترقاق وضرب الجزية عليهم.

---

(١) بدائع الصنائع، للكاساني، (٦/ ٩٢).

(٢) المغازي للواقدي (٢/ ٥١٤).

(٣) البخاري (٢٧٨٦).

(٤) زاد المعاد (٣/ ١٠٩-١١١).

لكن غالب وقائع السيرة آل فيها مصير الأسرى إلى أحد أمرين، أحدهما العفو والمنّ، والآخر الفداء، وقد أكد عليهما العلماء، كما ورد في الآية الكريمة التي تحكم الوضع الشرعي للأسرى غير المسلمين في دولة الإسلام ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[محمد: ٤].

وإن هذا هو الغالب من وقائع السيرة إلا أن الراجح من أقوال العلماء أن الخيار للإمام يختار ما يراه الأصلح والأفضل.

قال ابن رشد: «وأكثر العلماء على أن الإمام مخير في الأسارى في خصال: منها أن يمن عليهم ومنها أن يستعبدهم ومنها أن يقتلهم ومنها أن يأخذ منهم الفداء ومنها أن يضرب عليهم الجزية»[(١)].

وعلى هذا يكون مصير الأسير هو واحد مما يلي يختار الإمام الأصلح منها:

أما الأول فهو العفو عن الأسير وإطلاق سراحه مجاناً دون مقابل، وقد حكم به الرسول الكريم ﷺ في كثير من غزواته، كما هو مدون في سيرته ﷺ، ولا غرو في ذلك فإن الله سبحانه بدأ بالمن عندما قال: **«فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها»**، ومدح من يتصف بصفة العفو والصفح: **«وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم»**، وهكذا كان العفو هو الأول لأنه من شيمة المصطفى ﷺ، حتى إنه كان يطلق الأسير لسبب يسير، أو تدخل رجل من المؤمنين يطلب حرية الأسير، حتى إنه ﷺ كان سيعفو عن أسرى بدر لو تدخل المطعم بن عدي ليشفع فيهم ليطلق سراحهم، وهذا يدل دلالة أكيدة على ما للعفو من قيمة عظيمة.

وأما الثاني وهو فداء أسرى الحرب: فالأسير إما أن يفدي نفسه بالمال، كما وقع ذلك في أسرى غزوة بدر الكبرى، أو يفدى برجل مسلم أسير عند الكفار، ولم يقتصر الرسول ﷺ على الفداء بالمال والرجال، بل جعل الفداء بتعليم الأسير أولاد المسلمين الكتابة والقراءة، وهذه أسهل مهمة بالنسبة للأسير ولم يُسبق إليها رسول الله ﷺ.

وقد ذكر بعض العلماء أن القتل يعد خياراً ثالثاً، فقد ثبت أنّ رسول الله ﷺ قتل بعض الأسرى، منهم عقبة بن أبي معيط، وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وهم من أسرى بدر.

(١) بداية المجتهد (١/ ٥٠٦).

قال ابن رشد في بداية المجتهد: «وأكثر العلماء على أن الإمام مخير في الأسارى في خصال: منها أن يمن عليهم ومنها أن يستعبدهم ومنها أن يقتلهم..وقال قوم: لا يجوز قتل الأسير، وحكى الحسن بن محمد التميمي أنه إجماع الصحابة»[(١)].

والذي يترجح أنّ قتل الأسير لمجرّد أنه أسير غير جائز من جهة الأصل، لكنّه يصير جائزاً إذا وجد في أسير معيّن أسباب أخرى تبيح قتله، فهو عند ذلك يقتل لهذه الأسباب وليس للأسر.

ولعل هذا القول يفسّر كلّ الحوادث التي قضى فيها رسول الله ﷺ بقتل بعض الأسرى الذين أشبه ما يكونون بمجرمي حرب في المعاهدات الدولية الحديثة، لما ارتكبوه من جرائم في حق الأبرياء ولذلك وجب أن يقدّموا للمحاكمة، ويمكن أن يحكم عليهم بالقتل أوبعقوبة أخرى.

وإذا كانت المصلحة تقتضي عدم قتلهم، فلا يجوز في هذه الحال أن يحكم عليهم بالقتل، كما أنه إذا ارتبط المسلمون بمعاهدات دولية تمنع قتل الأسرى فيجب عليهم الوفاء بها، ولا يجوز في هذه الحالة قتل الأسير إلا إن ثبت أن قتله لجريمة أو سبب زائد عن مجرد كونه أسيرًا[(٢)].

وأما الاختيار الرابع فهو الجزية وأوجب بعض الفقهاء على الإمام قبول عقد الذمّة إذا طلبه الأسير، وحرموا قتله في هذه الحالة إن كان من أهل الذمة[(٣)].

وأما الخامس فهو أن يفرض الإمام الرق على هؤلاء الأسرى وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الاختيار.

٢٤- ولماذا قتل النبي ﷺ أبا عزة الجمحي؟

أبو عزّة الجمحي استحقّ القتل لأنه عاهد ونقض العهد، فقد منّ عليه رسول الله ﷺ وعفا عنه واشترط عليه ألا يحارب المسلمين مرة أخرى، ولكنه نقض عهده واشترك في القتال مرة أخرى، ولذلك حكم عليه بالقتل.

جاء في سنن البيهقي عن عبد الله بن المبارك عن محمد بن إسحاق قال: «كان أبو عزة الجمحي أسر يوم بدر فقال للنبي ﷺ يا محمد إني ذو بنات وحاجة وليس بمكة أحد يفديني وقد عرفت حاجتي، فحقن النبي ﷺ دمه وأعتقه وخلى سبيله فعاهده أن لا يعين عليه بيد ولا لسان وامتدح النبي ﷺ حين عفا عنه فذكر الشعر.

ثم ذكر قصته مع صفوان بن أمية الجمحي وإشارة صفوان عليه بالخروج معه في حرب أحد، وتكفله ببناته وإنه لم يزل به حتى أطاعه فخرج في الأحابيش من بني كنانة.

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد، (١/ ٥٠٦).
(٢) انظر: الأسرى في الإسلام لفيصل مولوي، والجهاد والقتال: لمحمد هيكل (٣/ ١٥٤٣).
(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الخطيب الشربيني (٤/ ٢٢٧).

قال: فأسر أبو عزة يوم أحد فلما أتي به النبي ﷺ قال: أنعم علي خل سبيلي، فقال له النبي ﷺ: لا يتحدث أهل مكة إنك لعبت بمحمد مرتين فأمر بقتله»[١].

٣٥- ولماذا قتل النبي ﷺ يهود بني قريظة؟

أسرى بني قريظة استحقوا القتل لأنهم عاهدوا المسلمين على القتال معهم ضدّ كلّ عدو خارجي، فلمّا جاء المشركون وحاصروا المدينة في غزوة الأحزاب نقضوا عهدهم وانضمّوا إليهم، وقد كان هذا الغدر كفيلاً بالقضاء على الإسلام وإبادة المسلمين لولا أنّ رعاية الله حفظتهم.

فكان الحكم عليهم بالقتل لا لكونهم مجرد أسرى في أيدي المسلمين وإنما لخستهم وخيانتهم للعهد وسعيهم في إبادة المسلمين واستباحة حرماتهم ومثل هذه الخيانة العظمى لا جزاء لها إلا القتل.

ورغم خيانة إخوانهم من يهود بني قينقاع وبني النضير إلا أن رسول الله ﷺ لم يقتلهم وإنما اكتفى بإجلائهم ولو قتلهم لكان محقًا وما وجّه إليه سهم من سهام اللوم أو النقد، وهذا يدل على أن القتل ليس مقصودًا في ذاته.

٣٦- ولماذا قتل النبي ﷺ بعض أسرى بدر؟

أسرى بدر الذين قتلهم رسول الله ﷺ وهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وطعيمة بن عدي كانوا قد قاموا بإيذاء المسلمين وتعذيبهم أشد تعذيب وتعريضهم للموت في مكة، وحاولوا عبثًا إجبار المسلمين على الردة وفتنتهم عن دينهم مستخدمين في ذلك أفظع الأساليب وأشدها وحشية، فكان قتلهم لهذا المعنى الزائد بدليل عدم قتل جميع الأسرى الآخرين رغم اشتراك بعضهم في إيذاء المسلمين.

٣٧- يزعم أعداء الدين أن الإسلام يجيز التمثيل بجثث القتلى واستدلوا بذلك بقصة العرنيين وهي في صحيحي البخاري ومسلم وفيها أن رسول الله ﷺ أمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا، وزعموا أن هذا لون من التعذيب الذي ينافي ما يزعمه المسلمون من الإحسان في القتل.

هذه الشبهة تعكس المنهج الانتقائي لأعداء الإسلام في إثارة الأكاذيب، حيث يقتطعون النصوص ويلوون أعناقها ليستدلوا بجزء منها على ما يزعمونه كذبًا وزورًا، ويتبعون متشابهات النصوص ابتغاء الفتنة، متعامين عن الأدلة المحكمات، فإن المثلة لا تجوز في الإسلام إلا على سبيل القصاص، والأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على ذلك كثيرة، ومنها:

---

(١) سنن البيهقي (١٢٦٢٠)، وانظر: إرواء الغليل (٥/ ٤١).

ما روى سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرًا على جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا فقال: «اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»[(١)].

وقال الترمذي: حديث بريدة حديث حسن صحيح وكره أهل العلم المثلة[(٢)].

وعن أنس قال «كان رسول الله ﷺ يحث في خطبته على الصدقة، وينهى عن المُثلة»[(٣)].

فهذه نصوص صريحة في النهي عن التمثيل بالقتلى ابتداء، وهذه تقرر القاعدة أصيلة، ولكن هل هناك حالات يمكن فيها مخالفة هذه القاعدة، أو الاستثناء منها؟

نعم يجوز أن يقوم المسلمون بالتمثيل بالقتلى -خلافًا للأصل- إن كان على سبيل القصاص أو المقابلة.

فرسول الله ﷺ بعد انتهاء غزوة أحد وقف على حمزة بن عبد المطلب حين استشهد وكان قد مثل به فقال: «رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات وصولاً للرحم ولولا حزن من بعدي عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى أما والله مع ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل ﵇ والنبي ﷺ واقف بعد بخواتيم سورة النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[النحل: ١٢٦] فصبر النبي ﷺ وكفر عن يمينه وأمسك عما أراد»[(٤)].

فالله ﷻ لم ينه في هذه الآية عن أصل المثلة وإنما نهى عن التعدي في المثلة وأمر بالعدل في القصاص، وهذا دليل صريح في جواز المثلة على سبيل القصاص والمقابلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما التمثيل في القتل فلا يجوز إلا على وجه القصاص... حتى الكفار إذا قتلناهم فإنا لا نمثل بهم بعد القتل ولا نجدع آذانهم وأنوفهم ولا نبقر بطونهم إلا أن يكونوا فعلوا ذلك بنا فنفعل بهم مافعلوا، والترك أفضل كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾

---

(١) مسلم (٣٢٦١).
(٢) سنن الترمذي (١٣٢٨).
(٣) البخاري (٣٨٧١).
(٤) انظر: عيون الأثر (٢/ ١٨).

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾...»[١].

أما فيما يتعلق بواقعة العرنيين فلا بد من عرض القصة كاملة حتى يتضح وجه الحق فيها، فقد روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس ﷺ أنه قال: «قدم على النبي ﷺ نفر من عكل فأسلموا فاجتووا[٢] المدينة فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل فبعث في آثارهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا»[٣].

فهؤلاء لم يكونوا مجرد أسرى وإنما جمعوا جملة من الجرائم كالردة والخيانة ومقابلة الإساءة بالإحسان وقتل المسلمين والتمثيل بجثثهم والسرقة وإخافة السبيل ففعل بهم رسول الله ﷺ ما فعل على سبيل القصاص والحدّ.

فعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: «إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاء»[٤].

وقال السهيلي: «فإن قيل: فقد مثل رسول الله ﷺ بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم بالحرة، قلنا: في ذلك جوابان: أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصًا لأنهم قطعوا أيدي الرعاء وأرجلهم وسملوا أعينهم..»[٥].

٣٨- هل الإسلام يجيز قتل النساء والأطفال في الحرب؟ فعندكم حديث في الصحيحين فيه أن النبي ﷺ سئل عن الذراري من المشركين يبيتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال: «هم منهم».

الإسلام لا يجيز قتل من لا يقاتل، ويحرم التعرض للنساء والأطفال بالقتال طالما التزموا بعدم المشاركة في الحرب ضد المسلمين والإعانة عليهم ومن الأدلة الناصعة على ذلك:

ما جاء في الصحيحين عن نافع أن عبد الله ﷺ أخبر أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان[٦].

---

(١) السياسة الشرعية (ص ١٠٥).
(٢) أي تضرروا من الإقامة في المدينة وأصيبوا بإعياء ومرض، والجوى مرض يصيب الصدر، انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٧٠).
(٣) البخاري (٢٢٦)، ومسلم (٣١٦٢).
(٤) مسلم (٣١٦٤).
(٥) الروض الأنف (١/ ٣٠٦).
(٦) البخاري (٣٠١٤) ومسلم (١٧٤٤).

وفي لفظ: «فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان»[1].

ومثله ما أخرجه أحمد وأبوداود بسند صحيح أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد فمر أصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها، حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**» فقال لأحدهم: «**الحق خالدًا فقل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا**»[2].

ومنها أيضًا ما رواه مسلم وأبوداود عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «**اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا**»[3].

وفي رواية عند البيهقي: «**ولا تقتلوا وليداً طفلاً، ولا امرأة، ولا شيخاً كبيراً**»[4].

وفي شرح معاني الآثار للطحاوي بسند صحيح، أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيوشه قال: «**لا تقتلوا الولدان**» وفي رواية: «**لا تقتلوا شيخاً كبيراً**» وفي رواية «**لا تقتلوا وليداً ولا امرأة**»[5].

فهذه هي القاعدة والأصل والأساس في التعامل مع نساء المحاربين و أطفالهم في القتال، والذي تقرر بالأدلة الصحيحة الصريحة، وما خرج عن ذلك فهو استثناء عن الأصل، أما فيما يتعلق بالحديث الذي في الصحيحين فنصه كما يلي:

عن عبيد الله عن ابن عباس عن الصعب بن جثامة رضي الله عنه قال: «مر بي النبي ﷺ بالأبواء أو بودان وسئل عن أهل الدار يبيتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم قال: هم منهم»[6].

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في باب: أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري.

وهو في مسلم في باب: جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد.

فالحديث لا يجيز تعمد قتل النساء والأطفال وإنما كان السؤال عن (أهل الديار يبيتون)

---

(١) البخاري (٢٧٩٢) ومسلم (٣٢٨٠).
(٢) أحمد (١٧١٥٨)، وأبو داود (٢٦٦٩).
(٣) أخرجه مسلم (١٧٣١)، وأبو داود (٢٦١٣).
(٤) البيهقي في الكبرى (١٧٩٣٤).
(٥) شرح معاني الآثار للطحاوي (٣/ ٢٢١).
(٦) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) ومسلم (٣٢٨١).

أي عن الإغارة على العدو ليلاً بحيث لا يتميز الرجال عن النساء والأطفال، ولا يتميز المقاتلون عن غيرهم، وفي هذه الحالة قد يقع قتل بطريق الخطأ لبعض النساء والأطفال، فهذه هي الحالة التي أجاز فيها رسول الله ﷺ التعرض للنساء والأطفال تبعًا لا قصدًا.

قال ابن حجر في شرح الحديث: «هو منهم: أي في الحكم تلك الحالة، وليس المراد إباحة قتلهم بطريق القصد إليهم؛ بل المراد إذا لم يمكن الوصول إلى الآباء إلا بوطء الذرية فإذا أصيبوا لاختلاطهم بهم جاز قتلهم»[١].

وقال النووي: «والمراد إذا لم يتعمدوا من غير ضرورة، وأما الحديث السابق في النهي عن قتل النساء والصبيان فالمراد به إذا تميزوا»[٢].

٣٩- ألا يدل على إباحة قتل النساء أن النبي ﷺ أمر بقتل امرأة تدعى أم قرفة فربطت رجلاها إلى بعيرين حتى شقت وهي قصة رواها كبار المؤرخين وأصحاب السير مما يدل على صحتها؟

- أما قصة أم قرفة فقد رواها أصحاب السير بروايات مختلفة مضطربة ضعيفة لا يحتج بها، وبيان ذلك فيما يلي:

- روى البيهقي في السنن الكبرى عن سعيد بن عبدالعزيز التنوخي أن امرأة يقال لها: أم قرفة كفرت بعد إسلامها، فاستتابها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم تتب فقتلها[٣] وسند هذه الرواية: ضعيف، ورويت عند البيهقي أيضًا بسند ضعيف منقطع[٤]، والوجهان منقطعان لأن سعيدًا بن عبد العزيز التنوخي لم يلق أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

وروى الدارقطني أن أبا بكر رضي الله عنه قتل أم قرفة الفزارية في ردتها قتلة مثلة شد رجليها بفرسين ثم صاح بهما فشقاها[٥].

قال الزيلعي في نصب الراية: «لكن قيل: إن سعيدًا هذا لم يدرك أبا بكر فيكون منقطعا»[٦].

ورواها الذهبي في ميزان الاعتدال عن عائشة[٧]، وسند هذا الحديث منكر.

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٦/ ٢٥٥).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢/ ٧٥).
(٣) سنن البيهقي (١٦٦٤٩).
(٤) سنن البيهقي (١٦٦٥٠).
(٥) سنن الدارقطني ص٣٣٦.
(٦) نصب الراية (٣/ ٤٥٥).
(٧) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٠٦).

ورواها ابن سعد في الطبقات الكبرى [(١)] غير مسندة.

وروى الطبري القصة في تاريخه من طريق الواقدي، والواقدي ضعيف عند أهل الحديث العارفين بأحوال الرجال، وسيأتي بيان ذلك تفصيلاً.

كما أوردها ابن كثير في البداية والنهاية مختصرة ولم يعلق عليها بشيء، وذكرها ابن هشام في السيرة وكلاهما عن محمد ابن اسحق الذي لم يذكر سند الرواية.

وباستعراض الروايات يتضح ما يلي:

١ - أن روايات القصة مضطربة ومتناقضة: ففي تاريخ الطبري روايتان الأولى جعلت الغزوة بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه وكانت في عهد النبي ﷺ.

في حين جاء في الرواية أخرى أن السرية التي غزت بني فزارة كانت بقيادة أبي بكر الصديق، مخالفاً بذلك الرواية المذكورة آنفاً.

وجاء في المصادر الأخرى كالبيهقي والدارقطني وسيرة ابن هشام والبداية والنهاية أن مقتل أم قرفة إنما كان في عهد خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأنها ارتدت عن الإسلام فاستتابها فلم تتب فقتلها، وروايات أخرى تقول أنه قتلها في الردة، بالإضافة إلى الروايات التي جعلت الغزوة بقيادة زيد بن حارثة بأمر من النبي ﷺ، على اختلاف في تفاصيل هذه الروايات.

وهكذا تجد أن الروايات التاريخية متضاربة لهذه القصة حول حقيقة أم قرفة، حتى ذهب بعض المحدثين إلى أن أم قرفة ليست شخصية واحدة[(٢)].

٢- كل روايات هذه القصة مرسلة أومنقطعة أو ضعيفة أو رويت بغير إسناد مطلقًا وكل ذلك لا يحتج به ولا يوثق فيه.

قال الحافظ ابن رجب: «أسانيد هذه القصة منقطعة»[(٣)].

وجاء في سنن البيهقي تعليقًا على هذه القصة: «قال الشافعي: فما كان لنا أن نحتج به إذ كان ضعيفًا عند أهل العلم بالحديث، قال الشيخ: ضعفه في انقطاعه وقد رويناه من وجهين مرسلين»[(٤)].

وجاءت الرواية في طبقات ابن سعد وعنه ابن الجوزي في كتابه المنتظم وفي تاريخ

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٩٠).
(٢) انظر: تلخيص الحبير لابن حجر (٤/ ٤٩).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٧).
(٤) انظر: سنن البيهقي (٨/ ٢٠٤)، وتلخيص الحبير لابن حجر (٤/ ٤٩).

الطبري ومدارها على محمد بن عمر الواقدي وهو شخص متهم بالكذب لدى علماء الحديث.

فالواقدي هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي أبو عبد الله المدني قاضي بغداد مولى عبد الله بن بريدة الأسلمي.

قال البخاري: «الواقدي مديني سكن بغداد متروك الحديث تركه أحمد وابن نمير وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا»[1].

وقال أحمد: هو كذاب.

وقال يحيى: ضعيف وفي موضع آخر ليس بشيء.

وقال أبو داود: أخبرني من سمع من علي بن المديني يقول: روى الواقدي ثلاثين ألف حديث غريب.

وقال أبو بكر بن خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول: لا يكتب حديث الواقدي ليس بشيء.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت عنه علي بن المديني فقال: متروك الحديث.

قال إسحاق بن راهويه: كما وصف وأشد لأنه عندي ممن يضع الحديث.

وقال علي بن المديني سمعت أحمد بن حنبل يقول: الواقدي يركب الأسانيد

وقال الإمام مسلم: متروك الحديث.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال الحاكم: ذاهب الحديث.

قال الذهبي رحمه الله مجمع على ضعفه.

قال النسائي: المعروفون بالكذب على رسول الله أربعة الواقدي بالمدينة ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد بالشام..[2].

وقال النووي في المجموع: «الواقدي رحمه الله ضعيف عند أهل الحديث وغيرهم، لا يحتج برواياته المتصلة فكيف بما يرسله أو يقوله عن نفسه»[3] ونحو ذلك قاله الحافظ في الفتح.

---

(١) تهذيب الكمال (٦/ ١٨٥-١٨٦).

(٢) انظر في ترجمة الواقدي: الجرح والتعديل ج ٨ ترجمة٩٢، ومغني الضعفاء ترجمة ٥٨٦١، وتاريخ بغداد (٣/ ١٣-١٦).

(٣) المجموع، للنووي، (١/ ١٦٤).

وهناك علة أخرى في سند الحديث وهي روايته عن عبد الله بن جعفر الزهري قال إسحاق بن منصور: قال أحمد بن حنبل: كان الواقدي يقلب الأحاديث يلقي حديث ابن أخي الزهري على معمر هذا.

والحاصل أن هذه الرواية وإن أخرجها كثير من أصحاب السير إلا أنها لم تصح ولم تثبت؛ ولذلك فلا يجوز قبولها أوالاحتجاج بها، والاعتماد عليها.

وما يظنه البعض من أن إخراج هؤلاء الأكابر لها في كتبهم يلزم منه صحتها يعد خطأ فاحشًا يصدر عن جهل بقواعد المحدثين ومناهج العلماء في التصنيف فإن إيرادهم للقصة لا يعني صحتها ولا يلزم منه قبولهم لها لا سيما وأن أحدًا منهم لم يلتزم بإيراد الصحيح فقط في كتابه، بل كل الكتب التي ذكرت القصة فيها الصحيح والضعيف، بل إن بعضهم أوردها غير مسندة، وبعضهم نص على ضعفها.

وكما لم تسلم الرواية من جهة الثبوت فإنها لا تسلم من جهة الدلالة، فهذه المرأة ـ أم قرفة ـ لم تكن امرأة مسالمة معصومة الدم فهي محاربة مسعرة حرب في رواية أو مرتدة مصرة على الكفر في رواية وهذه تستحق القتل في كلتا الروايتين.

وأما الطريقة التي قتلت بها – إن قلنا بصحة الرواية وهي لا تصح – فلعل ذلك وقع لسبب زائد يقتضي ذلك كأن يكون قصاصًا أو تعزيرًا، لأن الأصل الإحسان في القتل – حتى عند ذبح الحيوانات – كما ثبت في الروايات الصحيحة من جهة الثبوت الصريحة من جهة الدلالة ومنها:

ما روي عن شداد بن أوس أنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»(١).

٣٠- ألم يقتل الرسول ﷺ عصماء بنت مروان فقد أرسل الرسول عميراً بن عدي إلى عصماء بنت مروان وأمره بقتلها لأنها هجته. فجاءها ليلاً، وكان أعمى، فدخل عليها بيتها، وحولها نفر من ولدها نيام ومنهم من ترضعه، فجسها عمير بيده، ونحى الصبي عنها، وأنفذ سيفه من صدرها إلى ظهرها. ثم رجع فأتى المسجد فصلى، وأخبر الرسول بما حصل، فقال الرسول: لا ينتطح فيها عنزان.

هذا الحديث موضوع ولا يصح، فلا يجوز الاحتجاج به.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٦١٥).

وقد وضح الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» أن هذا الحديث موضوع.

وقال: «وقال ابن عدي - وتبعه ابن الجوزي: «هذا مما يتهم بوضعه محمد بن الحجاج» قلت: وهو كذاب خبيث كما قال ابن معين»(١).

وهذه المرأة - عصماء بنت مروان - أيضًا لم تكن امرأة مسالمة معصومة الدم فهي بحسب هذه الرواية الموضوعة كانت شتامة تهجو النبي ﷺ وتؤذيه وهذه جريمة جزاؤها القتل.

وبذلك يتضح أن هذه الرواية كما لم تسلم من جهة الثبوت لأنها موضوعة، فإنها لا تسلم من جهة الدلالة.

٢١- يزعم بعض أعداء الإسلام أن الإسلام هو دين العبودية والاسترقاق وأنه يدعو لاستعباد البشر من خلال الحروب، ويستدلون على ذلك بفرض رسول الله ﷺ الرق على بعض المهزومين في غزوات ضد المسلمين كيهود بني قريظة وعرب بني المصطلق.

أجمع العلماء على جواز الرق في الإسلام وأنه يجوز للإمام أن يضرب الرق على المحارب الكافر الذي يقع في يد المسلمين.

قال ابن رشد: «وأما ما يجوز من النكاية بالعدو فإن النكاية لا تخلو أن تكون في الأموال أو في النفوس أو في الرقاب أعني الاستعباد والتملك.

فأما النكاية التي هي الاستعباد فهي جائزة بطريق الإجماع في جميع أنواع المشركين أعني ذكرانهم وإناثهم وشيوخهم وصبيانهم صغارهم وكبارهم، إلا الرهبان فإن قومًا رأوا أن يتركوا ولا يؤسروا بل يتركوا دون أن يعرض إليهم لا بقتل ولا باستعباد لقول رسول الله ﷺ «فذروهم وما حبسوا أنفسهم إليه»، واتباعًا لفعل أبي بكر.

وأكثر العلماء على أن الإمام مخير في الأسارى في خصال: منها أن يمن عليهم ومنها أن يستعبدهم ومنها أن يقتلهم ومنها أن يأخذ منهم الفداء ومنها أن يضرب عليهم الجزية»(٢).

وأما من يزعم أن هذا الحكم ظالم ويفتقد لقواعد العدل، فنقول له وما هو معيار العدل لديك؟ وبأي ميزان نزن الأحكام والشرائع؟

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٣/ ٣٣)، حديث رقم (٦٠١٣).
(٢) بداية المجتهد (١/ ٥٠٦).

إن العدل الذي لا يعرف المسلمون غيره هو حكم الله لا غير، وأي شريعة أخرى فهي من صنع البشر الذين لا عصمة لهم من الخطأ، والذين تقصر عقولهم عن بلوغ درجات الكمال، فليت شعري كيف نجعل أهواء الخلق حكمًا على أحكام الخالق سبحانه، وكيف نستبدل الغث بالسمين والأدنى بالأعلى؟

إنه من الواجب علينا جميعًا أن نبلغ هذا الدين المتين كما أنزل من عند الله ونحن مستيقنون أن كل ما فيه هو شرف ورفعة وعز، أدرك أعداؤنا هذا، أو قصرت عقولهم عن إدراكه، قبلوا ما فيه أو ردوه، فما منا أحد عليهم حسيب، وما علينا سوى هداية البيان، وأما هداية التوفيق فأمرها لمن القلوب بين إصبعيه من أصابعه يقلبها كيف يشاء سبحانه وتعالى.

إن غاية الجهاد في الإسلام - كما أسلفنا - هو الرغبة في هداية الناس وإفساح السبل أمام للدخول في دين الله أفواجًا، واستنقاذهم من عبودية النظم الوثنية الفاجرة، وإخراجهم من عبودية الأهواء والشهوات.

لكن الكفار تمردوا على ربهم وطغوا وعتوا وأعلنوا الحرب على الله ودينه وشرعه لتكون كلمتهم لا كلمة الله هي العليا، واستعملوا كل ما أنعم الله به عليهم من أموال وأنفس وعتاد وعدة في حرب أولياء الله والصد عن سبيل الله وفتنة الناس عن الحق وهذه أكبر جريمة يرتكبها إنسان، وهم في ذلك يمارسون عبودية للشيطان ويتخذون أهواءهم وشهواتهم آلهة.

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وعندما ارتضوا أن يكونوا عبيدًا للشيطان وعبيدًا للأهواء وعبيدًا للشهوات كان جزاؤهم من جنس عملهم أن يسلبوا حريتهم وتصرفاتهم ويضرب عليهم الرق ويسقلوا عن مقام الأحرار العقلاء، وهذا هو الجزاء العادل لمن حارب الله ورسوله، ويبدل نعمة الله كفرًا.

لكن ينبغي التنبيه إلى أن الإسلام مع إباحته للرق فقد رغب في عتق الرقاب، وندب إلى تحرير العبيد وجعل ذلك من أعمال البر.

قال الله ﷻ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٦].

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا

من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه»(١).

وأغلق الإسلام أبواب الرق وحصر أسبابها في الكفر مع الحرب أو الولادة من رقيق، ويسر سبل عتق الرقاب فجعل العتق من مصارف الزكاة، ومن أبواب الصدقات، ومن كفارات الظهار والأيمان والقتل الخطأ.

قال تعالى: **﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: ٦٠].

وقال تعالى: **﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾** [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: **﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** [المجادلة: ٣].

وقال تعالى: **﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [المائدة: ٨٩].

وقال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾** [النساء: ٩٢].

وشرع الإسلام المكاتبة وهي بيع السيد رقيقه نفسه بمال في ذمته، فإن أدى ما عليه عتق، وإن عجز عاد رقيقاً، وتجب إذا دعا العبد الذي فيه خير سيده إليها، لقوله تعالى:

---

(١) البخاري (٢٣٣٢) ومسلم (٢٧٧٦).

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور:٣٣].

فينبغي على السيد أن يعين المكاتب بشيء من المال، أو يضع عنه قدرًا من الثمن، ليساعده في التخلص من الرق.

بالإضافة إلى ذلك فقد أمر الإسلام بحسن معاملة الرقيق ونهى عن الإساءة إليهم وجرح مشاعرهم.

فمن ذلك النهي عن مناداته بعبدي أو أمتي، والنهي عن قول العبد لسيده ربي.

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي**»(١).

وفي لفظ: «**لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل سيدي مولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي**»(٢).

ومن ذلك الأمر بتكرار العفو عن العبد إذا أخطأ في كل يوم.

عن عبد الله بن عمر قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم فقال: **كل يوم سبعين مرة**»(٣).

ومن ذلك الأمر بمعاملتهم كإخوان لنا يأكلون مما نأكل ويلبسون مما نلبس، بل والنهي عن تكليفهم بما يشق عليهم وإعانتهم على أداء الأعمال.

فعن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر الغفاري ﷺ وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال إني سابيت رجلاً فشكاني إلى النبي ﷺ، فقال لي النبي ﷺ «**أعيرته بأمه؟ ثم قال: إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم**»(٤).

قال ابن حجر: «وفي الحديث النهي عن سب الرقيق وتعييرهم بمن ولدهم والحث على

---

(١) البخاري (٢٣٦٦) ومسلم (٤١٧٧) وهذا لفظه.
(٢) هذا لفظ البخاري.
(٣) أبو داود (٤٤٩٦)، والترمذي (١٨٧٢) وحسنه.
(٤) البخاري (٢٣٥٩) ومسلم (٣١٣٩).

الإحسان إليهم والرفق بهم ويلتحق بالرقيق من في معناهم من أجير وغيره»[1].

ومن ذلك الترغيب في تعليم الرقيق وتربيتهم، وإن كانت أمة فاستحب له عتقها وتزوجها.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «أيما رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها وأعتقها وتزوجها فله أجران وأيما عبد أدى حق الله وحق مواليه فله أجران»[2].

إنها الشريعة المتكاملة في عدلها وفضلها وأخلاقها، تشريعاتها حق كلها، وأحكامها حكم جميعها، والحمد لله على نعمة الإسلام.

٣٢- يقول أعداء الإسلام: إن الإسلام يدعو لكراهية الآخرين وبغضهم، ويجعل من عداوة الآخر أساسا من أسس العقيدة الإسلامية، وهذا يقدح في كونه دين التسامح والمحبة، ويقدح في أن الجهاد هدفه هداية الناس، فما الرد على ذلك؟

هذه الفرية قد اشتملت على بعض الحق الذي أريد به باطل، فمما تمهد في كليات الشرع أن بغض الكافر ومعاداته أصل عقدي من أوثق عرى الإيمان.

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

---

(١) فتح الباري (٥/ ٤٨٢).
(٢) البخاري (٢٣٦١) ومسلم (٢١٩).

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وعن ابن مسعود قال: «دخل علي رسول الله ﷺ فقال: يا ابن مسعود قلت: لبيك يا رسول الله ﷺ قالها ثلاثًا: تدري أي عرى الإيمان أوثق؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإن أوثق عرى الإسلام الولاية فيه الحب فيه والبغض»(١).

فبغض الكفار وعداوتهم أصل من الأصول العقدية دلت عليه الكثير من نصوص الكتاب والسنة.

ولكن حتى يتضح وجه الحق كاملاً في هذا الأمر لا بد من التنبيه على الأمور التالية:

أولاً: إن الإسلام يقوم على العدل في كل شيء، وإعطاء كل ذي حق حقه، حتى في المشاعر القلبية لا بد من العدل والإنصاف، فهل يقول منصف إن علينا أن نحب من كفر بالله ورسوله وكتابه ودينه؟ هل من العدل أن نعطي محبتنا لمن يسب مقدساتنا ويطعن في ديننا ويزعم أن خير البرية ﷺ مفتر كذاب؟ وهل من العدل أن يستوي المؤمنون والكفار في أصل المحبة؟

ثانيًا: إن من قواعد هذا الدين العظيم تهذيب المشاعر الإنسانية بحيث تسمو عن النزعات الشخصية، فالحب يكون في الله والبغض يكون في الله، فيجب محبة أولياء الله وتوليهم بما يستحقون، ويجب بغض أعداء الله ومعاداتهم بما يستحقون، وهذا من تمام العبودية لله ومن تمام محبته ﷻ، وإلا فكيف ندعي محبة الله ونحن نحب أعداءه، ونود الكافرين به.

ثالثًا: إن بغض الكفار لا يعني رجاء الشر لهم وتمني وقوع العذاب الأليم بهم، بل على العكس ففي ذات الوقت الذي تكن فيه مشاعر البغض للكافرين، فنحن نحب لهم الخير ونتمنى لهم الهداية، ونعدّ هداية رجل واحد خير من الدنيا وما فيها.

ولذلك أوصى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب قبل أن يغزو قومًا فقال: «ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»(٢).

فإذا تابوا إلى الله ودخلوا في دين الإسلام فهم إخواننا لهم من المحبة والود والموالاة ما للإخوة والأحباب.

---

(١) الطبراني في الكبير (١٠٥٣١) وسنده حسن، انظر السلسلة الصحيحة (١٧٢٨).
(٢) تقدم تخريجه.

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:١١].

فليس البغض والعداء لهوى أو نزعة شخصية أو غضبة للنفس وإنما هو تمام الولاء لله وكمال المحبة له سبحانه.

رابعًا: إن هذا البغض والعداء لا يكون مبررًا أبدًا لظلم الكافرين وهضم حقهم، بل نحن مأمورون بالعدل فيهم مهما كانت مشاعر البغض والعداء.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وقد بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة إلى يهود خيبر لتقدير الخراج – وكان مسترضعًا فيهم – ففرحوا به وقالوا: مرحبًا بك وبمن جئت من عنده، كيف أنت وكيف صاحبك الذي تركت وراءك؟

فقال: أما أنا فصالح، وأما صاحبي فو الله هو أحب إلي من نفسي التي بين جنبي، ولأنتم أبغض إلي من عددكم من القردة والخنازير.

قالوا: فكيف تعدل علينا؟

قال: لن يحملني حب صاحبي على أن أجور له عليكم، ولا يحملني بغضي إياكم أن لا أعدل عليكم.

قالوا: بهذا قامت السموات والأرض.

فطاف في النخل ونظر، فقال: إن شئتم أن أكيل لكم كذا وكذا، ولنا الحطب وسواقط النخل قال: ففرحوا بذلك وقبلوه، ثم كالوا التمرة فلم يجدوها نقصت شيئًا مما خرص ولا زادت[1].

خامسًا: إن هذا البغض والكره ليس حاجزًا للمسلم من برّ الكفار من غير المحاربين وليس مانعًا من معاملتهم بالحسنى، والتخلق معهم بخلق الإسلام الكريم، والعمل على تأليف قلوبهم وتقريبهم من الإسلام والمسلمين.

---

(١) أخبار المدينة، ابن شبه أبو زيد بن عمر النميري، (١/ ١٧٩)، دار الفكر، وانظر أحكام أهلة الذمة لابن القيم ص ٣٩١.

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الممتحنة: ٨-٩].

وعندما توضع المسألة في ذاك الإطار ويكشف عن جميع الوجوه التي قد يكون بعضها غائبًا، بحيث ينظر إليها نظرة تكاملية منصفة؛ فإنه سيظهر جليًا أن ما أراد المرجفون إظهاره في صورة المعايب والمثالب إنما هو من من محاسن الشريعة وتمام أحكامها وكمال أوامرها، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

فنسأل الله أن يرزقنا حبه وحب من يحبه وحب عمل يقربنا إلى حبه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



الفَصْلُ التَّاسِعُ

الافـــتراءات حول الجنة في الإسلام



١- هل يضمن المسلم أن يدخل الجنة؟

الجـــــواب:

نعم، الجنة مضمونة لكل من مات على الإسلام والدليل على ذلك:

قول رسول الله: «أتاني آت من ربي فأخبرني (بشرني) أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»(١).

وقوله: «أتاني جبريل فقال من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»(٢).

وقوله: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»(٣).

٢- كيف ذلك والرسول ﷺ عندكم لا يضمن دخول الجنة؟

الجـــــواب:

بل هو ﷺ أول من يدخل الجنة، والدليل على ذلك:

قول رسول الله ﷺ: «أنا أول من يقرع باب الجنة»(٤).

وقوله ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن، من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»(٥).

وليس الرسول ﷺ أول من يدخل الجنة فقط، بل أمته هي أول أمة تدخل الجنة، والدليل على ذلك، قول رسول الله ﷺ:

«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة»(٦).

٣- كيف توجهون قول النبي ﷺ: «لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»(٧).

الجـــــواب:

أولاً: الحديث في أوله: «سددوا وقاربوا» أي: اطلبوا السداد أي: الصواب في القول والعمل، فإن لم تستطيعوا فكونوا أقرب ما تكونون منه، فهذا نهي عن التقصير وعن الغلو

---

(١) البخاري (١١٦١)، مسلم (١٣٧).
(٢) البخاري (٢٢١٣)، ومسلم (١٦٥٤).
(٣) البخاري (٥٣٧٩).
(٤) مسلم (٢٩٠).
(٥) مسلم. (٢٩٢).
(٦) البخاري(٢٣١)، ومسلم(١٤١٣).
(٧) مسلم (٥٠٦٦).

كذلك، وفيه دعوة إلى العمل.

ثانيًا: الباء في الحديث هي باء للمقابلة، مثل قولك (اشتريت الكتاب بدينار)، أي الدينار في مقابل الكتاب، فتكون قيمة الكتاب دينارًا.

والجنة لا تكون في مقابل العمل لأن:

١ - الجنة نعيم غير منقطع، في مقابل عمل الدنيا المنقطع.

٢ - نعم الله كثيرة، لا يوفي واحدة منها العمل طوال العمر.

٣ - العمل يكون بتوفيق الله ورحمته وفضله.

٤ - العمل ناقص وقاصر بحكم الضعف والطبيعة البشرية.

ثالثًا: هل العمل سبب في دخول الجنة؟ نعم، والدليل:

-الأمر في الحديث السابق (سددوا وقاربوا).

-وقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

-وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

فلو قلنا أن الإنسان المؤمن يدخل الجنة بعمله (والباء للمقابلة، أي الجنة في مقابل العمل) فالعبارة غير صحيحة.

ولو قلنا أن الإنسان المؤمن يدخل الجنة بعمله (والباء للسببية أي بسبب عمله) فالعبارة صحيحة.

رابعًا: من الذي يستحق الرحمة؟ إنهم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

٤- يزعم بعض المرجفين أن جنة المسلمين ليس فيها نعيم روحي بل تقتصر على النعيم الجسدي فقط، فهل هذا صحيح؟

الجــــواب:

هذا غير صحيح، الجنة فيها جميع أصناف النعيم الروحي منه والجسدي، والدليل:

- ما في الجنة من الذكر والتسبيح فالمؤمنون: «يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس»(١).

(١) مسلم (٥٠٦٦).

- ومن أعظم النعيم الروحي رؤية الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة، قالوا: لا، قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»**(١).

- وأعظم النعيم رضا الله عن أهل الجنة كما جاء في الحديث:

«يقول الله لأهل الجنة يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك.

فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك.

قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك.

فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(٢).

- هذا بالإضافة إلى الأنس بالقرب من الله، وصحبة الملائكة والمرسلين والأنبياء والصالحين والصديقين.

٥- هل يليق أن يكون في الجنة نعيم جسدي؟

الجـــــواب:

نعم: الإنسان جسد وروح، والابتلاء والاختبار كان على الجسد والروح، والعدل أن يكون الجزاء عليهما.

والنعيم الجسدي مما تحبه النفوس الطبيعية وتهفو إليه إذا توفر بطريقة محترمة، عدم وجود مثل هذا النعيم يجعل من نعيم الجنة نعيمًا ناقصًا، لأنه مما تتمناه النفوس السوية، أما الرغبات المنحرفة الشيطانية فلا وجود لها في الجنة.

٦- هل يليق أن يكون في الجنة جنس وزنى في حضرة الله؟

الجـــــواب:

أما الزنى فلا يوجد في الجنة؛ بل ما فيها زواج أباحه الله تعالى القائل: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤].

---

(١) البخاري(٢١)، ومسلم (٥٢٧٠).

(٢)البخاري(٦٠٦٧)، ومسلم (٢٩٦).

وقال: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٥-٥٦].

وعن مجاهد في تفسير أزواجهم قال: حلائلهم (من أهل الجنة) [(١)].

أما ممارسة الجنس فهي موجودة وهو لا يعاب طالما أنه في الحلال كما بينا سابقًا.

أما كونه في حضرة الله، فالله لا يحده الزمان والمكان، فما المقصود بأنه في حضرة الله؟ وهل الذين يمارسون الجنس في الدنيا بمعزل عن الله مثلاً؟

ثم إن كل ذلك يحدث بإكرام الله لأهل الطاعة من المؤمنين، والله هو الذي أعطى لهم ذلك وأذن لهم فيه فمن أي وجه يعاب، وبأي سبب ينتقد؟

٧- ألم يرد في تفسير آية: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ أن هذا الشغل ما هو إلا افتضاض الأبكار؟

الجـــــواب:

أولاً: لا إشكال أساسًا في افتضاض الأبكار فهذا من النعيم الذي يرغب فيه كل رجل طبيعي كما وضحنا في موضوع النعيم الجسدي.

ثانيًا: ليس هذا هو التفسير الوحيد بل هو أحد التفاسير، وقد ذكر الطبري في نفس الموضع، تفاسير أخرى مثل:

- في شغل: أي في نعمة نقله عن مجاهد.
- أشغلهم النعيم عما فيه أهل النار من العذاب، نقله عن الحسن.
- في شغل عما يلقي أهل النار، نقله عن إسماعيل بن أبي خالد.

ثم قال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه(إن أصحاب الجنة) وهم أهلها (في شغل فاكهون) بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أبكار، ولهو ولذة، وشغل عما يلقى أهل النار» [(٢)].

(١)تفسير الطبري (٢٣/ ٢٥).
(٢)تفسير الطبري (٢٣/ ٢٣).

٨- يزعم بعض الكاذبين أن الولدان المخلدين في الجنة للشذوذ الجنسي فما الرد على ذلك؟

الجـــــواب:

الولدان المخلدون هم خلق من خلق الجنة خلقهم الله لخدمة أهل الجنة، كما ذكر ذلك ابن تيمية (١).

فالولدان المخلدون وظيفتهم خدمة أهل الجنة وليس كما يزعم هؤلاء الكاذبين بغير أي دليل أنهم للشذوذ الجنسي قبحهم الله.

ومن الأدلة على ذلك: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: «﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾»[الإنسان: ١٨]:

«يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان أهل الجنة.

﴿مُّخَلَّدُونَ﴾، أي: على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن...

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾: أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن» (٢).

٩- فماذا عما ورد عنهم أنهم ينزفون في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٧-١٩]،؟ فمن أي شيء ينزفون؟ فإن بعض الكاذبين يزعمون أن ذلك من ممارسة الجنس معهم.

الجـــــواب:

الآية تقول: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ الضمير في (عنها) يعود على الخمر التي في الأكواب والأباريق ولا يعود الضمير على الولدان وإلا كان (عنهم).

فهم لا يصدعون عن الخمر أي لا تتصدع رؤوسهم من شربها (٣) ولا علاقة للولدان بذلك.

وكذلك فهم لا ينزفون بسبب الخمر لا الولدان، ومما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٤).

(٣) زبدة التفاسير (ص٧١٤).

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٧].

فلم يأت ذكر الولدان في هذه الآيات، بل ما ذكر هو الخمر فقط، فهم لا ينزفون عن الخمر لا الولدان، ولكن ما معنى «وَلَا يُنْزِفُونَ»؟

قال الراغب: «قيل: سكران نزيف: نزف فهمه بسكره، قال تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾..من قولهم أنزفوا: إذا نزف شرابهم أو نزعت عقولهم»(١).

وقال ابن منظور: «لا ينزفون»: لا يسكرون(٢).

وقال الفيروز آبادي: «نزف»: ذهب عقله أو سكر ومنه «لا ينزفون»(٣).

من الأدلة على ذلك أيضًا قول الشاعر (الأُبيرد):

لعمري لئن أنزفتهم أو صحوتهم ... لبئس الندامي كنتم آل أبجرا

شربتم ومدّرتم وكان أبوكم ... كذاكم، إذا يشرب الكأس مدّرا

ذكره الجوهري وقال: «لا ينزفون: أي لا يسكرون»(٤).

١٠- وماذا عما ذكره الشيخ كشك من أن الولدان المخلدين للجنس وليس للخدمة؟

الجـــواب:

هذا كذب على الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله فلم يذكر الشيخ هذا الهراء الباطل لا في كتاب له ولا في خطبة ولا درس، ولكن الذي ذكر هذا هو محمد جلال كشك.

فمن هو محمد جلال كشك؟

هو صحفي وليس بعالم، ولم يكن كاتبًا إسلاميًا بحال؛ بل هو شيوعي ماركسي في الأصل، بل هو من مؤسسي الحزب الشيوعي في مصر.

ثم هل نسب محمد جلال كشك ذلك للإسلام؟ الإجابة لا.

فقد قال في مقدمة كتابه: «لم أنسبه لرأي الإسلام، ولا حتى ادعيت الاجتهاد فيه، وإنما

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص٧٩٩).
(٢) لسان العرب (٩/ ٣٢٧).
(٣) القاموس المحيط (ص٧٧٠).
(٤) الصحاح (٢/ ١٠٩٢)، وراجع مجمل اللغة، لابن فارس (ص٦٩٤).

قلت هي خواطري كمسلم.. ثم قال: «ومواصفات المجتهد معروفة، وحاشا لله أن ندعي توافرها فينا، فأنا لا أحسن إعراب آية في القرآن، فكيف أكون مجتهدًا!» [(١)].

١١- هل في الجنة خمور؟ وهل يصح وجودها في الجنة؟

الجـــــواب:

نعم، ولكنها خمر ليست كخمر الدنيا.

فخمر الدنيا تذهب العقول وتجلب الأمراض والأسقام كريهة الطعم والرائحة خبيثة.

أما خمر الجنة فهي صافية بيضاء لذيذة الطعم غير مسكرة لا تذهب العقل ولا تمرض الجسم.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٧]. الغول: المرض ووجع البطن والرأس

وقال تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩].

قال القرطبي: «لا تتصدع رؤوسهم من شربها، أي: إنها لذة بلا أذى بخلاف شراب الدنيا، (لا ينزفون) أي: لا يسكرون فتذهب عقولهم» [(٢)].

وقال ابن كثير: «لا تصدع رؤوسهم، ولا تنزف (تذهب) عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة، واللذة الحاصلة» [(٣)].

وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥]، فهم إذا شربوه وجدوا في ختام شربهم لهم رائحة المسك.

أما الخمر فهي موجودة لدى النصارى في جنتهم (التي يسمونها الملكوت) بحسب ما جاء في الكتاب المقدس عندهم:

«وأقول لكم أن من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبي» [(٤)].

١٢- طالما أنها ليست كخمور الدنيا، فلماذا سماها خمرا؟

الأصل في التسمية تقريب المعنى، وليس في الجنة من الدنيا سوى الأسماء.

---

(١) انظر مقدمة كتابه: خواطر مسلم في المسألة الجنسية ص١٥.

(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٠٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٥١٤).

(٤) متى (٢٦-٢٩)، مرقص (١٤-٢٥)، لوقا (٢٢-١٨).

وأصل معنى الخمر في اللغة يدل على: التغطية، والمخالطة في ستر [(١)].

التغطية مثل: خمّرت المرأة وجهها أي: غطته [(٢)].

المخالطة مثل: خامر الشيء غيره أي قاربه وخالطه.

قال ذو الرمة:

هام الفؤاد بذكراها وخامره | منها على عدواء الدار تستقيم

ورجل خَمِر، أي: خالطه داء [(٣)].

فهل ينطبق هذا على الخمر في الجنة؟ نعم، والدليل على ذلك:

١ - التغطية: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨].

فهي مغطاة في الأباريق.

٢ - المخالطة: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥].

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧].

فهي مخلوطة وممزوجة بالكافور والزنجبيل.

١٣ - لماذا هذه الجنة يدخلها الزناة والسراق وشاربو الخمر؟

الجـــــواب:

لعل السائل يتحدث عن حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق» [(٤)]. وفي رواية «وإن شرب الخمر».

بالنظر إلى الحديث يتبين ما يلي:

١ - أن من دخل الجنة استحق دخولها لأنه لا يشرك بالله وليس لما فعل من موبقات بخلاف ما جاء في كتاب النصارى:

(قال لهم يسوع: الحق أقول لكم إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله) [(٥)] ولم

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص٣٣٠).
(٢) لسان العرب (٤/ ٢٥٥).
(٣) لسان العرب (٤/ ٢٥٤).
(٤) البخاري (١١٦١)، مسلم (١٣٧).
(٥) متى (٢١-٣١).

يبين لنا النص لماذا يسبق الزناة والعشارون إلى الملكوت (الجنة)، وهل ارتكاب الزنى سبب للسبق إلى الجنة؟!

٢- لا يلزم من الحديث أنه يدخل الجنة ابتداء بغير سابقة عذاب.

والدليل على ذلك ما روي عن عبادة بن الصامت أنه قال:

«أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا يعضه بعضنا بعضًا، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أتى منكم حدًا فأقيم عليه فهو كفارته ومن ستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له» [1].

٣- أن هذه الذنوب كالزنى والسرقة وشرب الخمر لها عقوبات دنيوية.

قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨].

بالإضافة إلى حديث النبي ﷺ: **«إذا شربوا الخمر فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاقتلوهم»** [2].

فإذا عوقب المسلم لارتكابه هذه الجرائم بعقوبات في الدنيا، فلماذا يحرم من دخول الجنة وهو موحد لم يشرك بالله شيئًا؟

١٤- ورد عندكم في وصف الجنة أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا مقتبس من قول بولس، «ولكن كما ورد في الكتاب: ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر» [3].

الجـــــواب:

يجب أن نثبت أولاً أن نص بولس كان سابقًا للإسلام حتى تثبت عملية الاقتباس، فمتى ترجمت رسائل بولس إلى اللغة العربية؟

تضطرب المصادر النصرانية في تحديد أول ترجمة للإنجيل باللغة العربية، لكن على أفضل تقدير لا توجد ترجمة ثابتة للإنجيل قبل القرن الثاني عشر للميلاد أي بعد الإسلام بحوالي

---

(١) البخاري (٦٢٨٦)، مسلم (٣٢٢٣).

(٢) أبو داود صححه الألباني صحيحه (١٣٦٠).

(٣) رسالة بولس إلى أهل كورنثس (٢-٩)، وحسب ترجمة الفانديك "كما هو مكتوب".

٦٠٠ سنة، مما يرجح أن يكون المترجم هو الذي اقتبس ذلك التعبير من حديث النبي ﷺ.

ومما يرجح هذا الاحتمال:

أنه قد جاء في هذا النص (ولكن كما ورد في الكتاب: ما لم تره عين ولا سمعت له أذن...) أو (كما هو مكتوب..) بحسب ترجمة الفانديك، فأين جاء ذلك مكتوبًا وفي أي كتاب؟

فبولس يشير إلى أن هذه العبارة قد وردت في موضع من كتابه، والحقيقة أنها لا توجد في أي موضع من الكتاب.

جاء في هامش الترجمة الكاثوليكية على نص بولس (ص٥١٣): أنه مأخوذ من نص أشعياء: (منذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا ولم تر عين إلهًا ما خلاك يعمل للذين ينتظرونه)[(١)].

فهل هناك علاقة بين النصين؟؟ بالطبع لا.

ولذلك جاء في هامش الترجمة اليسوعية: «القديس بولس يستشهد بهذا النص في عبارة أشد إيقاعًا «ما لم تره عين ولم تسمع به أذن... «يصعب علينا اليوم أن نعرف هل يستشهد بتصرف أم هل كان لديه نص لأشعيا يختلف عن هذا النص!!»[(٢)].

فالنصوص تتغير وتتبدل من زمان لزمان، بحسب أهواء الكتبة والمترجمين ورجال الكهنوت، فهذا يزيد، وذاك ينقص، وذلك يقتبس..هكذا دواليك.

وليس أمر الاقتباس مقتصرًا على رجال الكهنوت والمترجمين فقط، بل إن بولس بنفسه كان يقتبس أيضًا ويضع في الكتاب المقدس زعموا.

والدليل على ذلك النص التالي:

«لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، كما قال بعض شعرائكم أيضًا لأننا أيضًا ذرية»[(٣)].

جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: «يقتبس الرسول بولس هنا من قصيدة لـ (أبيمندس) وهو شاعر وفيلسوف عاش في كديت قبل ستمائة سنة»[(٤)].

فبولس يقتبس من الشعراء ثم يوضع ذلك في كتاب يزعمون أنه كتاب الله وكلامه؟؟ وبعدها يزعمون أننا من نقتبس؟

لله در القائل: رمتني بدائها وانسلت.

---

(١) أشعياء (٦٤/ ٣).

(٢) هامش الترجمة اليسوعية (ص ١٦٢٩).

(٣) أعمال الرسل (١٧-٢٨).

(٤) التفسير التطبيقي (ص٢٦٢٤)، وانظر أيضًا: تفسير الكتاب المقدس (٥/ ٣٧٠).

الفصل العاشر

تساؤلات وافتراءات حول المرأة في الإسلام



١- لماذا يهين الإسلام المرأة ؟

الجـــــواب:

١- هذه المقدمة خاطئة فالإسلام أكرم المرأة بما لم يكرمها به أي تشريع على وجه الأرض، ومن يدع غير ذلك عليه أن يأتي بالدليل على ما يقول.

٢- لم تشتك امرأة مسلمة من إهانة الإسلام لها أو شعورها بالظلم مثلاً، فمن أعطى لكم توكيلاً للحديث نيابة عنها؟

٣- الأدلة قائمة على أن الإسلام أكرم المرأة كما لم تكرمها شريعة، ومن هذه الأدلة:

- قول رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا»[(١)].

- وقول رسول الله ﷺ: «حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[(٢)].

- وقول رسول الله ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»[(٣)].

ومن النصوص التي كرمت المرأة كزوجة:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

- وقول رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[(٤)].

- وقوله ﷺ: «المرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها»[(٥)].

- وقوله ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة»[(٦)]. والمتاع: ما يتنفع به لمدة مؤقتة.

ومن النصوص التي كرمت المرأة كابنة وأخت قوله ﷺ: «ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا كن له سترًا من النار»[(٧)].

---

(١) البخاري (٣٠٨٤)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) أحمد (١١٨٤٥)، والنسائي(٣٨٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٣) أحمد(٢٤٩٩٩)، والترمذي (١٠٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٦٣).

(٤) الترمذي(٣٨٣٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٧٨).

(٥) البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٣٤٠٨).

(٦) مسلم (٢٦٦٨).

(٧) صحيح الجامع (٥٣٧٢).

ومن النصوص التي كرمت المرأة كأم:

قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»؟ قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»[1].

ومن النصوص التي كرمت المرأة كأمة:

قوله ﷺ: «من كان له جارية فَعَالَهَا، فأحسن إليها، ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران»[2].

٢- هل يساوي الإسلام بين الرجل والمرأة؟

الجــــواب:

ليس من المنطق المساواة المطلقة بين المختلفين، فالمرأة ليست كالرجل، والرجل ليس كالمرأة، إنما يدعو الإسلام إلى العدل بين الرجل والمرأة لا المساواة بينهما، ولا شك أن هناك مساواة فيما لا اختلاف فيه، لكن هناك أحكام خاصة لكل منهما فيما يناسب طبيعته، وهذه الأحكام يختلفون فيها.

٣- هل وصف الإسلام المرأة بأنها ناقصة عقل؟

الجــــواب:

نعم صحيح كما ورد في الحديث الصحيح، لكن ما معنى نقصان العقل؟

هل يعني الجنون مثلاً أو التخلف العقلي، أو السفه والغفلة؟ بالطبع لا فلو كانت المرأة كذلك لم تكن مكلّفة أصلاً.

لنعرف المقصود من نقصان العقل، نقول أن العقل هو حبس النفس عن رغباتها وهواها[3]، وعلى هذا فالعقل هو أداة يتحكم بها الشخص في عواطفه.

والمرأة تحكمها في عواطفها أقل من الرجل، فالمرأة الطبيعية عاطفية بطبعها وهذا من

(١) البخاري (٥٥١٤)، ومسلم (٤٦٢١).

(٢) البخاري (٢٣٥٨)، ومسلم (٢١٩).

(٣) لسان العرب (١١/ ٤٥٨).

مميزاتها لا عيوبها.

فالمقصود من أن المرأة ناقصة عقل أنها عاطفية تحكّم عاطفتها أكثر من عقلها، ومما يؤيد هذا الفهم: أنه ذكر في نفس الحديث أن امرأة جزلة من النساء كانت تناقش النبي ﷺ، فما معنى جزلة؟ أي جيدة الرأي (١).

وقال النووي: «ذات عقل ورأي» (٢).

فهذه المرأة موصوفة بأنها ذات عقل ورأي، وهذا يدل على أن نقصان العقل ليس متعلقًا بالرأي والفكر، بل بطبيعة المرأة العاطفية، وكونها رقيقة عادة لا تتحمل الضغط النفسي الشديد كالرجال.

٤- لماذا توصف المرأة بنقصان الدين؟

الجـــــواب:

لأنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، فصلاتها أقل من صلاة الرجل، وهي لا تذم ولا تلام على ذلك بل تثاب بتركها للصلاة لأن صلاتها وقت الحيض حرام، والحرام يثاب تاركه ويعاقب فاعله، فهي مثابة بترك الصلاة والصوم في وقت الحيض.

قال ابن حجر: «وليس نقص الدين منحصرًا فيما يحصل به الإثم؛ بل في أعم من ذلك قاله النووي؛ لأنه نسبي، فالكامل مثلاً ناقص عن الأكمل، ومن ذلك الحائض لا تأثم بترك الصلاة زمن الحيض لكنها ناقصة عن المصلي» (٣).

٥- ولماذا تعير بذلك؟ لماذا يقال لها يا ناقصة الدين؟

الجـــــواب:

لا يجوز أن تعيّر النساء بذلك، ولم يكن من العادة أن يقال لهن ذلك، بل قيل لهن ذلك في موقف خاص، وقيلت في مقام الموعظة والتذكير لا الانتقاص والتعيير، حيث كان رسول الله ﷺ يأمرهن بالصدقة والاستغفار.

٦- لماذا شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟

الجـــــواب:

أولاً: ليس في كل الأحوال تكون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، بل شهادة المرأة لا

---

(١) لسان العرب (١١/ ١٠٩).
(٢) شرح صحيح مسلم (٦/ ٥٥٤).
(٣) فتح الباري (١/ ٤٧٦).

تقبل في أحوال، وتقبل منفردة في أحوال، وتقوم شهادة امرأتين مقام شهادة الرجل في أحوال، والمسألة متعلقة بطبيعة الواقعة ومدى تناسبها مع طبيعة المرأة.

ثانيًا: جرائم القتل لا تقبل فيها شهادة المرأة؛ لأن الأصل في المرأة الضعف عن مواجهة تلك المواقف الصعبة، وكذلك جريمة الزنى.

ثالثًا: في الأموال والمعاملات المالية تقوم شهادة المرأتين مقام شهادة الرجل؛ لقلة خبرة النساء عادة بمثل هذه المسائل من جهة، ولطبيعة المرأة في قلة الضبط والنسيان من جهة أخرى، ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢][(١)].

ومن تعامل مع النساء يعلم أن من طبيعتهن النسيان، وهذه نعمة عظيمة لهن، فالمرأة تنسى آلام الحمل والمخاض والولادة، وربما لو تذكرتها - وفكرت بالعقل لا بالعاطفة - لم تُقدم على الحمل مرة أخرى، وكذلك تنسى الزوجة بسرعة ما قد يحدث لها من جفاء أو تجاوزات من زوجها أو أبنائها، وبذلك تستمر الحياة الزوجية.

رابعًا: فيما لا يطلع عليه عادة إلا النساء تقبل فيه شهادة المرأة منفردة.

قال الزهري: مضت السنة أن تجوز شهادة النساء فيما لا يطلع عليه غيرهن[(٢)].

٧- لماذا يحكم الإسلام على النساء أنهن أكثر أهل النار؟

الجـــــواب:

لم يحكم الرسول ﷺ عليهن بذلك لأنهن نساء، وإنما كان يحكي ما رآه فعلاً.

قال رسول الله ﷺ: «**رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء**»[(٣)]، والحديث طويل وفيه أن الجنة والنار عرضت عليه في الصلاة.

فلو قلت مثلاً: لقد اطلعت على النتيجة وكان أكثر الراسبين من الطالبات، فهل هذا اضطهاد للطالبات أم حكاية لواقع؟

مع التنبيه أن الحديث لم يقل أكثر النساء في النار بل قال إن أكثر أهل النار من النساء، كما أن الحديث لا يخصّ المسلمات؛ بل الكافرات أولى بالنار والعذاب، ومن نظر في حال النساء الكافرات وما هن عليه من فجور تيقن من استحقاقهن لذلك.

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٣٩٧).
(٢) رواه عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، نصب الراية (٤/ ٨٠)، وانظر الطرق الحكمية لابن القيم (ص٨٨).
(٣) البخاري (١٥١٢).

٨- لماذا وصفت النساء بأنهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير؟

الجـــــواب:

هذا الوصف ليس قاعدة عامة تشمل كل النساء، فالحديث لم يقل كل امرأة تكثر اللعن وتكفر العشير، ولكن ما جاء في الحديث كان توصيفًا لواقع كان موجودًا بالفعل ومنتشر بين النساء في ذلك الوقت، وكان الرسول ﷺ يعالجه، ودليل وقوعه فعلاً هو عدم اعتراض النساء على هذا الأمر، رغم مناقشتهن في أمور أخرى.

٩- لماذا كان ميراث المرأة نصف الرجل؟

الجـــــواب:

١- الإسلام حقق مبدأ المساواة في الاستحقاق بين الرجل والمرأة على اختلاف نصيب كل منهما.

قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

٢- في اختلاف نصيب الرجل عن المرأة كانت شريعة الإسلام عادلة ونظرت لاعتبارات منها:

- الأعباء المالية على الرجل وهي ليست على المرأة مثل: المهر: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

- النفقة واجبة على الرجل دون المرأة (حتى الغنية)، ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

بالإضافة لما يتحمله الرجل من أعباء اجتماعية لا تتحملها المرأة.

فالمرأة إذًا تشارك في الميراث دون تحمل تبعات فهي تغنم ولا تغرم.

٣- هناك حالات كثيرة تأخذ المرأة فيها نصيبًا أكبر من الرجل.

مثلاً في قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ﴾ [النساء: ١١].

في هذه الحالة: البنت ترث النصف، والأب السدس، فالبنت ترث ثلاثة أضعاف الأب.

٤- هناك حالات ترث المرأة ولا يرث الرجل، ومثال ذلك: مات شخص وترك ابن وبنت وأخ شقيق.

فنصيب البنت الثلث، ولا شيء للأخ الشقيق، فالابنة - وهي امرأة - ورثت الثلث، بينما الأخ - وهو رجل - لم يرث شيئًا.

٩- لماذا دية المرأة نصف دية الرجل؟

الجــــواب:

الدية ليست ثمنًا للقتيل، وإنما شرعت لمواساة أهل القتيل ماديًا ومعنويًا، ولا شك أن الخسارة المادية بقتل الرجل أكبر.

فلو قتل مثلاً الأب والزوج العائل للأسرة تكون الخسارة المادية كبيرة بالإضافة إلى الجانب المعنوي، بخلاف قتل البنت أو الزوجة التي يلحق بها خسارة معنوية كبيرة، لكن قد لا تكون هناك خسارة مادية تذكر؛ ولهذا كانت دية الرجل ضعف دية المرأة مراعاة لهذا الجانب.

ويجب التنبه إلى أن هذه الأحكام تقام على الأصل وهو المجتمع الإسلامي، الذي يكون الرجل هو الذي يعمل ويعول النساء، في حين يكون الأصل في المرأة القرار في بيتها وتربية أولادها إلا في حالات نادرة تخرج فيها المرأة وتعمل لمصلحة أكبر مثل تعليم البنات وعلاج النساء، فلا يصح الاعتراض هنا بأن بعض النساء هن اللائي يعُلْن أسرهن وينفقن عليها لأن هذا نادر في المجتمع الإسلامي، والأحكام لا تبنى على النادر.

١٠- لماذا وصفت المرأة بأنها خلقت من ضلع أعوج؟

الجــــواب:

قال النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا»(١).

فهذه حقيقة أراد بها الرسول ﷺ الإشارة إلى طبيعة المرأة المختلفة عن الرجل في عاطفيتها وميلها إلى التزين والتجمل ونحو ذلك، فإذا لم يفهم الرجل طبيعتها وأراد أن يجعلها كالرجل تمامًا أخطأ، وإن تركها تندفع نحو عواطفها بلا ضابط انحرفت.

فما الحل: أن يصبر على طبيعتها ما لم تنحرف إلى المعاصي، فإن انحرفت قوّمها(٢).

فهل كان هذا الوصف لانتقاص المرأة؟ بالطبع لا؛ وإنما كانت وصية بالمرأة، وتأمل أن أول الحديث وآخره: «استوصوا بالنساء خيرًا».

---

(١) البخاري (٣٠٨٤)، ومسلم (٦٧).

(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٢٥٣).

١١- لماذا وصفت المرأة في الإسلام بأنها شؤم؟

الجـــــواب:

قال النبي ﷺ: «إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس»[(١)].

قال القرطبي: «لا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته فإن ذلك خطأ.

وإنما عنى أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس فمن وقع في نفسه شيء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره».

وقال المازري: «مجمل هذه الرواية إن يكن الشؤم حقًا فهذه الثلاث أحق به بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها».

وقال الخطابي: «هو استثناء من غير الجنس ومعناه إبطال مذهب الجاهلية في التطير فكأنه قال: إن كانت لأحدكم دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس يكره سيره فليفارقه»[(٢)].

فهل لذلك وجه في اللغة؟

نعم، قال ابن منظور: «إن كان الشؤم ففي ثلاث» معناه: إن كان فيما تكره عاقبته ويخاف ففي هذه الثلاث»[(٣)].

١٢- هل المرأة كالحمير والكلاب؟

الجـــــواب:

إن ما جاء في الحديث: «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب»[(٤)].

فلم يقل الحديث المرأة كالحمير والكلاب، وإنما قال إن هذه الأشياء المذكورة تقطع الصلاة.

أما قول عائشة: شبهتمونا بالحمير والكلاب، فنسأل ما وجه الشبه؟

وجه الشبه هو قطع الصلاة بالمرور بين يدي المصلي.

قال القرطبي: «هذا مبالغة في الخوف على قطعها بالشغل بهذه المذكورات، فإن المرأة تفتن،

---

(١) البخاري (٤٧٠٤)، ومسلم (٤١٢٧).

(٢) انظر أقوال القرطبي والمازري والخطابي في فتح الباري (٨/ ٨٤٨).

(٣) لسان العرب (١٢/ ٣١٤).

(٤) مسلم (٧٩٠).

والحمار ينهق، والكلب يروع؛ فيتشوش المتفكر في ذلك حتى تنقطع عليه صلاته»[١].

فاشتراك المرأة مع الحمار والكلب في حكم لا يعني أنها مثلهما، ولا يعني أي إساءة لها، فهي تقطع صلاة الرجل، بمعنى أنها قد تؤدي لانقطاع الصلاة بسبب فتنة الرجل بالمرأة وهذا أمر فطري.

فلو قلت مثلاً: في المزرعة رجل وحمار وكلب، فهل في ذلك شتم للرجال؟ وهل معناه أنك تشبه الرجل بالحمار أو الكلب لمجرد اشتراكهما في الوجود في المزرعة؟ لا يوافق على ذلك عاقل منصف أبدًا.

١٣- هل يبيح الإسلام زواج الطفلة؟ بدليل ما جاء في الآية «واللائي لم يحضن».

الجـــــواب:

على ماذا عطف قوله تعالى «واللائي لم يحضن»؟

عطف على قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ ﴾ [الطلاق: ٤].

فالآية تتحدث عن النساء لا عن طفلة.

وجاء في أسباب نزول هذه الآية: «لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال أبي بن كعب: يا رسول الله، إن نساء من أهل المدينة يقلن قد بقي من النساء من لم يذكر فيها شيء: الصغار والكبار وذوات الأحمال، فنزلت، ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ ﴾»[٢].

قال ابن بطال: «يجوز تزويج الصغيرة بالكبير إجماعًا(أي العقد عليها دون الدخول بها)...لكن لا يمكّن منها حتى تصلح للوطء»[٣]، ولا تكون صالحة للوطء إلا إذا كانت ناضجة جنسيًا، وهذه لا تكون طفلة.

وقال القاضي أبو يعلى: «متى كانت لا تصلح للوطء لم يجب على أهلها تسليمها إليه، وإن ذكر أنه يحصنها ويربيها وله من يخدمها، لأنه لا يملك الاستمتاع بها وليست له بمحلّ، ولا يؤمن شرة نفسه إلى مواقعتها فيفضّها أو يقتلها»[٤].

(١) شرح سنن النسائي للسيوطي (٣/ ١١٢).
(٢) أسباب النزول (ص٣٧١)، أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وهو في الطبري والقرطبي.
(٣) فتح الباري (٩/ ١٢٤)..
(٤) المغني (٨/ ٧٨).

وليس معنى أنهن لم يحضن أنهن غير بالغات، فالحيض من علامات البلوغ وليس هو العلامة الوحيدة، وقد تبلغ المرأة بغير الحيض كالاحتلام والحمل ونبوت شعر العانة الخشن[(١)].

١٤- لماذا يجيز الإسلام ضرب المرأة؟

الجــــواب:

لا يجيز ضرب المرأة بإطلاق، وإنما يجيز ضرب الناشز المتكبرة على زوجها العاصية له، ولا يكون ذلك إلا بعد استنفاد سبل إصلاحها.

والضرب عمومًا كوسيلة للعقاب والإصلاح ليس خاصًا في الإسلام بالمرأة فقط؛ بل هي وسيلة معتبرة في حق الرجل والمرأة سواء في الحدود أو التعزيرات، فهي تنفذ مثلاً في القاذف (٨٠ جلدة)، والزاني (١٠٠ جلدة)، وشارب الخمر (٨٠ جلدة) من الجنسين.

وفي قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]، الآية تتحدث عن صنفين من النساء:

- الصالحات القانتات، وهن غالبية المؤمنات، وهؤلاء لا سبيل لضربهن.

- الفاسدة التي تمردت على حقوق زوجها، ولا بد من بذل السبل لإصلاحها وإلا ستكون النتيجة خراب البيت والمجتمع.

فهل كانت أول وسيلة لإصلاحها هي الضرب؟ كلا.

بل رسم القرآن خطة لإصلاحها بالتدرّج على النحو التالي:

أولاً: الموعظة بالحسنى وتذكيرها بالله وترغيبها في الطاعة فإن استجابت انتهى الأمر، وعادت الحياة لطبيعتها، وإلا ينتقل إلى الخطوة الثانية.

ثانيًا: الهجر في المضجع، وهذه عقوبة نفسية في المقام الأول، ويكون لها أثر إيجابي على كثير من النساء.

فإن لم تستجب لذلك فلم يبق إلا الاتجاه إلى العقوبة البدنية، وهي الخطوة الثالثة.

ثالثًا: الضرب، وصِفَته أن يكون خفيفًا غير مبرح كما وضح الحديث: «اضربوهن ضربًا غير مبرح»[(٢)]؛ لأن المقصود هو التأديب لا الإيذاء، حتى قيل إن هذا الضرب يكون بالسواك.

---

(١) الموسوعة الطبية الفقهية ص١٦١.
(٢) مسلم (٢١٣٧).

قال عطاء: قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك ونحوه(١).

قال القرطبي: «والضرب في هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح وهو الذي لا يكسر عظمًا ولا يشين جارحة... فإن المقصود منه الصلاح لا غير»(٢).

والواقع أن أكثر النساء لا يصلن لمرحلة الضرب، فأكثر النساء المسلمات لا يقعن في النشوز أصلاً، واللائي يقعن في النشوز قلة، وأكثر من وقعن في النشوز يكفيهن الموعظة، وقليل منهن يحتجن إلى الهجر في المضجع، والنادر منهن جدًا من يصل التأديب معها إلى مرحلة العقوبة البدنية، وأولئك هن سيئات الخلق فيهن شيء من خصال الدناءة وسوء الأدب ولذلك كان الواجب تأديبهن بالضرب لإصلاحهن.

ولذلك قال القرطبي: «ويختلف الحال في أدب الرفيعة والدنيئة، فأدب الرفيعة العذل (اللوم)، وأدب الدنيئة السوط»(٣).

وعلى أي حال فالتحمل والصبر وترك الضرب أفضل وأجمل، مالم يؤدِّ ترك الضرب إلى فساد المرأة وانحرافها(٤).

وقد جاءت النصوص تحذر من ضرب النساء وتنهى عنه، ومن ذلك:

قال رسول الله ﷺ: «علام يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ثم يضاجعها من آخر الليل»(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرن النساء على أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن فقال النبي ﷺ: لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم»(٦).

١٥- ألا يمكن أن يكون النشوز من جهة الرجل؟

الجـــــواب:

بلى، وعندها يلجأ إلى الصلح.

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ١٧٣).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ١٧٢).

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ١٧٤).

(٤) عون المعبود، للعظيم آبادي (١٢/ ٥٦)

(٥) البخاري (٤٨٠٥)، وأحمد (١٥٦٣٢) وهذا لفظه.

(٦) أبو داود (١٨٣٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٤٦).

قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

على أن نشوز الرجل ليس كالمرأة، لأنه ليس مأمورًا بطاعتها وليست هي قوامة عليه، لكن عندما يحدث ما يسوءها منه فهناك إجراءات كثيرة تضمن حقوقها بحسب نوع التقصير، لكن لا بد في النهاية من إزالة الضرر.

١٦- هل يمثل الزواج بأربع نساء ظلم وامتهان لكرامة المرأة؟

الجـــــواب:

١- هذه النظرة للتعدد تعد نظرة أنانية تعتني بمصلحة امرأة بعينها وهي الزوجة الأولى، لأن التعدد يكون في مصلحة الزوجة الثانية والثالثة والرابعة وإلا لم تقدم عليه، فلماذا ينظر لمصلحة زوجة واحدة، ولا ينظر إلى مصلحة الزوجات الأخريات؟ ولماذا الأثرة والأنانية والدعوة للاستئثار بالزوج؟

٢- شرط هذا التعدد هو العدل بين الزوجات، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] فالظلم ممنوع محرم في الإسلام، وكذلك فإن الأصل في التعامل بين الزوج وزوجه هو المعاملة بالمعروف ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

٣- الزواج يكون برضا الزوجة وولي أمرها، وهي تعلم مسبقًا أن للزوج أن يعدد، ولها أن تشترط عليه عدم الزواج.

٤- إحصاءات المواليد في العالم تثبت أن عدد النساء أكبر من الرجال، وكذلك فإن موت الرجال أكثر لاشتراكهم في الحروب والمعارك، فإذا لم يكن هناك تعدد ستواجه النساء مشاكل العنوسة.

٥- هناك بعض المشكلات الاجتماعية، يكون حلها التعدد، مثل:

أ- امرأة عقيم لا تلد، وزوجها يحتاج الولد ويتمناه، فهل يطلقها ويتزوج بغيرها بحثًا عن الولد، أم يبقي على زوجته الأولى ويتزوج بالأخرى؟

ب- امرأة مريضة لا تستطيع أداء الحقوق الزوجية، ماذا يفعل زوجها؟ هل الأفضل أن يطلقها ويتزوج بغيرها، أم يبقي على زوجته الأولى ويتزوج بالأخرى؟

ومن هنا يتبين أن التعدد يكون في كثير من الحالات في مصلحة الزوجة الأولى أيضًا،

وليس فقط في مصلحة الزوج أو الزوجات الأخريات فقط.

جـ- أرملة ذات عيال وتحتاج لمن يعولها ويعفها، وهي غالبًا سيعرض عنها الرجل العزب غير المتزوج؛ لأنه عادة يبحث عن بكر، لكن عادة يرغب في زواجها كثير من المتزوجين وهذا أمر معلوم ومشاهد في الواقع.

٦- أهل الأديان لا ينبغي لهم إنكار التعدد لأنه سنة الأنبياء الذين عدّدوا كما هو مذكور في كتبهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال: إبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام جميعًا.

٧- أهل الإلحاد أيضًا لا ينبغي لهم إنكار التعدد، وقد أباحوا تعدد العشيقات والخليلات باسم الحرية، فمن يبيح الزنى لا ينبغي أن ينكر على من يطلب الحلال.

١٧- لماذا لا يباح التعدد للنساء أيضًا؟

الجـــــواب:

هذا لا تقبله امرأة عفيفة وإنما تطلبه من احترفت البغاء، ولا يقبله رجل شريف، بل لا يقبله إلا الديوث فاقد الرجولة والغيرة.

بل لا تقبل ذكور كثير من الحيوانات أن تشارَك في أنثاها.

ثم إن أشرف خلق الله الأنبياء من سنتهم التعدد، ولكن هل نعلم اسم امرأة شريفة واحدة عددت الأزواج؟ إن القول بجواز تعدد الأزواج لزوجة واحدة هو أكبر مهانة للمرأة الشريفة، ولا يطالب بذلك إلا من يحبون أن تشيع الفاحشة في الناس.

١٨- الله خلق لآدم حواء واحدة؟ فلماذا لم يخلق له أكثر من امرأة؟

الجـــــواب:

هل كان خلق الله لحواء واحدة على سبيل التشريع الذي لا يمكن مخالفته؟

كلا بالطبع والدليل على ذلك:

١- أن التعدد فعله كثير من الأنبياء بإقرار الله لهم وكان ذلك بعد آدم.

٢- أن من شريعة آدم إباحة زواج الأخت بأخيها كما فعل أبناء آدم، فهل يدعي أحد الآن جواز ذلك، ويقول لماذا لم يخلق الله لأبناء آدم نساء غير أخواتهم؟

٣- إذا كنا سنحتج بسنة الخلق فلماذا لا نعمم ذلك على كل المخلوقات، فنقول لكل ديك دجاجة واحدة، ولكل ثور بقرة واحدة وهكذا.

ليس معنى ذلك أننا نساوي بين الإنسان والحيوان، لكني أقول إن الاحتجاج بسنة الخلق على أنها تشريع لا يمكن مخالفته يجب أن يعمم على كل المخلوقات، وهذا لا يقول به عاقل لأنه يؤدي إلى مفاسد عظيمة.

١٩- لماذا وصفت المرأة بأنها فتنة؟ أليس هذا إهانة للمرأة؟

الجـــــواب:

الفتنة لها معانٍ في اللغة منها معنى: الاختبار [١] وهو المعنى المقصود في حديث النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» [٢]. فرغبة الرجل في المرأة وميله الفطري نحوها يجعل الاختبار بشهوة النساء أكبر من الاختبار بغيرها، وبنفس المعنى فالرجل أيضًا فتنة للمرأة.

وهكذا الأموال والأبناء تسمى فتنة لأن الإنسان يختبر بها أيضًا كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وليس معنى كونها فتنة أنها شر، فالابتلاء والاختبار يكون بالخير والشر كما قال الله ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

٢٠- لماذا وصفت المرأة أنها عورة؟ أليس هذا إهانة للمرأة؟

الجـــــواب:

جاء هذا الوصف في حديث عن النبي ﷺ حيث قال: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**» [٣].

وفي قوله ﷺ: (**المرأة عورة**) جعل المرأة نفسها عورة لأنها إذا ظهرت يستحي منها المؤمن كما يستحي من العورة إذا ظهرت، والعورة هي كل ما يستحي منه إذا ظهر.

وقيل إن المقصود إنها ذات عورة، لأن جسد المرأة كله عورة.

وقوله ﷺ: (**فإذا خرجت استشرفها الشيطان**) أي زينها في نظر الرجال لينظروا لها، أو نظر إليها الشيطان نفسه ليغويها ويغوي الرجال بها، فمعنى الاستشراف رفع البصر للنظر إلى الشيء.

والمعنى أن المرأة لا يستحب خروجها وظهورها بغير حاجة؛ لأنها إذا خرجت أمعن

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٧٠٦).

(٢) البخاري (٤٧٠٦)، ومسلم (٤٩٢٤).

(٣) الترمذي (٤٧٠٦) وصححه الألباني في المشكاة (٣١٠٩)، والإرواء (٢٧٣).

الشيطان النظر إليها ليغويها بغيرها ويغوي غيرها بها ليوقعهما أو أحدهما في الفتنة، وذلك بأن يزينها في نظر الرجال ليطمعوا فيها ويفتنوا بها، وكذلك يغويها بالرجال لتفتتن هي بهم (١)، فهل في هذا المعنى أي إهانة للمرأة؟!

٢١- لماذا يصف الإسلام المرأة بأنها شيطان؟

والدليل قوله ﷺ: (إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان) (٢).

لم يقل الحديث أن المرأة شيطان، وإنما تأتي في صورة شيطان، لأن الشيطان يغوي بها الرجال ويدعوهم إلى النظر إليها والفتنة بها.

قال النووي: «(إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان) قال العلماء: معناه: الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له، ويستنبط من هذا أنه ينبغي لها ألا تخرج بين الرجال إلا لضرورة، وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها، والإعراض عنها مطلقًا» (٣).

٢٢- لماذا لا يوجد جزاء للمرأة المسلمة في الجنة؟ لماذا كل النعيم للرجال؟

هذا الكلام غير صحيح، فللمرأة نعيم في الجنة كالرجل ومن الأدلة على ذلك:

- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

- ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

- ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢].

- ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي (٤/ ٢٨٣).

(٢) مسلم (١٤٩١).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ٧٥).

٢٣- ولكن ذكر أن الرجال لهم حور عين ونعيم جنسي ولم يذكر مثل ذلك للمرأة، أليس هذا ظلم للمرأة؟

الجـــــواب:

١- المرأة لها النعيم في الجنة بكل أنواعه بما فيه الجنسي، وتكون مع زوجها المؤمن في الآخرة بدليل قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾.

- وقوله تعالى: ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾.

- وقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾.

٢- عدم النص على مالهن في مقابل ما للرجال من حور عين؛ لأن طبيعة المرأة الحياء الشديد كما هو معلوم، والإسلام يأتي دائمًا بما يحفظ حياءها، فالمرأة لا تشوق للجنة بما يجرح حياءها ولا يحفظه من ذكر نعيم جنسي ونحوه.

٣- المرأة من كرامتها أن تكون هي المرغوبة لا الراغبة والمطلوبة لا الطالبة، ولذلك حفظ لها الإسلام هذه الكرامة أيضًا.

فالإسلام بذلك حفظ للمرأة حياءها وكرامتها.

٤- الرجل طبيعته مختلفة فهو لا يشينه ولا يستحي أن يطلب المرأة ويظهر رغبته فيها بخلاف المرأة.



الفصل الحادي عشر

افتراءات متنوعة
حول القرآن والسنة



١- ما المقصود برضاع الكبير في الإسلام؟ وهل يتفق مع الأخلاق أن ترضع المرأة المسلمة رجلاً كبيرا؟

الجـــــواب:

أولاً: رضاع الكبير جاء في الشرع مقصورًا على حالة واحدة هي حالة سالم مولى أبي حذيفة، وقصتها كما جاء في صحيح مسلم عن عائشة: «أن سالمًا مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأتت تعني ابنة سهيل (أي سهلة زوجة أبي حذيفة) النبي ﷺ فقالت: إن سالمًا قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوا وإنه يدخل علينا وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئًا، فقال لها النبي ﷺ: **أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة** فرجعت فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة»[١].

وجاء تفصيل أكثر للقصة عند أبي داود وفيها «أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس كان تبنى سالمًا وأنكحه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامرأة من الأنصار كما تبنى رسول الله ﷺ زيدًا وكان من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث ميراثه حتى أنزل الله ﷻ في ذلك ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ إلى قوله ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ فردوا إلى آبائهم فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخًا في الدين. فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشي ثم العامري وهي امرأة أبي حذيفة فقالت: يا رسول الله إنا كنا نرى سالمًا ولدًا وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد ويراني فُضلاً (أي في ثياب البيت) وقد أنزل الله ﷻ فيهم ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟ فقال لها النبي ﷺ: أرضعيه، فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة»[٢].

ثانيًا: ليس المقصود بالرضاع هنا التقام الثدي، بل حلبت سهلة بنت سهيل لبنًا في إناء وأعطته لسالم فشربه، ومما يدل على أن الرضاع لم يكن بالتقام الثدي:

١ - أن سالمًا بعد إلغاء التبني صار أجنبيًا عن سهلة يجب أن تلبس حجابها أمامه، ولا يجوز له أن ينظر إليها بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٣٧).
(٢) أبو داود (١٧٤٦).

كما لا يجوز له أن يلمسها في أي موضع في جسمها - حتى لو كان كفّها - بدليل قول رسول الله ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمسّ امرأة لا تحل له»[(١)].

فإن كان الأمر كذلك فكيف يمكن لها أن تكشف عن ثديها وأن يلمسه؟ لا ريب أن هذا لم يحدث، قال ابن قتيبة: «قال لها: أرضعيه، ولم يرد ضعي ثديك في فيه كما يفعل بالأطفال، ولكن أراد احلبي له من لبنك شيئًا ثم ادفعيه إليه ليشربه، ليس يجوز غير هذا؛ لأنه لا يحل لسالم أن ينظر إلى ثدييها إلى أن يقع الرضاع، فكيف يبيح له ما لا يحل له وما لا يؤمن معه من الشهوة، ومما يدل على هذا التأويل أيضًا أنها قالت: يا رسول الله أرضعه وهو كبير، فضحك وقال: ألست أعلم أنه كبير، وضحكه في هذا الموضع دليل على أنه تلطف بهذا الرضاع لما أراد من الائتلاف ونفي الوحشة»[(٢)].

٢- من الناحية العقلية لا يمكن أن يكون الرضاع قد حدث بالتقام الثدي، لأن أبا حذيفة كان يغار من مجرد دخول سالم إلى البيت وزوجته فيه، فكيف يسمح هذا الرجل الغيور لزوجته أن تكشف عن ثديها لسالم ليرضع منه؟

٣- الرضاع يمكن شرعًا أن يتم بدون التقام الثدي، فإن المعتبر في الرضاع هو وصول اللبن إلى الجوف بأي طريقة كانت، فإذا كان من الممكن أن يتم الرضاع من خلال أن تحلب له في الإناء ويشربه، فما الضرورة هنا لارتكاب أمر محرم بكشف العورة ولمسها وهذا لا يجوز شرعًا إلا لضرورة أو حاجة شديدة؟

٤- نقل ابن عبد البر اتفاق العلماء على عدم جواز أن تكون الرضاعة هنا بالتقام الثدي، حيث قال في التمهيد: «هكذا إرضاع الكبير كما ذكر: يحلب له اللبن ويسقاه، وأما أن تلقمه المرأة ثديها كما تصنع بالطفل فلا؛ لأن ذلك لا يحل عند جماعة العلماء، وقد أجمع فقهاء الأمصار على التحريم بما يشربه الغلام الرضيع من لبن المرأة وإن لم يمصه من ثديها»[(٣)].

٥- جاء في ترجمة سهلة في الطبقات الكبرى لابن سعد، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر أنها: «كانت تحلب في مسعط أو إناء قدر رضعته فيشربه سالم في كل يوم حتى مضت خمسة

(١) رواه الروياني في مسنده (٢/ ٢٢٧)، وقال المنذري في الترغيب (٣ / ٦٦): رواه الطبراني، والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٦).

(٢) تأويل مختلف الحديث (١/ ٣٠٨).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١١/ ٣٧٥).

أيام، فكان بعد يدخل عليها وهي حاسر؛ رخصة من رسول الله ﷺ لسهلة»[١].

٢- اعتراض: إذا كان الرضاع ليس بالتقام الثدي كما تقولون فلماذا اعترضت سهلة وقالت: إنه رجل كبير وذو لحية؟

هو لم يكن اعتراضًا منها، ولكنها تعجبت من أن يكون الرضاع في هذا السن معتبرًا وتثبت به حرمة الرضاع، لأنها تعلم أن الأصل أن يكون الرضاع المحرم في سن الرضاعة فقط أي في الحولين، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**انظرن من إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة**»[٢].

وقال: «**لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام**»[٣].

فتعجبها كان من ثبوت حرمة الرضاع لسالم في هذا السن لأنه خلاف الأصل، وليس في كلامها ما يدل على أنها فهمت أن الرضاعة بالتقام الثدي.

٣- وهل يسمى شرب اللبن بدون التقام الثدي رضاعة؟

الأشهر في الرضاع أن يكون بمص الثدي لكن ذلك لا يشترط لا لغة ولا شرعًا، فإن الرضاع في اللغة يطلق على شرب اللبن سواء كان مصدره ثدي المرأة أو ضرع الشاة، قال ابن فارس: «رضع: الراء والضاد والعين أصل واحد وهو: شرب اللبن من الضرع أو الثدي»[٤]. ووافقه أبو البقاء الكفوي في الكليات فقال: «الرضاع كالرضاعة بفتح الراء وبكسرها: شرب اللبن..»[٥].

وقال ابن سيده في المخصص: «رضع الصبي: شرب اللبن»[٦].

وكذلك من الناحية الشرعية فقد أجمع العلماء على أن الرضاعة لا يشترط فيها مص الثدي، قال ابن عبد البر في التمهيد: «وقد أجمع فقهاء الأمصار على التحريم بما يشربه الغلام الرضيع من لبن المرأة **وإن لم يمصه من ثديها**»[٧].

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٢٧١)، والإصابة (٤/ ١١).

(٢) البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (٢٦٤٢).

(٣) الترمذي (١٠٧٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئًا، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٦٣٣).

(٤) معجم مقاييس اللغة (ص٤٠٧).

(٥) الكليات (ص٧٦١).

(٦) المخصص (٣/ ٤٧٣).

(٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١١/ ٣٧٥).

٤- لماذا لم يقل لها النبي ﷺ احلبي له في إناء، وقال: أرضعيه؟

التعبير بالإرضاع هنا كان مهمًا لبيان أن عملية شرب اللبن هذه ستأخذ حكم الرضاع المحرِّم رغم أنها لم تكن في الحولين.

والرسول ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، فيعبر بالألفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة، فبدلاً من أن يقول لسهلة: اذهبي احلبي له في إناء ثم أعطيه إياه ليشربه، وهذا سيعتبر رضاعًا محرِّمًا رغم أنه ليس في الحولين، فعبر عن كل ذلك في كلمة واحدة هي: أرضعيه، فوضح لها ماذا تفعل والحكم المترتب على فعلها بكلمة واحدة وهذا من بلاغته ﷺ.

٥- فماذا تقولون في بعض علماء المسلمين الذين قالوا بجواز أن تكون الرضاعة بالتقام الثدي؟

نقول إنهم - على جلالة قدرهم - بشر يخطئون ويصيبون، وقولهم ليس حجة لا سيما وقد خالف القرآن والسنة والمعقول، بل وخالف اتفاق أكابر العلماء الذي بينه ابن عبد البر فيما نقلناه عنه آنفًا.

٦- يزعم بعض أعداء الدين أن كلمة (النكاح) كلمة قبيحة تدل على العملية الجنسية بين الرجل والمرأة، فكيف تأتي في كتاب الله؟

الجـــــواب:

النكاح في اللغة في الأصل هو عقد الزواج، وقد يأتي بمعنى العقد بدون الدخول، أو العقد بالدخول، وقد يكنى به أحيانًا عن الجماع أيضًا.

قال الراغب: «أصل النكاح للعقد، ثم استعير للجماع، ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد، لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره.. ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشًا اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه»(١).

وقال الفيروز آبادي: «نَكَحَ فلان امرأة يَنْكِحُها نِكاحاً إذا تزوجها، ونَكَحَها يَنْكِحُها باضعها أيضاً»(٢).

وقال ابن فارس: «والنكاح يكون العقد دون الوطء، يقال نَكَحْتُ: تزوَّجْتُ»(٣).

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص٨٢٣).

(٢) القاموس المحيط (ص٢٢٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (ص١٠٤٧).

وقال ابن منظور: «نكَح المرأة ينكحها وينكَحها نِكَاحًا وطئها أو تزوَّجها، ويقال: نكَحها أي عقدها وزوَّجها للوطء، ويقال: نكَحت المرأة إذا تزوَّجت، فهي ناكِح وناكِحة أي ذات زوج، ويقال للمرأة حللتِ فانكحي أي فتزوَّجي»(١).

أما القول إن النكاح لا تكون إلا للجماع فقط فهذا خطأ لم يقل به أحد من علماء اللغة، وهو قول يدل على جهل قائله، ومن الأدلة على خطأ هذا القول:

- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ [الأحزاب:٤٩].

ففي هذه الآية قال: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ ثم قال ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ فإذا كان النكاح هو الجماع فكيف حدث بغير مسّ؟ لا شك أن النكاح هنا بمعنى عقد الزواج.

- قول الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾[النساء:٢٥]. فلو كان النكاح هو الجماع أو ممارسة العملية الجنسية، فهل يحتاج إذن الأهل فيه؟

قال ابن منظور: «لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله تعالى إلا على معنى التزويج»(٢).

- وعن النبي ﷺ أنه قال: «لا نكاح إلا بولي»(٣). وفي رواية: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»(٤).

وصح ابن عباس قوله: «لا نكاح إلا بشاهدي عدل وولي مرشد» (٥).

فهل يمكن أن يكون النكاح هنا هو الجماع؟ هل يلزم في الجماع حضور الولي وشاهدين؟! ما أشد جهالة ذاك المدعي أن النكاح لا يكون إلا بمعنى الجماع!

٧- كيف يكون النكاح بمعنى الزواج وقد جاء في الحديث: «سبعة لا ينظر الله ﷻ إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول: ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول به، والناكح يده، وناكح البهيمة، وناكح المرأة في دبرها..»؟

هذا الحديث ضعيف، قال ابن حجر: «حديث: «ملعون من نكح يده»، رواه الأزدي في الضعفاء، وابن الجوزي من طريق الحسن بن عرفة في جزئه المشهور، من حديث أنس بلفظ:

---

(١) لسان العرب (٢/ ٦٢٥).
(٢) لسان العرب (٢/ ٦٢٥).
(٣) أبو داود (١٧٨٥)، والترمذي (١٠٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٥٥).
(٤) جاء في إرواء الغليل (٦/ ٢٥١) حديث عمران بن حصين مرفوعًا: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»، ذكره أحمد في رواية ابنه عبد الله ورواه الخلال (ص ١٥٨) وهو صحيح.
(٥) انظر إرواء الغليل (٦/ ٢٥١).

«سبعة لا ينظر الله إليهم» - فذكر منهم - «الناكح يده».

وإسناده ضعيف، ولأبي الشيخ في كتاب الترهيب من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي، وكذلك رواه جعفر الفريابي من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف» (١).

وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: «ضعيف، رواه ابن بشران من طريق عبد الله بن لهيعة عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا، قلت: وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن لهيعة وشيخه الإفريقي، فإنهما ضعيفان من قبل حفظهما، وقد أورد المنذري في «الترغيب» (٣ / ١٩٥) قطعة من الحديث، وقال: رواه ابن أبي الدنيا والخرائطي وغيرهما، وأشار لضعفه» (٢).

وقال الحويني: «أما الحديث: (سبعة لا ينظر ...)؛ فإنه حديث منكر: أخرجه الحسن بن عرفة في (جزئه)، ومن طريقه البيهقي في (الشعب)، قال: حدثني علي بن ثابت الجزري، عن مسلمة بن جعفر، عن حسان بن حميد، عن أنس مرفوعًا، قال الذهبي في (الميزان) (٤ / ١٠٨) في ترجمة مسلمة هذا: (عن حسان بن حميد عن أنس في سب الناكح يده، يجهل هو وشيخه، قال الأزدي: ضعيف)، وذكره الحافظ ابن كثير في (تفسيره) في سورة (المؤمنون) وقال: (هذا حديث غريب، وإسناده فيه من لا يعرف لجهالته)» (٣).

وبافتراض صحة الحديث فلا دلالة فيه، فكما أنه لا يمكن أن يكون النكاح هنا بمعنى الزواج حقيقة، فكذلك لا يمكن أن يكون بمعنى الوطء أو الجماع على الحقيقة، لأن الشخص لا يجامع يده، وإن قلنا إنه مجاز فلا يصلح حجة للمعترض هنا.

٨- هل يأمر الإسلام بشرب بول البعير؟ وكيف يكون ذلك؟

الجـــــواب:

لا يأمر الإسلام بشرب بول البعير، وإنما أشار الرسول ﷺ على بعض المرضى أن يشربوا منه، ففعلوا فصحوا وتم شفاؤهم.

فعن أنس رضي الله عنه قال: «قدم على النبي ﷺ نفر من عكل فأسلموا فاجتووا المدينة (أي

(١) تلخيص الحبير (١٦٦٦).
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٤٩٠).
(٣) الفتاوى الحديثية (ص٣١١).

مرضوا)، فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا..»[1].

فبول الإبل ليس مشروبًا يشرب لإرواء العطش أو للتفكه؛ وإنما هو علاج نافع، وتدل الرواية على أن المرضى لما أخذوه انتفعوا به وشفوا من مرضهم.

فبول الإبل يختلف بصورة أو بأخرى عن بول الثدييات الأخرى في محتوياته؛ لذا كان العرب في السابق وما يزالون حتى اليوم يستخدمون بول الإبل لعدة أغراض مختلفة، وكان العرب في الماضي قبل وجود المطهرات الطبية يغسلون الجروح والقروح وينظفونها بأبوال الإبل البكارى من النوق، إضافة على ذلك فإنهم إذا أحسوا بخمول الجسم أو الآلام في الأمعاء فإنهم يشربون من أبوال وألبان الإبل فيشفون من أمراضهم[2].

فهل يخالف ذلك العلم الحديث؟

قامت الدكتوره أحلام العوضي بجامعة الملك عبدالعزيز بدراسة بول الإبل على الفطريات والبكتريا وانتهت دراستها بصناعة مستحضر تحت مسمى (وزرين) من بول الإبل يستخدم كمضاد حيوي واسع المدى أظهر فعالية علاجية ضد الفطريات والبكتريا والخمائر وعلاج الأمراض الجلدية مثل الإكزيما والحساسية وحب الشباب والحساسية للجروح والحروق وإصابة الأظافر بالفطريات وأصابع الأقدام وكذلك الصدفية، ويمتاز المستحضر المذكور بدرجة أمان قوية حيث لا توجد له أضرار جانبية وكذلك رخص ثمنه.

وقام البروفيسور أحمد عبد الله محمداني بدراسة على مرض الاستسقاء حيث قام بدراسة تجريبية دقيقة استمرت (١٥) يوماً أجراها على (١٥) مريضاً مصاباً بمرض الاستسقاء وكانت بطونهم منتفخة بالماء بشكل كبير قبل بداية التجربة العلاجية، وقد قام بإعطاء كل مريض يوميًا جرعة محسوبة من بول الإبل مخلوطاً بلبنها لكي يكون مستساغاً، وبعد (١٥) يوماً من بداية التجربة كانت النتيجة مذهلة إذ زال الانتفاخ وعادت بطونهم جميعاً لوضعها الطبيعي وبالتالي شفوا من الاستسقاء.

كما قام البروفيسور محمداني بدراسة على مرض تليف الكبد حيث قام بهذه الدراسة وطبقها على (٢٥) مريضًا بالكبد منهم (١٥) تحتوي على شمع والباقي مصاب بتليف الكبد بسبب مرض

---

(١) البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (٣١٦٢).

(٢) بحث منشور للأستاذ الدكتور جابر بن سالم القحطاني في جريدة الرياض الاثنين ٣٠/ ١١/ ١٤٢٨ هـ.

البلهارسيا وعالجهم بتناول جرعات يومية محددة من بول الإبل لمدة شهرين، واستجابوا جميعهم للعلاج ببول الإبل، واستمر بعضهم برغبتهم في شرب جرعات من بول الإبل يومياً لمدة شهرين آخرين، وبعد نهاية تلك الفترة أثبت التشخيص شفاءهم تماماً من تليف الكبد.

وأوضح البروفيسور محمداني المكونات الموجودة فى بول الابل حيث قال أنه يحتوى على كمية كبيرة جدًا من البوتاسيوم، ويحتوى أيضًا على زلال بالجرامات ومغنسيوم؛ لأن هذه الإبل لا تشرب فى فصل الصيف سوى (٤) مرات فقط ومرة واحدة فى الشتاء، وهذا يجعلها تحتفظ بالماء فى جسمها فالصوديوم يجعلها لا تدر البول كثيرًا لأنه يرجع الماء الى الجسم، ومعروف أن مرض الاستسقاء إما نقص فى الزلال أو فى البوتاسيوم وبول الإبل غنى بالاثنين معًا.

وفي رسالة الماجستير المقدمة من مهندس تكنولوجيا الكيمياء التطبيقية محمد أوهاج محمد، التي أجيزت من قسم الكيمياء التطبيقية بجامعة «الجزيرة» بالسودان، واعتمدت من عمادة الشئون العلمية والدراسات العليا بالجامعة في نوفمبر ١٩٩٨م بعنوان: «دراسة في المكونات الكيميائية وبعض الاستخدامات الطبية لبول الإبل العربية» يقول محمد أوهاج: إن التحاليل المخبرية تدل على أن بول الجمل يحتوي على تركيز عالٍ من: البوتاسيوم، والبولينا، والبروتينات الزلالية، والأزمولارتي، وكميات قليلة من حامض اليوريك، والصوديوم، والكرياتين.

وأوضح في هذا البحث أن ما دعاه إلى تقصي خصائص بول الإبل العلاجية هو ما رآه من سلوك بعض أفراد قبيلة يشربون هذا البول حينما يصابون باضطرابات هضمية، واستعان ببعض الأطباء لدراسة بول الإبل؛ حيث أتوا بمجموعة من المرضى ووصفوا لهم هذا البول لمدة شهرين، فصحّت أبدانهم مما كانوا يعانون منه، وهذا يثبت فائدة بول الإبل في علاج بعض أمراض الجهاز الهضمي[1].

وذكر في مصر أن علاج أمراض الكبد والكلى يمكن أن يتم لمدة (٢١) يومًا باستعمال (١٠٠ ملي) من بول الإبل الصغيرة صباحاً ومساء مع برنامج غذائي يعتمد على زيت الزيتون مع الامتناع عن الأكل قبلها وبعدها بأربع ساعات مع التركيز على حليب الإبل حتى الشبع[2].

ومن المعلوم لدى المتخصصين أن من فروع الطب البديل علمًا يسمي العلاج بالبول Urine Therapy نشرت فيه الكثير من الكتب والأبحاث وعقدت له مؤتمرات متخصصة.

---

(١) «مجلة الجندي المسلم» العدد ١١٨، ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ ١ / ١ / ٢٠٠٥ م.
(٢) بحث منشور للأستاذ الدكتور جابر بن سالم القحطاني في جريدة الرياض الاثنين ٣٠ / ١١ / ١٤٢٨ هـ

بل هناك أدوية متوفرة بالصيدليات مصنعة من الأبوال أو يدخل في مكوناتها، وأنتجت شركات أدوية سويسرية بعض الأدوية لعلاج أمراض الكبد والقلب مصنعة من الأبوال، وقد نشر المعهد القومي للأدوية والصحة بأمريكا بحثًا يتناول النتائج الأولية لأبحاث العلاج ببول الإبل تحت عنوان:

Effect of camel urine on the cytological and biochemical changes induced by cyclophosphamide in mice.

وهناك بحث آخر حديث نشرته: هيئة أبحاث الثروة الحيوانيه والبيئة والتنمية:

Livestock Environment and Development (LEAD)

التابعة لمنظمة الأغذية والزراعة بالأمم المتحدة وكان البحث عن العلاج بألبان الإبل وأبوالها ونجاحها الكبير في علاج الكثير من الأمراض وكان البحث بعنوان:

Traditional Medicinal Value of Camel in Babilie and Kebribeyah Woredas of the Jijiga Zone ،Somali Region, Ethiopia.

فهل يملك من ينكر علينا موضوع بول البعير دليلاً علميًا واحدًا على ضرر أبوال البعير أو عدم نفعها؟ أم هو مجرد الرغبة الحاقدة في الهجوم على الإسلام؟

٦- يزعم بعض الحاقدين على الإسلام أن ما جاء في القرآن عن أطوار الجنين يخالف الحقائق العلمية، فما مدى صحة هذا؟

الجـــــواب:

هذا مما يحتاج لشهادة أهل الاختصاص من الأطباء، أما مجرد ادعاء من جاهل نصب نفسه طبيبًا ليتحدث في مسائل طبية متخصصة بلا حريجة من عقل أو حياء ليخالف أقوال أهل الاختصاص، فلا قيمة له.

وبما أنني لست من أهل الاختصاص في هذه المسألة فسأضطر أن أنقل عن المتخصصين، وسأكتفي في هذا الصدد بالبروفيسور كيث مور صاحب كتاب:

(أطوار خلق الإنسان: The Developing Human)، وهو مرجع علمي عالمي مترجم بثماني لغات.

وقد كونت لجنة في أمريكا على أعلى مستوى لاختيار أحسن كتاب في العالم ألفه مؤلف

واحد وكان هذا الكتاب هو الفائز عند تلك اللجنة.

وقد التقى عدد من علماء المسلمين من هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالبروفيسور كيث مور ودار بينهم حوار منشور وموثق بالصوت والصورة على موقع الهيئة على شبكة المعلومات الدولية، وإليكم ما جاء على الموقع:

«التقينا به وعرضنا عليه كثيراً من الآيات والأحاديث المتعلقة بمجال تخصصه في علم الأجنة فاقتنع بما عرضنا عليه وقلنا له: إنك ذكرت في كتابك القرون الوسطى وقلت إن هذه القرون لم يكن فيها تقدم لعلم الأجنة بل لم يعلم فيها إلا الشيء القليل وفي هذه العصور عندكم كان القرآن ينزل عندنا، وكان محمد ﷺ يعلم الناس الهدي الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى وفيه الوصف الدقيق لخلق الإنسان ولأطوار خلق الإنسان، وأنت رجل عالمي فلماذا لم تنصف وتضع في كتابك هذه الحقائق؟

فقال: الحجة عندكم وليست عندي قدموها لنا ففعلنا فكان هو كذلك عالماً شجاعاً، فوضع إضافة في الطبعة الثالثة وهي الآن منتشرة في العالم بثماني لغات يقرؤها أكابر العلماء في العالم الذين ينطقون باللغة الإنجليزية والروسية والصينية واليابانية والألمانية والإيطالية واليوغوسلافية والبرتغالية، أكابر العلماء في العالم الناطقون بهذه اللغات يقرؤون ما أضافه البروفيسور كيث مور في هذا الباب.

يقول البروفيسور كيث مور في كتابه تحت عنوان «العصور الوسطى»:

كان تقدم العلوم في العصور الوسطى بطيئاً ولم نعلم عن علم الأجنة إلا الشيء القليل وفي القرآن الكريم الكتاب المقدس لدى المسلمين ورد أن الإنسان يخلق من مزيج من الإفرازات من الذكر والأنثى وقد وردت عدة إشارات بأن الإنسان يخلق من نطفة من المني وبين أيضاً أن النطفة الناتجة تستقر في المرأة كبذرة بعد ستة أيام، والمعروف أن البيضة الملقحة بعد أن تكون قد بدأت في الانقسام تبدأ في النمو بعد ستة أيام من الإخصاب ويقول القرآن الكريم أيضاً: إن النطفة (المني) تتطور لتصبح قطعة من دم جامد (علقة) وأن البُيضة الملقحة بعد أن تكون قد بدأت في الانقسام أو أن البُيضة الملقحة التي بدأت بالانقسام أو الحمل المجهض تلقائياً يمكن أن تشبه العلقة ويمكن رؤية مظهر الجنين في تلك المرحلة يشبه العلقة.

ويكون مظهر الجنين في هذه المرحلة يشبه شيئاً ممضوغاً كاللبان أو الخشب ويظهر وكأن

فيها آثار الأسنان التي مضغتها، ولقد اعتبر الجنين في الشكل الإنساني بعد مضي أربعين أو اثنين وأربعين يوماً ولا يشبه بعدها جنين الحيوان؛ لأن الجنين البشري يبدأ باكتساب مميزات الإنسان في هذه المرحلة»... قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾، إن الجنين يتطور داخل ثلاثة حجب مظلمة، وهذا قد يشير إلى:

١- جدار البطن الخارجي للمرأة.

٢- جدار الرحم.

٣- الغشاء الداخلي الذي يحيط بالجنين مباشرة.

وقد اقتنع الأستاذ كيث مور أيضًا بأن التقسيم الذي تقسم إليه أطوار الجنين في بطن أمه الآن في العالم كله تقسيم صعب غير مفهوم ولا ينفع في فهم مراحل تطور الجنين، ذلك لأنه يقسم المراحل تقسيماً رقمياً أي المرحلة الأولى، والثانية، الثالثة، الرابعة وهكذا....

أما التقسيم الذي جاء به القرآن فلا يعتمد على الأرقام بل يعتمد على الأشكال المتميزة الجلية فكانت التقسيمات في كتاب الله «نطفة-علقة- مضغة-عظام-كساء العظام باللحم- النشأة خلقاً آخر» وهناك تفاصيل متفاوتة في كل منها.

وعن هذه التقسيمات القرآنية التي تعتمد على الشكل المحدد المتميز عن الشكل الآخر قال البروفيسور كيث مور: هي تقسيمات علمية دقيقة، وتقسيمات سهلة ومفهومة ونافعة، ووقف في أحد المؤتمرات يعلن هذا فقال الدكتور كيث مور: «يحمي الجنين في رحم الأم ثلاثة أحجبة أو طبقات موضحة في الشريحة التالية:

أ- الجدار البطني. ب- الجدار الرحمي. ج- الغشاء.

لأن مراحل تطور الجنين البشري معقدة وذلك بسبب التغيرات المستمرة التي تطرأ عليه فإنه يصبح بالإمكان تبني نظام جديد في التصنيف باستخدام الاصطلاحات والمفاهيم التي ورد ذكرها في القرآن والسنة، ويتميز النظام الجديد بالبساطة والشمولية إضافة إلى انسجام مع علم الأجنة الحالي.

لقد كشفت الدراسات المكثفة للقرآن والحديث خلال السنوات الأربعة الأخيرة جهاز تصنيف الأجنة البشرية الذي يعتبر مدهشاً حيث إنه سجل في القرن السابع بعد الميلاد فيما يتعلق بما هو معلوم من تاريخ علم الأجنة لم يكن يعرف شيء عن تطور وتصنيف الأجنة

البشرية حتى حلول القرن العشرين؛ ولهذا السبب فإن أوصاف الأجنة البشرية في القرآن الكريم لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع.

الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله؛ إذ ما كان له أن يعرف مثل هذه التفاصيل لأنه كان أمياً، ولهذا لم يكن قد نال تدريباً علمياً.

ولما قيل للدكتور مور: إن هذا الذي قلته صحيح، ولكنه أقل مما عرض عليك من حقائق الكتاب والسنة في مجال علم الأجنة فلم لا تكون منصفاً وتفسح المجال لبيان جميع الآيات والأحاديث التي وردت في القرآن المتعلقة بمجال اختصاصك؟

قال: لقد كتبت القدر المناسب في المكان المناسب في كتاب علمي متخصص ولكني أسمح لك أن تضيف إلى كتابي إضافات إسلامية تجمع فيها جميع الآيات والأحاديث التي تحدثنا عنها وناقشناها وتضعها في مواضعها المناسبة من كتابي هذا وبعد ذلك تقدم وتبين أوجه الإعجاز في هذا الكتاب، فتم ذلك بالفعل، وبعد ذلك وضع الدكتور كيث مور مقدمة هذه الإضافات الإسلامية فكان الكتاب هو الذي اقترحه البروفيسور كيث مور مع الإضافات الإسلامية، والكتاب منشور على موقع هيئة الإعجاز العلمي، كما نشر الموقع بحثاً للبروفيسور كيث مور في نفس الموضوع.

١٠- يزعم بعض أعداء الدين أن الله يأمر بالفسق في القرآن ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾، فما الرد على ذلك؟

أولاً: الله ﷻ يأمر بالبر والعدل والإحسان، ولا يأمر بالفسق والفحشاء، والدليل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ثانيًا: الآية ليس فيها أن الله يأمر بالفسق بل قال الله ﷻ: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ أي أمرناهم بالطاعة، ففسقوا أي عصوا وخرجوا عن الطاعة، كما تقول: أمرتك فعصيت، فمعلوم بداهة أنك لم تأمره بالمعصية، ولكنك أمرته بالطاعة فعصى.

قال القرطبي: «(أَمَرْنَا) من الأمر، أي أمرناهم بالطاعة إعذارًا وإنذارًا وتخويفًا ووعيدًا، (فَفَسَقُوا فِيهَا) أي فخرجوا عن الطاعة عاصين لها»[1].

---

(١)تفسير القرطبي (١٠/ ٢٣٤).

١١- ما قولكم في حديث الحمار يعفور الذي جاء فيه: لما فتح الله على نبيه خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج خفاف عشرة أواق ذهبا وفضة وحمار أسود فقال للحمار: ما اسمك؟ فقال: يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبه إلا نبي ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت قبلك لرجل من اليهود وكنت أعثر به عمدا، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري، فقال: قد سميتك يعفور، أتشتهي الإناث؟ قال: لا، وكان النبي يبعث به إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله فلما قبض رسول الله جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا؟

هذا الحديث موضوع لا أصل له بل هو من وضع الكذابين الراغبين في الطعن في الإسلام فلا يجوز الاحتجاج به ولا يجوز روايته إلا مع التنبيه على ضعفه، وهذا ما حكم به علماء الحديث على هذه القصة المكذوبة وإليك بعض أقوالهم في هذا الحديث:

قال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع فلعن الله واضعه فإنه لم يقصد إلا القدح في الإسلام، والاستهزاء به»(١).

وقال ابن حبان: «لا أصل له، وإسناده ليس بشيء»(٢).

وقال ابن كثير: «وقد أنكره غير واحد من الحفاظ الكبار»(٣).

ونقل ابن الأثير عن أبي موسى الأصفهاني قوله: «هذا حديث منكر جدًا إسنادًا ومتنًا، لا أحل لأحد أن يرويه عني إلا مع كلامي عليه»(٤).

١٢- ما معنى أن الله سبحانه يصلي على النبي ﷺ؟

صلاة الله على النبي أي: ثناء الله على النبي عند الملائكة ومباركته، وإظهار شرفه وفضله وحرمته(٥).

جاء في صحيح البخاري، بَاب قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) الموضوعات (ص٢٩٤).
(٢) اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٥٣).
(٣) البداية والنهاية (٦/ ١٦٦).
(٤) أسد الغابة (٣/ ٢٥٢).
(٥) جلاء الأفهام (ص١٦١).

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (يُصَلُّونَ): يُبَرِّكُونَ[1].

وصلاة الله على عباده نوعان:

١- صلاة عامة لجميع عباده المؤمنين وتعني رحمته لهم وبركتهم لديه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

وقول النبي ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»[2].

قال القرطبي: «والصلاة من الله على العبد هي رحمته له وبركته لديه، وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم»[3].

٢- صلاة خاصة بالأنبياء لا سيما خاتمهم محمد ﷺ وتعني ثناء الله على النبي وإظهار شرفه وفضله ومباركته.

فمعنى قولنا اللهم صلِّ على محمد: اللهم عظِّم شأنه بإعلاء ذكره وإظهار وإبقاء شريعته والثناء عليه في الملأ الأعلى، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته.

١٣- لماذا يشترط فيمن يدخل في الإسلام أن يشهد الشهادتين؟ ولماذا لا يكتفى بشهادة أن لا إله إلا الله فقط؟

معنى (لا إله إلا الله): أي لا معبود بحق إلا الله.

فمعنى هذه الشهادة أنك تقر وتؤمن أنك لن تعبد إلا الله فقط.

فكيف ستعبد الله؟ هل ستعبده كما يريد سبحانه أم كما تريد أنت؟

بالطبع ستعبد الله كما يحب الله ويريد سبحانه.

فكيف ستعرف مراد الله؟

لا بد من الإيمان بالرسول لأنه الذي اختاره الله ليعلمنا كيف نعبد الله؛

ولذلك كانت شهادة (أن محمدًا رسول الله) ضرورية لتحقيق شهادة (أن لا إله إلا الله)؛

---

(١) صحيح البخاري (١٦/ ٢٩).
(٢) صحيح البخاري (٣٨٤٨).
(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٨).

لأنها لا تتحقق إلا بعبادة الله وحده، وعبادة الله لا تكون إلا بما شرع الله، وهذا الشرع لا يمكن معرفته إلا من خلال النبي ﷺ الذي ارتضاه الله لهذا الزمان.

١٣- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء بدليل لفظة (ثم) التي تفيد الترتيب، فهل تتعارض مع آية النازعات التي تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء حيث قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾؟

لا يمكن أن نحكم بوجود تعارض بين أي آيتين إلا إذا لم يمكن الجمع بينهما، وهاتان الآيتان لا تعارض بينهما، ويمكن الجمع بينهما بأكثر من وجه مثل[1]:

أولاً: أن الله تعالى خلق الأرض أولاً قبل السماء غير مدحوة ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحو الأرض بعد خلق السماء، ويدل لهذا أنه قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ولم يقل خلقها.

ثانيًا: إن المراد بخلق ما في الأرض جميعًا قبل خلق السماء الخلق اللغوي الذي هو التقدير، لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود والعرب تسمي التقدير خلقًا ومنه قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفري

والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير أنه تعالى نصّ على ذلك في سورة فصلت حيث قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾.

ثالثًا: أنه لما خلق الأرض غير مدحوة وهي أصل لكل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلاً والدليل من القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع وإن لم يكن موجودًا بالفعل، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾، فقوله: خلقناكم ثم صورناكم أي بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم.

رابعًا: جمع بعض العلماء بأن معنى قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أي: مع ذلك فلفظة (بعد) بمعنى (مع) ونظيره قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾.

وعليه فلا إشكال ولا تعارض بين الآيتين.

---

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص٢٧).

١٤- يزعم بعض أعداء الدين أن الإسلام يبيح اللمم وهو صغائر الذنوب مثل مقدمات الزنى ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾، فما الرد على ذلك؟

قال القرطبي في تعريف اللمم: «هي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه»(١).

فاللمم إذًا ليس أشياء مباحة جائزة؛ بل هي ذنوب صغيرة محرمة لكنها ليست من الكبائر، وليس في هذه الآية إباحة اللمم، ولكنها تصف حال المؤمنين بأنهم يبتعدون عن كبائر الذنوب ولا يقعون فيها، ولكن تقع منهم بعض الذنوب الصغار (وهي اللمم) بحكم الطبيعة البشرية الضعيفة.

قال ابن كثير: «فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء:٣١]. وقال هاهنا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال»(٢).

فلم تقل الآية أن هذه الذنوب الصغيرة مباحة، وإنما ذكرت أنها ذنوب صغار محرمة ولكنها تقع من المؤمنين عادة لأن كل بني آدم خطاء وتقع منه صغائر الذنوب، فإن وقعت من مؤمن وجب عليه أن يسارع بالتوبة منها والإقلاع عنها، فيغفر الله له.

أما مقدمات الزنى فهي محرمة بالنصوص القاطعة الصريحة مثل قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

وقول رسول الله ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»(٣).

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٦).
(٣) رواه الروياني في مسنده (٢/ ٢٢٧)، وقال المنذري في الترغيب(٣ / ٦٦): رواه الطبراني، والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم أر شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه»[1].

١٥- يزعم بعض أعداء الدين أن القرآن فيه تعارض حيث تذكر بعض الآيات أن خلق السماوات والأرض كان في ستة أيام مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾.

في حين تذكر آيات أخرى أن هذا الخلق كان في ثمانية أيام مثل قوله تعالى: **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾**، فما الرد على ذلك؟

ليس في النص الثاني أن خلق السماوات والأرض كان في ثمانية أيام، وإنما يقع هذا اللبس لمن قام بجمع الأيام المذكورة في الآيات على أنها أيام منفصلة، وهذا خطأ في فهم الآية.

فالأربعة أيام المذكورة في قوله تعالى: **﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾** يدخل فيها اليومان المذكوران في قوله تعالى: **﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾**، وهذه الأربعة لو أضفنا لها اليومين المذكورين في قوله تعالى: **﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾**، كان المجموع ستة أيام لا ثمانية، وبذلك يتبين أنه لا تعارض بين الآيات.

قال الشوكاني: «ومعنى (في أربعة أيام) أي في تتمة أربعة أيام باليومين المتقدمين قاله الزجاج وغيره، قال ابن الأنباري: ومثاله قول القائل خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يومًا: أي في تتمة خمسة عشر يومًا، فيكون المعنى أن حصول جميع ما تقدم من خلق الأرض وما بعدها في أربعة أيام»[2].

وقال ابن عاشور: «وقوله (في أربعة أيام) فذلكة[3] لمجموع مدة خلق الأرض جرمها

---

(١) البخاري (٥٧٧٤)، ومسلم (٤٨٠١).

(٢) فتح القدير (٤/ ٧٢٢)، وانظر تفسير القرطبي (١٥/ ٣٤٣).

(٣) الفذلكة هي مجمل ما فصل وخلاصته، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧١١)، والمقصود هنا أن هذه الأربعة أيام هي إجمال لمدة خلق الأرض وتقدير ما فيها من أقوات، فكأنه قال: فذلك أربعة أيام (أي مجموعها).

وما عليها من رواسي وما فيها من القوى، فدخل في هذه الأربعة الأيام اليومان اللذان في قوله (في يومين) فكأنه قيل: في يومين آخرين فتلك أربعة أيام.

فقوله في (أربعة أيام) فذلكة (أي إجمال) وعدل عن ذلك إلى ما في نسج الآية لقصد الإيجاز واعتمادًا على ما يأتي بعده من قوله (فقضاهن سبع سماوات في يومين)»[1].

١٦- يزعم بعض أعداء الدين أن كلمة (فرج) المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾، هي كلمة فاحشة تخدش الحياء، وما كان ينبغي ذكرها في القرآن، فما الرد على ذلك؟

الفرج ليست كلمة قبيحة، بل وليست كلمة صريحة في التعبير عن العورة، وإنما كلمة الفرج تعني: الشق بين شيئين، وتستخدم كناية عن العورة أحيانًا.

ومما يدل على أن كلمة الفرج تعني الشق قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾، أي ليس فيها شقوق أو خلل، وهذا وصف للسماء، فهل فروج هنا تعني أعضاء تناسلية؟ كلا بالطبع.

وقد جاء في المعجم الوسيط: «(الفَرْجُ): الشَّقُّ بين الشَّيْئَيْنِ، والجمع فُرُوجٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾: شُقوق، وفُتوق. و- ما بين الرِّجلَيْن، وكني به عن السَّوءة وغلب عليها؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، و﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾»[2].

وقال ابن منظور: «(الفَرْجُ): الخلل بين الشَّيْئَيْنِ، والجمع فُرُوجٌ»[3].

وقال الراغب: «الفرج والفُرجة الشَّقُّ بين الشَّيْئَيْنِ كفرجة الحائط، والفرج ما بين الرجلين، وكني به عن السوأة»[4].

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٢٤٤).
(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٧١٢).
(٣) لسان العرب (٢/ ٣٤١).
(٤) مفردات ألفاظ القرآن (ص٦٢٨).

١٧- يقول بعض أعداء الدين أن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ يدل على أن مقدار اليوم عند الله ألف سنة، وكذلك قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى في سورة المعارج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، أليس في هذا تعارض وتناقض؟

لا تعارض بين هذه الآيات لأنه يمكن الجمع بينها بأكثر من وجه منها:

الوجه الأول: أن هذه الأيام مختلفة ولا تدل على شيء واحد:

فيوم الألف في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض.

ويوم الألف في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالى.

ويوم الخمسين ألفًا في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هو يوم القيامة، وهذا مروي عن ابن عباس.

الوجه الثاني: أن المراد بجميع هذه الأيام هو يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر؛ فالكافر يمر عليه هذا اليوم طويلاً جدًا، أما المؤمن فيخفف عنه فلا يشعر بطول هذه المدة، ويمر عليه كأنه لحظات قليلة، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩-١٠][١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب»[٢].

١٨- هل هنالك أكثر من خالق؟ وإلا كيف نوجه قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾؟

الجـــــواب:

الخلق له معان في اللغة أصلها:

---

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص١٠٥).

(٢) رواه أبو يعلى بإسناد صحيح، وابن حبان في صحيحه، وصححه المنذري والألباني في صحيح الترغيب والترغيب (٣٥٨٩).

- التقدير: ومنه قوله تعالى: «وتخلقون إفكًا» أي تقدرونه وتهيئونه.

ومنه قول زهير يمدح رجلاً:

ولأنـت تفـري مـا خلقـت وبعـ ـض القـوم يخلـق ثـم لا يفـري (١)

- الصنع وإيجاد الشيء وهذا على وجهين:

- معنى خاص وهو إيجاد الشيء على مثال لم يسبق له وإنشائه من العدم وهذا المعنى يختص بالله ﷻ فقط.

-معنى عام: وهو ما يدل على مجرد الصنع وإيجاد الشيء، وهذا يشترك فيه الخالق والمخلوق (٢). وهذا المعنى المقصود في هذه الآية.

فالخلق في الآية بمعنى الصنع أي مجرد الصنع وإيجاد الشيء.

قال مجاهد في تفسير الآية: «يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين»؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقًا وهو ما رجحه الطبري (٣).

١٩- هل الأرض مسطحة غير كروية؟ وإلا كيف نوجه قول الله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾؟

الجـــواب:

مد الأرض أي بسطها أي جعلها مستوية متسعة.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾، أي: وسعناها وفرشناها» (٤).

وقال الطبري: «وقوله(والأرض مددناها) يقول: والأرض بسطناها» (٥).

فالامتداد والاتساع والانبساط هو وصف لسطح الأرض لا لشكل جرمها، ولا تعارض بين الأمرين.

فكون الأرض كروية أو مكعبة لا يمنع أن يكون سطحها ممتدًا منبسطًا، متسعًا مستويًا (أي لا يغلب عليها المرتفعات والوعورة)، بل إن الجرم الكروي هو أكثر ما يوصف سطحه

---

(١) انظر: لسان العرب (١٠/ ٨٨)، القاموس المحيط (ص٧٩٢).

(٢) انظر: النهاية (٢/ ٧٠).

(٣) انظر: تفسر الطبري (١٩/ ١٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٢).

بالانبساط والامتداد؛ لأن سطح المكعب أو متوازي المستطيلات مثلاً ينقسم سطحه لستة أوجه، أما سطح الكرة فهو جزء واحد متصل لا تقطع بينه فواصل.

٢٠- كيف يكون القرآن بلسان عربي مبين وفيه كلام غير عربي مثل: سلحس وإستبرق...؟

الجـــــواب:

- القرآن كل جمله وتراكيبه عربية وليس فيه جملة غير عربية، وإنما ما قيل إنه غير عربي هو بعض الألفاظ فقط.

وهذه الألفاظ يمكن تقسيمها إلى قسمين:

١- الأعلام: كإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وإسحاق ويوسف... والأعلام في اللغة لا تترجم بل تنقل كما هي.

٢- كلمات اختلف العلماء في أصلها هل هو عربي أم لا؟

فقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الألفاظ عربية الأصل، وليست أعجمية، وذهب بعضهم إلى أنها غير عربية الأصل، وذهب بعضهم إلى أنها مما اتفقت فيه اللغات.

والحقيقة أن إثبات أصل هذه الألفاظ - هل هو عربي أم غير عربي - يحتاج إلى بحث لغوي شاق وعميق، ومن الصعب جدًا إثبات هل أصلها عربي أم أعجمي؟

ولذلك قال الطبري: «ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟ كما وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس، وغير ذلك -مما يتعب إحصاؤه ويمل تعداده، كرهنا إطالة الكتاب بذكره- مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى، ولعل ذلك كذلك في سائر الألسن التي نجهل منطقها ولا نعرف كلامها.

فلو أن قائلاً قال -فيما ذكرنا من الأشياء التي عددنا وأخبرنا اتفاقه في اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية، وما أشبه ذلك مما سكتنا عن ذكره-: ذلك كله فارسي لا عربي، أو ذلك كله عربي لا فارسي، أو قال: بعضه عربي وبعضه فارسي، أو قال: كان مخرج أصله من عند العرب فوقع إلى العجم فنطقوا به، أو قال: كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فأعربته - كان مستجهلاً؛ لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العجم، ولا العجم أحق أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العرب، إذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد

ومعنى واحد موجودًا في الجنسين.

وإذ كان ذلك موجودًا على ما وصفنا في الجنسين، فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر. والمدعي أن مخرج أصل ذلك إنما كان من أحد الجنسين إلى الآخر، مدع أمرًا لا يوصل إلى حقيقة صحته إلا بخبر يوجب العلم، ويزيل الشك، ويقطع العذر صحته»(١).

٢١- وقد يقول قائل: لكن بعض علماء المسلمين قالوا أن هذه الألفاظ غير عربية الأصل، فهل هذا يعني إقرارهم بوجود كلام غير عربي في القرآن؟

والجواب أن العلماء الذين قالوا أن هذه الألفاظ غير عربية الأصل، فإنهم قالوا أن العرب عربوها واستخدموها قبل نزول القرآن وأصبحت عربية بهذه الكيفية، وقد استخدمت في الشعر العربي الجاهلي ولم يتهم أحد الشعراء باللحن باستخدامها، فهم أيضًا لا يقرون بوجود كلام غير عربي في القرآن.

قال ابن عطية: «فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعرّبتها فهي عربية بهذا الوجه، وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش وكسفر مسافر بن أبي عمرو إلى الشام وكسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة.

فعلقت العرب بهذا كله ألفاظًا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرى مجرى العربي الصحيح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن»(٢).

ولتقريب الفكرة نقول: إننا في عصرنا الحاضر نستخدم بعض الكلمات ذات أصل غير عربي وتصبح جزءًا من لغتنا ويتكلم بها الجاهل باللغات الأجنبية والعارف بها مثل: التلفاز والبيتزا والجينز ونحو ذلك.

---

(١) تفسير الطبري: (١/ ١٥).

(٢) انظر: مقدمة تفسير ابن عطية.

فلو قلتَ مثلاً: تناولت البيتزا في إفطاري اليوم، فأنت لم تتحدث بغير اللغة العربية، رغم أن كلمة (بيتزا) ليست عربية الأصل، ولكن العرب عرفوها واستخدموها، وليس لها نظير في لغتهم، ولذلك صارت كالألفاظ العربية.

٢٢- كيف يأتي في القرآن ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾، وما السماء إلا فضاء لا متناه؟

الجـــــواب:

قولكم: ما السماء إلا فضاء لا متناه معلومة خطأ بغير سند علمي وإنما هو مجرد علم المتكلم فلا يلزمنا به.

فالسماء بناء متين كما قال الله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

٢٣- أما إن قيل: كيف تسقط السماء بحجمها الضخم الكبير على الأرض التي لا يذكر حجمها بالنسبة للسماء؟

فالرد: أنه لا يلزم من قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ أن تسقط السماء كلها على الأرض، ولكن قد تسقط أجزاء منها أو من محتوياتها، ولذلك جاء على موقع ناسا (وكالة الفضاء الأمريكية) مقال بعنوان: «السماء تسقط» ذكر فيه أن حوالي طن متري يسقط يوميًا على سطح القمر من النيازك الحجارة وأن السماء مليئة بهذه النيازك التي يمكن أن تصطدم بالأرض وتفنيها تمامًا.

وأحب أن أنقل كلامًا للأستاذ عبد الدائم الكحيل في رد هذا الافتراء حيث قال: «الحقيقة أنني لم أعرف كيف أرد هذه الشبهة أو هذا الادعاء، حتى قرأت مقالاً على موقع وكالة الفضاء الأمريكية ناسا عنوانه:

السماء تسقط!! **The Sky is Falling**

وتعجبت كيف لعلماء أضخم وكالة فضاء أن يستخدموا مثل هذا التعبير، وكيف يمكن للسماء أن تقع على القمر؟

يقول **Bill Cooke** من وكالة ناسا: في كل يوم هناك بحدود طن متري من النيازك على سطح القمر، وتتضمن النيازك كل الأشكال اعتباراً من القطع الكبيرة وحتى جزيئات الغبار،

وتضرب سطح القمر بسرعة تتجاوز مئات الآلاف من الكيلومترات في الساعة.

لقد كان رواد رحلة أبولو عام ١٩٦٩ محظوظين بسبب عدم تعرضهم لهذه القذائف القاتلة، ويقول العلماء: إن سكان الأرض لا يحسون بهذه الحجارة بسبب وجود غلاف جوي قوي للأرض يحفظ الأرض من مثل هذه النيازك.

إن الذي يراقب سطح القمر أو يعيش عليه يحس وكأن السماء تقع عليه كل يوم، هذا ما أحس به رواد الفضاء عندما كانوا على سطح القمر!

ولذلك فإن الله تبارك وتعالى حدثنا عن نعمة عظيمة جداً لا نحس بها، ولم يكن لأحد علم بها عندما أخبرنا عن هذا الأمر بقوله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، إنه ليس تصوراً بدائياً كما يدّعون، بل هو حقيقة علمية يحس بها من عاش على سطح القمر! ومن هنا نستطيع القول: إن القرآن يصف لنا نعم الله في عصر لم يكن أحد يشعر بهذه النعم أو يدرك أهميتها، ويؤكد العلماء أن النيازك الضخمة والتي تسبح في الفضاء بل وتدور داخل المجموعة الشمسية بكثافة، من الممكن أن تضرب الأرض في أي لحظة، وهناك أفلام الخيال العلمي التي يصورون فيها الأرض وهي تقذف بنيزك عملاق.

ولذلك فإن النبي الأعظم ﷺ أنذر الكفار بحجارة تسقط عليهم من السماء فسخروا منه، حدث هذا قبل ألف وأربعمائة سنة، واليوم يكرر الملحدون الكلام ذاته، فيقولون إن محمداً يستغل جهل الناس ويهددهم بحجارة تسقط من السماء، ونقول: أليس علماء القرن الحادي والعشرين يكررون ما قاله نبينا ﷺ عندما يؤكدون أن النيازك (وهي قطع من الحجارة تسبح في الفضاء) من الممكن أن تصطدم بالأرض، بل وتفني الأرض بشكل كامل؟»[1].

٢٤- كيف يقول القرآن أن الشمس تغرب في عين حمئة وهذا مخالف للحقائق العلمية؟

الجـــــواب:

أولاً: هل جاء في القرآن أن الشمس تغرب في عين حمئة؟ أم الذي جاء هو أن ذا القرنين وجدها تغرب في عين حمئة؟

---

(١) موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهذا رابط المقال على الموقع:
http://www.kaheelv.com/modules.php?name=News&file=article&sitl=٨٨٩.

إن نص الآية: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي أن ذا القرنين هو الذي وجدها كذلك أي بدت له الشمس برؤيته وعينيه وكأنها تغرب في عين حمئة.

ثانيًا: إن المعنى الواضح لهذه الآية أن ذا القرنين شاهد الشمس وكأنها تغرب في العين الحمئة فيما يراه هو لا في الحقيقة.

ولتقريب هذا المعنى نقول: إن كنت متجهاً غرباً في وقت الغروب وأمامك جبل فإنك سوف تجد الشمس تغرب خلف هذا الجبل، وبالطبع لن يفهم أحد من ذلك أن الشمس تختبئ حقيقة خلف الجبل وإنما يكون ذلك في رأي العين، وإن كان الذي أمامك بحيرة فستجد الشمس تغرب في البحيرة، وكثيرًا ما يرسم الفنانون مشهد الغروب ويصورون الشمس وكأنها تسقط داخل البحر، وكذلك يصف الأدباء والشعراء منظر الغروب بعبارات مثل: تدخل الشمس في البحر، تغرق الشمس.. تسقط الشمس.. تهبط الشمس في البحر رويدًا رويدًا.. تختفي الشمس في البحر، تلتقي الشمس بالبحر.. حتى يصوروا ما تراه أعينهم وتشاهده أبصارهم.

فإذا جاء أحد فقال: إن هؤلاء الأدباء والشعراء يخالفون الحقائق العلمية فلن يُحكم عليه إلا بأنه سقيم الفهم سفيه الحلم.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه..»[1].

ونقل الإمام القرطبي عن القفال قوله: «المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض ولهذا قال: «وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا» ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم..»[2].

وقال البيضاوي: «ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال: «وجدها تغرب» ولم يقل كانت تغرب»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٨).

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ٤٨).

(٣) تفسير البيضاوي (٢/ ٦١٦).

٢٥- هل يقتبس القرآن من شعر امرئ القيس؟ وهل يدل ذلك على أن القرآن ليس وحيا من الله؟ فقد روي من شعر امرئ القيس أنه قال:

يتمنى المرء في الصيف الشتاء حتى إذا جاء الشتاء أنكره

فهو لا يرضى بحال واحد قتل الإنسان ما أكفره

وقال:

اقتربت الساعة وانشق القمر من غزال صاد قلبي ونفر

وقال:

إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها

تقوم الأنام على رسلها ليوم الحساب ترى حالها

الجواب:

أولاً: هذه الأبيات لا توجد في ديوان امرئ القيس على اختلاف رواياته ونسخه وطبعاته.

ثانيًا: ليس لهذه الأبيات - أو حتى جزء منها - وجود في كتب اللغة والشعر والبلاغة المتقدمة المعتبرة في توثيق الشعر والأدب.

ثالثًا: شعر امرئ القيس خاصة وجد عناية كبيرة في جمعه وتحقيقه ولم يذكر أحد المتخصصين في جمعه هذه الأبيات.

رابعًا: لم يذكرها أي من الباحثين المعاصرين المحققين لا على أنها من شعره ولا أنها منحولة عليه.

فقد كان بعض رواة الشعر ينحلون أبياتًا على قدماء الشعراء المشهورين - أي يقومون بتأليفها ونسبتها زورًا إليهم - كما قال حماد الراوية: ما من شاعر إلا زدت في شعره أبياتًا[١].

ورغم ذلك لم يذكر أحد أن هذه الأبيات منحولة مكذوبة على امرئ القيس.

خامسًا: ذكرت هذه الأبيات في كتاب فيض القدير للمناوي (المتوفى سنة ١٠٢٩)، وهو ليس كتاب شعر بل هو في شرح الجامع الكبير، فهو من شروح الأحاديث، ولا يعتد به في توثيق الشعر لا سيما أن مؤلفه متأخر.

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه (ص٨٢١).

سادسًا: هناك أكثر من شاعر يحمل اسم امرئ القيس، بعضهم جاهلي وبعضهم إسلامي، ومنهم:

١ - امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (الجاهلي) أشهرهم.

٢ - امرؤ القيس بن جبلة السكوني (جاهلي).

٣ - امرؤ القيس بن حمام بن مالك بن عبيدة (جاهلي).

٤ - امرؤ القيس بن عابس بن المنذر (إسلامي).

فأي امرئ القيس الذي قال هذه الأبيات؟

ربما قالها امرئ القيس المسلم، واستلهم هذه المعاني من القرآن.

سابعًا: المطلع على شعر العرب في الجاهلية، وعلى شعر امرئ القيس خاصة، يجزم أن هذا الشعر لا يمكن أن يصدر عنه، فالفرق في قوة الأسلوب وحسن الصياغة كبير لا يخفى على أي دارس.

ثامنًا: كفار قريش كانوا أعلم الناس بشعر العرب، خصوصًا كبار الشعراء مثل شعراء المعلقات كامرئ القيس، فهل لو اقتبس الرسول الكريم بيتًا واحدًا من شعره كان ذلك سيخفى عليهم؟ وهل كانوا سيسكتون على ذلك والقرآن يتحداهم أن يأتوا بمثله وهم يعانون مرارة العجز؟

لا شك أن ذلك لو حدث لكان كفار قريش أسرع من يشنع على النبي ويفضح خبر ذلك الاقتباس المزعوم.

٢٦- قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

الافتراء: كيف يذكر القرآن أن مريم هي أخت هارون النبي (وهو أخو سيدنا موسى) عليهما السلام، رغم ما بينهما من زمان طويل؟

الجـــــواب:

أولاً: ما جاء في القرآن هو: «يا أخت هارون» ولم يقل هارون النبي ولا هارون أخو موسى.

ثانيًا: ليس المقصود في الآية هارون النبي، بل رجلًا سمي بهارون على اسم النبي، ومن المألوف أن يسمي الناس بأسماء أنبيائهم.

وهذا ما رد به النبي المعصوم ﷺ على تلك الفرية، فعن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرءون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»[1].

---

(١) مسلم (٣٩٨٢).

ثالثًا: لا يشترط في الأخوة أن تكون أخوة نسبية، فهناك أخوة في الدين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، وأخوة القوم كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، وكقولك: يا أخا العرب، وهناك الأخوة بمعنى المشابهة كقولك: هو أخوه في الذكاء أو الصلاح.

٢٧- الافتراء: كيف جاء في القرآن: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهل الرسول رحمة للكفار؟

الجــــــواب:

نعم الرسول ﷺ أرسل بما هو سبب لسعادة الدنيا والآخرة إلا أن الكافر به هو الذي فوّت على نفسه فرصة الإنتفاع بذلك.

كما لو قلنا الماء نافع لكل الناس، فلو امتنع إنسان عن شرب الماء، فهذا لا يمنع أن الماء نافع له (١).

٢٨- الافتراء: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، وقوله تعالى: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، فهل هو الآن ليس كذلك؟

الجــــــواب:

الفعل (كان) في اللغة يأتي لمعان متعددة، والأصل أنها تفيد ثبوت الفعل في الماضي وأما الاستمرار أو الانقطاع فلا يثبت إلا بقرينة، و(كان) في مثل هذه الآية تعني اتصال الزمان بغير انقطاع، لأن صفات الله ثابتة منذ الأزل لا تتغير (٢).

٢٩- هل فعلا أن القرآن لم يكن منقطًا ولا مشكلاً؟ فما أدراكم أن قراءتكم صحيحة؟

القرآن حفظ أصلاً بالنقل مشافهة بالتواتر وهو الأصل في الحفظ وهناك أشياء محفوظة ولا تضبط بالكتابة ولا بالنقط والتشكيل ولم يضبطها إلا النقل إلا عن طريق التلقي بالمشافهة.

فمثلاً: هل يمكن كتابة القلقلة، والإخفاء، والإمالة، والغنة؟ بالطبع لا.

ورغم ذلك فالقلقلة، والإخفاء، والإمالة، والغنة وكل الأصوات والمخارج منقولة بالتواتر جيلاً عن جيل.

---

(١) روح المعاني (١٠/ ١٥٥).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٨٤١)، لسان العرب (١٣/ ٣٦٦).

إن دقة النقل لم تتوقف فقط على دقة نقل الحروف والحركات والسكنات، بل حتى مخرج الحرف وطريقة النطق به وكل أثر صوتي والمدود وقدرها كل ذلك منقول بدقة نقلاً قطعي الثبوت.

بل حتى ما ليس له أثر في النطق منقول أيضًا، كالإشمام وهو كما يعرفه علماء التجويد والقراءة: ضمّ الشفتين كمن يريد النطق بضمة من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق، ووقع الإشمام في «تَأْمَنَّا» من قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[يوسف: ١١]، تضم الشفتان عند النطق بالنون المشددة للإشارة إلى ضمة النون الأولى المدغمة في النون الثانية، إذ «تأمنا» في الأصل «تأمنُنَا».

فانظر إلى الدقة العجيبة في نقل كل صغيرة وكبيرة، التي لا يسعنا أمامها إلا أن نقول سبحان القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

٣٠- لماذا يعبر عن الله بصيغة الجمع في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾؟

هذه الضمائر يؤتى بها في اللغة للتعبير عن الأكثر من الواحد، ويعبر بها كذلك عن الواحد لإرادة التعظيم وهو المقصود في التحدث عن الله فهو ضمير للتعظيم لا الجمع [(١)].

٣١- جاء في بعض الأحاديث أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، فأين ذهبت بقية السورة؟

هذه الروايات ضعفها كثير من أهل العلم [(٢)]، ولكن على فرض صحة هذه الرواية فإن بقية السورة قد نسخت حكمًا وتلاوة، ونسخ بعضها تلاوة فقط كآية الرجم، وبهذا وجه العلماء هذه الرواية، فقد أوردها السيوطي - مثلاً - في الإتقان في أمثلة ما نسخ تلاوته [(٣)].

وقال القرطبي: «عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله ﷺ مائتي آية، فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلا ما هي الآن، قال أبو بكر: فمعنى هذا من قول أم المؤمنين عائشة أن الله تعالى رفع إليه من سورة الأحزاب ما يزيد على ما عندنا، قلت: هذا وجه من وجوه النسخ...» ثم قال: «..وروى زر قال: قال لي أبي بن كعب: كم تعدون سورة الأحزاب؟ قلت ثلاثًا وسبعين آية، قال: فوالذي يحلف به أبيّ ابن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول، ولقد قرأنا منها آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم.

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٩٤٧).
(٢) انظر: كشف الخفاء (٢/ ٥٦٥).
(٣) الإتقان (٢/ ٣٣٢).

أراد أبيّ أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن»[١].

وقال الطاهر بن عاشور تعليقًا على هذين الخبرين: «وكلام الخبرين ضعيف السند، ومحمل الخبر الأول عند أهل العلم أن أبيًا حدث عن سورة الأحزاب قبل أن ينسخ منها ما نسخ، فمنه ما نسخت تلاوته وحكمه، ومنه ما نسخت تلاوته خاصة مثل آية الرجم... وأما الخبر عن عائشة فهو أضعف سندًا وأقرب تأويلاً، فإن صح عنها ولا إخاله فقد تحدثت عن شيء نسخ من القرآن كان في سورة الأحزاب.

وليس بعد إجماع أصحاب رسول الله ﷺ على مصحف عثمان مطلب لطالب، ولم يكن تعويلهم في مقدار القرآن وسوره إلا على حفظ الحفاظ. وقد افتقد زيد ابن ثابت آية من سورة الأحزاب لم يجدها فيما دفع إليه من صحف القرآن فلم يزل يسأل عنها حتى وجدها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري وقد كان يسمع رسول الله يقرؤها فلما وجدها مع خزيمة لم يشك في لفظها الذي كان عرفه..

وبعد فخبر أبي بن كعب خبر غريب لم يؤثر عن أحد من أصحاب رسول الله فنوقن بأنه دخله وهم من بعض رواته، وهو أيضًا خبر آحاد لا ينتقض به إجماع الأمة على المقدار الموجود من هذه السورة متواترًا»[٢].

وخلاصة القول أن الراجح في هذه الروايات أنها غير صحيحة، وبفرض صحتها فما ذهب من السورة لم يضع وإنما نسخ، والذي نسخه هو الله ﷻ، وقد انعقد إجماع الأمة على المقدار الموجود من هذه السورة متواترًا ومكتوبًا في المصاحف.

٣٢- أما إن قيل: كيف ينسخ هذا القدر الكبير من السورة والذي قد يتجاوز نصفها؟

فالرد: إن كان حجم ما نسخ كبيرًا فلا إشكال في ذلك طالما قررنا صحة النسخ، فالله سبحانه ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء والأمر له من قبل ومن بعد[٣].

٣٣- كيف يقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهل يفهم من ذلك أنه سبحانه وتعالى يعبد أو يستعين بأحد؟

الجـــــواب:

هذه الآية جاءت في سورة الفاتحة على لسان عباد الله المؤمنين لتعلمهم كيف يذكرون الله

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ١١٣).
(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٤٦).
(٣) لمزيد من التفصيل في موضوع النسخ راجع الجزء الخاص بالنسخ في هذا الكتاب.

ويدعونه ويعبدونه، فالله سبحانه هو المعبود بحق وهو المستعان سبحانه.

أما إن قيل: كيف تكون هذه العبارة على لسان المؤمنين وما قبلها ليس كذلك؟

فالجواب أن هذا يسمى في البلاغة أسلوب التفات، وهو: أن يغير المتكلم طريقة كلامه إلى أخرى، مثلاً: من الغائب إلى المخاطب أو المتكلم، أو من المتكلم إلى الغائب أو المخاطب، أو من المخاطب إلى الغائب أو المتكلم.

وبداية السورة هي تعبير بالاسم الظاهر وهو اسم الجلالة وصفاته (وهو يعد من قبيل الغائب)، ثم عدل عنه إلى الخطاب «إياك...»، فهذا يعد التفاتًا من الغائب إلى المخاطب.

والالتفات فيه فوائد بلاغية عدة، منها: تجديد نشاط السامع، أو التنبيه على معنى خاص، أو الانتقال من حال إلى حال[1].

٣٤- كيف تستعيذ مريم من الرجل إذا كان تقيا؟ وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٨].

الجـــــواب:

الجواب على ذلك من وجوه منها:

١- أن مريم أرادت وعظه فأخبرته أنها جعلت الله ملجأ لها تحتمي به، وقالت له: لقد جعلت الله ملجأ لي أحتمي به إن كنت تقيًا (تتقي الله) فامنع نفسك من أي شر إن كنت تخفيه في نفسك.

٢- أن كلمة (تقيًا): صيغة على وزن فعيل فتكون بمعنى اسم الفاعل أي: مُتَّقٍ، أو بمعنى المفعول أي مُتَّقًى منه، وهي هنا بمعنى اسم المفعول.

فيكون المعنى: إني أعوذ بالله منك إن كنت ممن يُتقى منه (أي يخاف شره وأذاه)[2].

٣٥- كيف يعصي إبليس وهو من الملائكة؟ والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ [طه: ١١٦].

الجـــــواب:

إبليس ليس ملكًا وإنما هو من الجن، والدليل قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ١٧٩)، مفتاح العلوم في البلاغة للسكاكي (ص١٣٣).

(٢) التحرير والتنوير (٨/ ٨١)، وروح المعاني (١٦/ ١١١).

والاستثناء في الآية منقطع أي أن المستثنى (وهو إبليس) ليس من جنس المستثنى منه (وهو الملائكة)، كما تقول: ما ركبت من الخيل إلا حمارًا.

جاء في الألفية:

ما استثنت «إلا» ينتصب	وبعد نفي أو كنفي انتخب
إتباع ما اتصل، وانصب ما انقطع	وعن تميم فيه إبدال وقع

قال ابن عقيل: «وإن كان الاستثناء منقطعًا تعين النصب عند جمهور العرب فتقول: ما قام القوم إلا حمارًا»[(١)].

٣٦- في قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢]، لماذا جاءت (يخرج منهما)، واللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح فقط؟

الجواب:

أن (من) هنا للسببية، أي: يخرج بسبب مجموعها، كما تقول: (الولد يخرج من الذكر والأنثى) أي بسببهما، ومن المعلوم أن من أجود اللؤلؤ ما كان عند مصب الفرات عند الخليج، فهو يخرج بسبب الماء العذب والمالح.

وكذلك فإنه لو خرج من أحدهما فقد خرج منهما (من مجموعهما) كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [نوح: ١٥-١٦].

والقمر في السماء الدنيا فقط.

وكما تقول: خرجت من أفريقيا إلى أوربا، (وأنت خرجت من موضع في أفريقيا).

كما أن هناك أنهارًا ذات ماء عذب موجودة في الهند والصين وروسيا يخرج منها اللؤلؤ والمرجان، فهي لا تخرج من الماء المالح فقط.

٣٧- في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ السَّمِيعُ.. ﴾ [البقرة: ١٣٣]. كيف قالوا آبائك وفيهم إسماعيل؟ فهل إسماعيل أبو يعقوب؟

الجـــواب:

هذا إطلاق من جهة التغليب ولأن العم بمنزلة الأب، وقدَّم إسماعيل لأنه الأكبر،

---

(١) الألفية بشرح ابن عقيل (١/ ٥٤٤).

والعرب تسمي العم أبًا، والخالة أم [١].

وقال رسول الله ﷺ: «عم الرجل صنو أبيه» [٢] أي نظير ومثيل أبيه، (والصنو هو الفسيلة المتفرعة مع غيرها من أصل الشجرة).

٣٨- كيف يأمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ هل يأمر الله الملائكة أن تعبد غيره؟

الجـــــواب:

الله له أن يأمر خلقه بما شاء، والله لم يأمرهم بعبادة آدم بل بالسجود له، والسجود نوعان:

١- سجود عبادة لا يكون إلا لله.

٢- سجود تعظيم وتحية كان مشروعًا قبل الإسلام ثم نهى عنه في الإسلام، كسجود الملائكة لآدم، وكسجود إخوة يوسف له تعظيمًا واحترامًا كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وأما الدليل على عدم جواز السجود لغير الله فحديث: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» [٣].

٣٩- كيف يخاطبنا الله بما لا معنى له وهي الحروف المقطعة في أوائل بعض السور؟

الجـــــواب:

الحروف المقطعة لها دلالة ولم تأت عبثًا، فهي - على الراجح من أقوال العلماء - إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من هذه الحروف، التي منها بناء كلامهم ليكون إظهار عجزهم أكبر [٤].

ولتقريب المعنى نضرب مثالًا تقريبيًا، ولله المثل الأعلى:

لو تحدَّيت أهل صناعة معينة أن يصنعوا مثل صناعتك فعجزوا، فقدمت لهم المواد التي صنعت منها ما صنعت وقلت لهم: أنتم أهل الصناعة وأبرع الناس فيها وهذه هي المواد والأدوات التي استخدمتها في صناعتي، كان ذلك أبلغ في إقامة الحجة عليهم وإظهار عجزهم وضعفهم وعدم قدرتهم على الإتيان بمثل ما صنعت.

---

(١) الكشاف للزمخشري (ص٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٣٩).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ١٥٥)، وقد ذكر القرطبي أقوالاً عدة في الحروف المقطعة.

٤٠- لماذا يعبد المسلمون الحجر الأسود؟

المسلمون لا يعبدون إلا الله، ومن يعبد أي حجر فهو مشرك كافر بإجماع الأمة كلها، وأما تقبيل المسلمين للحجر الأسود فهو عبادة لله لا للحجر، لأن المسلمين لم يقبلوا الحجر الأسود إلا امتثالاً لأمر الله واتباعًا لسنة النبي ﷺ.

فقد روي في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله فقال: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»[١]. فهذا التقبيل في حقيقته توحيد لله وامتثال واتباع لشرعه.

ثم دعونا نتساءل: هل تقبيل أي شيء يعتبر عبادة له؟ بالطبع لا، بل لا بد مع التقبيل من اعتقاد أن هذا الشيء يضر وينفع، أو نية التقرب لهذا الشيء أو عبادته، أما مجرد التقبيل فليس عبادة، فالرجل يقبل يد أبيه وأمه مثلاً ولا يقال إن هذا شرك، كما يقبل زوجته وأولاده ولا يكون بذلك مشركًا، والمسلمون لا يعتقدون أن الحجر الأسود يضر أو ينفع ويعلمون أنه مجرد حجر ولا يقبلونه إلا بنية الامتثال لأمر الله، وتعظيمًا لله لا تعظيمًا للحجر، كما أن الذي يضع جبهته على الأرض في السجود يعظم الله بذلك، ولا يقصد تعظيم الأرض التي يضع جبهته عليها.



(١) البخاري (١٤٩٤)، ومسلم (٢٢٢٨).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..وبعد،،

فها نحن قد عرضنا لافتراءات الكاذبين فظهر تهافتها، ورددنا على ادعاءاتهم رغم تفاهتها، فلم تصمد لهم فرية تحت مطارق الدلائل والبينات، ولم يثبت لهم ادعاء أمام قذائف الحق الدامغات، فتم فضحهم، وسقطت ورقة التوت كاشفة عن عوار جهلهم وسوءة غشهم وكذبهم، فالحق أبلج والباطل لجلج، وتبًا لمن اتخذ الكذب دينًا، والإفك ديدنًا، ومن يغالب الله يغلب.

فأبشروا يا من عاديتم خير الورى بحرب من رب العالمين، وويلات تلقونها في دركات الجحيم، فأنقذوا أنفسكم وتوبوا إلى الله فقد علمتم أنكم كاذبون، ولا يجرمنكم العناد والكبر على الاستمرار في غيكم وضلالكم.

يا من ترفعون عقيرتكم تطاولاً على تلك الشريعة الغراء وانتقاصًا لصاحبها ومعلمها قد علمتم أنكم جاوزتم حدود الإنصاف، وأبعدتم النجعة في مراتع الأكاذيب والجهالات، ومراعي الجور والضلالات، ساقتكم إليها حادي الهوى المتبع، والشهوة المطاعة، قد أعمى الطمع أبصاركم وطمست رغبات الدنيا بصائركم، فاسألوا أنفسكم أي منقلب تنقلبون، وإلى أي مصير تصيرون؟

فإن أبيتم إلا العناد والاستكبار فنحن أتباع خير الأنام نعلن التحدي للكافرين كافة، ولأعداء دين الإسلام قاطبة، عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم، علمائهم قبل عوامهم، أن يأتوا بمنقصة واحدة في الإسلام العظيم، أو يثبتوا عيبًا واحدًا في هذه الشرعة الكاملة، أو أن يأتوا بافتراء واحد لا جواب له أو ادعاء فريد لا رد عليه.

وهذا التحدي قائم إلى قيام الساعة، فاجمعوا قواتكم واعقدوا مؤتمراتكم وهاتوا كل ما عندكم، واعلموا أيها الأقزام: أن تحريك الجبال الشم أهون كثيرًا من إثبات منقصة في دين الله، وأن إطفاء الشمس أيسر كثيرًا من حجب نور الله عن خلق الله، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس

الفصل الثالث: الافتراءات حول الأخطاء اللغوية المزعومة في القرآن الكريم

الفصل الرابع: افتراءات وتساؤلات حول أسماء الله الحسنى وصفاته:

الفصل الخامس: الافتراءات حول النبي ﷺ زواجه وحياته ورسالته:

الفصل السادس: افتراءات وتساؤلات حول تحريف التوراة والإنجيل:

الفصل السابع: الافتراءات حول إلهية المسيح المزعومة في القرآن والسنة:

الفصل الثامن: افتراءات وتساؤلات حول الجهاد في الإسلام:

والحمد للّه الذي تتم بنعمته الصالحات

منتديات صوت الحق http://soutalhaq.net/forum/

موقع المركز الألماني للحوار والثقافة http://www.zfkd.org/

مع تحيات إخوانكم في اللّه في غرفة

النصارى يسألوننا عن الإسلام

تابعونا في غرفنا علي برامج المحادثة الشهيرة

Paltalk

Christians AreAsking us About Islam

Inspeak وانسبيك

Christians Are Asking Us About Islaam

==

ولا تنسوا إخوانكم في صالح دعائكم

واللّه نسأل أن يكون هذا العمل خالصاً متقبلاً

وأن يجعله سبباً في الذود عن دين اللّه الحق